مجلة المجمع العلمي

الجزء الاول ـ المجلد الثاني والخمسون

بغـداد

١١٥

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

شروط النشر وضوابطه

١. تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق أهداف المجمع .

٢. لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣. يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى .

٤. تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥. هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث إلى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦. يرسل البحث إلى المجلة بالمواصفات التالية :

أ ـ أن يكون البحث مطبوعاً على الآلة الكاتبة أو مكتوباً باليد بخط واضح وجيد على وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملاً باللغة العربية .

جـ ـ يجب أن لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة .

د ـ أن يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الأصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على أن يوضع على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

و ـ أن تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والإنكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

٧. يعطى صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشرة مستلات من بحثه .

البحوث لا تعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ــ توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجـلة المجـمع العلمي المجمع العلمـي ــ ص. ب. (٤٠٢٣) بغداد ــ جمـهورية العـراق هاتف : (٤٢٢١١٧٢٣ ــ ٤٢٢٢٠٦٦) فاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ ــ ١٤٦

ــ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار أمريكي سنوياً وتضاف أجرة البريد .

الفهـــرس

الموضوع الصفحة

علة كثرة الاستعمال في كتاب سيبويه

أ.د. رشيد العبيدي
الجامعة الإسلاميـــة

الملخص

هذا البحث الموسوم : (علة كثرة الاستعمال في كتاب سـيبويه) وضعته في مبحث التعليل ، والتسويغ ـ او التبرير ـ لما يجرى علـى لسان مستعمل اللغة من تسامحات ، ومجازات وتوسعات في السـياقات التعبيرية، مما عرف عند النحاة بالعلة النحوية ، ولقد عني بذلك الخليـل بن احمد (١٧٥هـ) ومن بعده سيبويه (١٨٠هـ) واستكثر من ذلك في كتابه ، وفرّ كثيراً من الاستعمالات الواردة في كلام العرب ، مما فيـها بيان المرفوع أو منصوب أو مجرور ، أو إيجاز، أو تخفيف، أو إطناب واطالة ، او تثقـيل ، او تخفيف ، فيتساءل ـ كثيراً ـ عن سبب كـل ذلك ، كان يقول : لماذا جاء في كلام العرب نحو قولهم : ((ايـش)) ، وهم يريدون : (أي شيء) ، كان جواب هذا التساؤل انـهم اسـتثقلوا (أي + شيء) فنحتوا منها : (ايشي)) طلباً للخفـة علـى اللسـان وللسرعة في النطق ، وهذا هو المسوّغ ـ المبرر ـ للاستعمال . وذلك يعني انه ما يكثر دورانه على ألسنتهم ويتكرر في كلامهم يصيرون فيه الى الإيجاز وربما نحتوا العبارة الطويلة، وتخلصوا من الطول ، كمـا تخلصوا من الثقل، وذلك نحو : (بسمل) يريـدون بسـم الله الرحمـن

الرحيم ، و (حوقل) ، يريدون : (لا حول ولا قوة الا بـــالله العلــيّ العظيم) ، و(هيلل) يريدون لا اله إلا الله ... وهكذا ومثل هذا استكثر منه سيبويه ، وارجع علته الى قضية التخلص من الثقل وطول العبارة ، فكتبنا نحن هذا الموضوع ((علة كثرة الاستعمال في كتاب ســيبويه)) لنبين رأيه في هذا الموضوع .

سيبويه في (الكتاب) مغرم بالعلة النحوية، اللغوية، لا يترك مسالة من مسائل الصيغ والتراكيب الا وهو يقرنها بالتعليل، فكأنه يفترض ان سائلاً يسأله عن سبب رفع هذا ونصب ذاك، او حذف تلك الكلمة، وزيادة الأخرى، او نقص حرف وزيادته الى غير ذلك مما تحتمله قواعد اللسان العربي، او تبني عليه فيحاول من خلال هذه الافتراضات التي يقترحها لنفسه، ان يجيب عنها معللاً ومفسراً.

وهذه العلل مبثوثة بشكل واضح في حالات الإعراب المختلفة، والابنية والصيغ راجعاً في الكثير منها الى الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) أستاذه، او الى غيره من الأئمة الذين سبقوا الخليل، او عاصروه من أمثال عبد الله بن ابي إسحاق الحضرمي: (١١٧ هـ) الذي قيل عنه: انه ((كان أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل))[١].

وممن اهتم بالعلل والاقيسة عيسى بن عمر (١٤٩ هـ)، وابو عمرو بن العلاء: (١٥٤هـ) وأبو الخطاب الأخفش (١٧٧ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢هـ) [٢]، فضلاً عن الخليل الذي يرى الكثير من الباحثين ان أثره في كتاب سيبويه كان كبيراً جداً، فيقول السيرافي (٣٦٨ هـ) ان: ((عامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه (وسألته) أو (قال ...) من غير ان يذكر قائله، فهوُ الخليل ..)[٣].

---

(١) طبقات ابن سلام: ص: ٦ وطبقات الزبيدي: ٢٥.

(٢) الانباه: القفطي: ٢ / ١٠٥.

(٣) ينظر: الكتاب: ١ / ٢٩٢ و ٢ / ٢٨١ و ٣ / ٥١٧ وغيرها.

ولقد أحصى علي النجدي ناصف ما نقل سيبويه من التعليلات ، والآراء ووجهات النظر عن ابي الخطاب الأخفش ما يقرب من سبع وأربعين مرة .

وعن يونس بن حبيب النحوي ما يناهز مئتي رواية ، في مختلف ضروب القول في مسائل النحو[٤] . وأبرزها موضوع علة (كثرة الاستعمال)[٥] التي نعقد لها هذا البحث .

والعلية في اللغة ، تعني السبب ، فإذا قال قائل : علة هذا الشيء هي كذا ، فإنما يراد بذلك سببه ، يقول ابن منظور : (٧١١هـ) : ((هذا علة لهذا ، أي : سبب)) وفي حديث عائشة ((كان عبد الرحمن يضرب رجلي بعلة الراحلة ، أي : بسببها))[٦]. ويعني ذلك ان الصيغة او الظاهرة اللغوية ، او التعبير المعين قد اتخذ وجهة خاصة بسبب من الأسباب التي أدت الى إيجاب حكم معين في الكلام .

وتدخل العلة في أصول النحو ، ولا سيما موضوع القياس ، الذي يبنى على وجود مقيس ، ومقيس عليه وحكم ، وعلة جامعة ، كعلة الإسناد التي تجمع بين الفاعل المقيس عليه وهو الأصل ، والمقيس ــ وهو نائب الفاعل ــ وهو الفرع ، والحكم وهو الرفع لكليهما الفاعل ونائب الفاعل ، ثم العلة التي تجمع بينهما ، وهي : الإسناد[٧] . ولذلك يقول ابو البركات الانباري : (٥٧٧ هـ) في تعريف القياس :

---

[٤] سيبويه إمام النحاة : ٩١ ــ ٩٢ .

[٥] نفسه : ٩٨ .

[٦] ينظر : اللسان : ٣ / ٤٩٨ (علل) .

[٧] ينظر : لمع الأدلة : ٩٣ .

((تقـدير الفرع بحكم الأصل ، وقيـل هـو حمل فرع علـى اصـل بعلة))[٨] .

ومعلوم ان الخليل يرى ان التعليل أمر لابد منه في أبنية اللغـة وتراكيبها وهو يشبه العلة في اللغة ، بعلة الباني في تصميـم البنـاء ، حين يضع كل جزء منه في موضع معين لسـبب نفسـه ، ولحكمـة أرادها[٩] . فقد روى الزجاجي ان الخليل قد سئل عن العلل التي يعتـل بها في النحو ، فقيل له : اعن العرب أخذتها ، أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : ان العرب نطقـت على سجيتها وطباعـها ، وعرفـت مواقـع كلامها ، وقام في عقولها علله وان لم ينقـل ذلك عنها واعتللت أنا بمـا عندي انه علة لما عللته منه ، فان اكن أصبـت العلـة ، فـهو الـذي التمست ، وان تكن هناك علة له ، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخـل داراً محكمة البناء عجيبة النظم ، والأقسام ، وقد صحت عنـده حكمـة بانيها بالخبر الصادق اليقين او بالبراهين الواضحة والحجج اللائحـة ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها ، قال : إنما فعل هـذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا ، سنحت لـه ، وخطـرت ببالـه محتملة لذلك ، فجائز ان يكون الحكيم الباني للدار ، فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز ان يكون فعله لغير تلك العلـة ، إلا ان ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علة لذلك ، فـان سـنح لغيري علـة لما عللتـه هي من النحو هـي أليق مما ذكرته بالمعلول

---

[٨] نفسه والصفحة نفسها .

[٩] ينظر في نظرة الخليل الى العلة والتعليل ، كتاب الإيضاح للزجاجي ، والاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي .

فيأت بها))[١٠].

ويقرر ابن جني : (٣٩٢هـ) ان التعليل في اللغة ضرورة لا مناص من الأخذ بها والاحتكام إليها في معرفة أصول الكلام واحكام نظامه ، وكان ابن جني يرى ان أبا عمرو بن العلاء ومن في طبقته ، ((قد نظروا وتدربوا وقاسوا وتصرفوا ان يسمعوا اعرابياً جافياً غفلاً ، يعلل هذا الموضع بهذه العلة ، ويحتج لتأنيث المذكر ....))[١١].

وذلك ان ابا عمرو قد سمع اعرابياً يقول : ((جاءته كتابي واحتقرها)) فقال له ، أبو عمرو : ((أتقول : جاءته كتابي ؟ قال ـ الإعرابي ـ : نعم ، أليس بصحيفة ؟)) فعجب ابو عمرو من تأنيث الفعل ، مع ان الفاعل مذكر ، والأعجب من هذا انه فسر (كتابي) بـ (صحيفة) ، ولاجل هذا التفسير ، أنث الفعل ، فيقول ابن جني : ((افتراك تريد من ابي عمرو وطبقته ، وقد نظروا و ....)) العبارة وينتقد ابن جني بعد ذلك من يستهجن موضوع التعليل ، ويحسبه امراً خارجاً عن أصول النحو العربي وقواعده[١٢] بل هو يبني كتابه الخصائص ، وغيره من كتبه ، على التعليل والاستنباط ، والتفتيش عن السبب والعلة في التراكيب والصيغ ، والأبنية ، فلا يترك مسالة من مسائل النحو حتى تراه قد عرضها على العقل والمنطق ، ووضع بازائها ما يسوغ بناءها على الشكل الذي سمعت او نطقت به في لسان العربي .

---

(١٠) الإيضاح : ٦٥ ـ ٦٦ .

(١١) الخصائص : ١ / ٢٤٩ .

(١٢) نفسه ، والصفحة والجزء .

والعلل كثيرة بلغت اكثر من أربع وعشرين علة [١٣] ، ذكرها علماء اللغة المتقدمون [١٤] والدارسون المحدثون . ومن بينها علة : ((كثرة الاستعمال)) .

وهذه العلة تتركز في اللغة على ما يدور ـ كثيراً ـ في لسان العرب من تراكيب وصيغ يؤدي دورانها الكثير الى بعض التغيير في الكلام كالحذف والزيادة ، والإيجاز والتقديم والتأخير ، وما يتصل بذلك من صور التغيير ، يقول ابن يعيش : ((لكثرة الاستعمال اثر في التغيير ، ألا ترى انهم قالوا : أيش والمراد : أي شيء وقالوا : ويلُمِّهِ ، وقالوا : لا ادر ، فغيروا هذه الأشياء عن مقتضاها لضرب من التخفيف عند كثرة الاستعمال))[١٥].

ويلاحظ ان ابن يعيش قد جمع ـ هنا ـ في عباراته بين علتين ، وهما علة التخفيف وهي علة من علل النحو العربي ، وعلة كثرة الاستعمال في الكلام ، وهي العلة التي نريد ان نلم بها عند سيبويه من خلال الكتاب .

والتخفيف هو تحصيل حاصل للتغيرات التي تطرا على البنية في الكلام ، لان العربي يريد ان يوجز ويختصر ليسهل عليه نطق العبارة ، إذا ما أحس بثقلها حين ينطقها ، او إذا ما فهم معناها مع إيجازها ، يقول الفراء ، معللا الحذف والإيجاز : ((لان من شان العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه)) [١٦].

---

[١٣] الاقتراح : ص ٤٨ .

[١٤] ينظر : ابو عثمان المازني : ١٥٤ ـ ١٥٥ .

[١٥] شرح ابن يعيش على المفصل : ٤ / ١٠٢ .

[١٦] معاني القران : جـ ١ / ص ٢ .

ووجد سيبويه ، أستاذه الخليل كثير الأخذ بعلة كثرة الاستعمال حين رأى العرب تحذف من كلامها وتوجز في عباراتها ، وتغير في البنى ، فهو يقول : ((وهذا حذف حين كثر استعمالهم إياه ، في الكلام ، كما حذف الكلام من : (إمّالا) زعم الخليل ــ رحمه الله ــ انهم ارادوا ان كنت لا تفعل غيره فافعل كذا وكذا امالا ، ولكنهم حذفوه لكثرته في الكلام ، ومثل ذلك : (حينئذ ، الآن) إنما تريد ، واسمع الآن ، و (ما أغفله عنك شيئاً) ، أي دع الشك عنك ، فحذف هذا لكثرة استعمالهم))[١٧].

وفكرة التخفيف التي تصحب علة كثرة الاستعمال ، ليست فكرة سيبويهية ، بل لقد تلقفها عن شيخه الفراهيدي ، فمعظم تعليلاته نجده فيها يمزج بينهما في علة واحدة ، وهي كذلك لو تأملناها ، فالعربي ــ كما سبق قول الفراء ــ إنما يوجز ليقلل الكثير ــ يقول الخليل كما نقل سيبويه : ((ان قولهم : لاه أبوك ، ولقيته أمس ، إنما هو على ((لله أبوك)) و ((لقيته بالأمس)) ولكنهم حذفوا الجار ، والألف واللام تخفيفاً على اللسان وليس كل جار يضمر ، لان المجرور داخل الجار ، فصار عندهم بمنزلة حرف واحد ، فمن ثم قبح ، ولكنهم قد يضمرونه ويحذفونه فيما كثر من كلامهم ، لانهم الى تخفيف ما اكثروا استعماله أحوج))[١٨]. ويكرر سيبويه النقل عن شيخه مثل هذه الأقوال في تضاعيف كتابه [١٩].

---

(١٧) الكتاب : ٢ / ١٢٩ .

(١٨) نفسه : ٢ / ١٦٢ .

(١٩) تنظر في الكتاب : جـ ١ / ص ١٦٥ و ٢ / ١٦١ و ١٧٢ وغيرها .

ثم نرى سيبويه بعد ذلك يلتزم الإشارة الى الجمع بين التخفيف وكثرة الاستعمال مستغنياً عن كلام شيخه الخليل ، فحين عرف الترخيم قال : انه ((حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً)) ثم علل هذا الحذف بقوله : ((ان الترخيم لا يكون الا في النداء ، الا ان يضطر شاعر ، واما كان ذلك في النداء لكثرته في كلامهم ، فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين ، وكما حذفوا الياء من (قومي) ونحوه في النداء))[٢٠].

وتابع سيبويه كثير من علماء النحو العربي في الجمع بين كثرة الاستعمال والحذف من الكلام تخفيفاً [٢١]. ومن المواضع التي ذكر النحويون علة كثرة الاستعمال والحذف تخفيفاً فيها قول العرب : ((يا ابن آدم)) و ((يا ابن عم)) في النداء ، فسيبويه يرى : ((ان هذا اكثر في كلامهم من : يا ابن أبي ، ويا غلام غلامي ، وقد قالوا – ايضاً – يا ابن امِ ، ويا ابن عمِ ، كأنهم جعلوا الأول والآخر اسماً ثم أضافوا الى الياء ، كقولك : يا أحد عشر اقبلوا ، وان شئت قلت : حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم))[٢٢]. فكان ذلك أخف في كلامهم من ذكر الياء ، وقد علل الأعلم ذلك – ايضاً – كما علله سيبويه ، في حذف الياء من اجل الخفة على اللسان [٢٣]. وسار النحويون من بعده

---

[٢٠] الكتاب : ٢ / ٢٣٩ .

[٢١] ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش : ٢ / ١٩ و ٢٠ والانصاف : ١ / ٣٥٦ والفوائد الضيائية : الجامي : ١ / ٣٤١ وغيرهم .

[٢٢] الكتاب : ٢ / ٢١٤ .

[٢٣] النكت : ١ / ٣٨٩ – ٣٩٠ .

على المنهج نفسه في التعليل[٢٤].

والملاحظ على ما تقدم من عبارة سيبويه انه يشبه ((ابن امَّ)) و ((ابن عم)) بـ ((أحد عشر)) ، وذلك ان ((ابن أم)) واخواته اصبح كالمفردة الواحدة ، فتعامل معاملة الاسم المفرد ، يبقى الاسم الأول مفتوحاً ، كما يفتح العدد الأول من ((أحد عشر)) ، لانه مركب بني على فتح الجزأين ، وكما يفتح الاسم الأول من المركب المزجي ((بعلبك)) و ((حضرموت)) ، وكل ذلك يعامل معاملة الاسم الواحد ..

وعلة كثرة الاستعمال ليست وقفاً على حذف الحروف من اصل الكلمة او مما أضيف اليها ، فاما من اصل الكلمة ، فما رأيناه في الترخيم في نحو القطعة في : يا ابا الحكَ ، ويا حار ، ويا صاح ، من المنادى المرخم الآخر ، وهذا مما شبهوه بحذف التاء في ترخيم نحو : ((يا فاطم)) والأصل : ((يا فاطمة))[٢٥].

واما الحذف للحرف ـ مما أضيف ، فنحو : ((يا ابن امَّ)) و ((يا ابن عم)) ، لان الأصل يا ابن أمي ، ويا ابن عمي ، ونحو : ((يا ربي)) الذي يؤول في الاستعمال الى الحذف فيقال : يا ربٍّ ، قال تعالى : ((وقل ربِّ زدني علما)) طه / ١١٤ .

---

[٢٤] ينظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٩٤ والمقتضب للمبرد : ٢ / ٢٥١ والأصول : لابن السراج : ١ / ٤١٦ والجمل : للزجاجي : ١٨١ وشرح ابن عصفور عليه : ٢ / ١٨٣ وشرح الرضي على الكافية : ١ / ٣٦ .

[٢٥] ينظر : الكتاب : ٢ / ٢٥٦ والمقتضب : ٤ / ٢٤٣ .

وقد يكون حذف الحرف المزيد ، كحروف الجر في نحو : ((ويلمه)) والأصل فيها (ويل لامه) فحذفت اللام ، كما حذفت همزة الوصل ، فاتصلت اللام من (ويل) بلفظ (أمه) .. فصار : ويلمه ..

وقد يكون الحذف كلمة ، فعلا او اسما او حرفا ، وكل ذلك انما يحصل من اجل التخفيف ، والتخلص من الثقل الذي يكثر في التراكيب والجمل الشائعة الاستعمال الكثيرة الدوران على الألسنة .

والمحذوف قد يكون عاملاً ، فيبقى المعمول منصوباً او مرفوعاً او مجروراً ، كما لو كان العامل مذكوراً ، ومن صور حذف العامل ، حذفهم الفعل في جملة الحال نحو قولهم : ((أخذته بدرهم فصاعداً)) او ((فنازلاً)) او ((فزائداً)) .

وتقديره عند النحويين : ((أخذته بدرهم فذهب الثمن صاعداً))[٢٦]

يقول سيبويه : ((حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه ، ولانهم أمنوا ان يكون على الباء ، لو قلت : أخذته بصاعد)) كان قبيحاً ، ((لانه صفة ولا تكون في موضع الاسم ، كأنه قال : أخذته بدرهم ، فزاد الثمن صاعداً ، او فذهب صاعداً))[٢٧] .

والملاحظ في عبارة سيبويه ان الحذف قد وقع في شيئين :

١ ـ العامل وهو الفعل .

٢ ـ الفاعل ، وهو الثمن او المبلغ او ما يقوم مقامهما .

كما يلاحظ ان الحذف قد وقع ، لامن اللبس ، ووضوح المعنى المراد . ولولا ذلك ما أمكن الحذف ، وموضع أمن اللبس ـ هنا ـ ان

---

(٢٦) الكتاب : ١ / ٢٩٠ ، وشرح ابن يعيش ٢ / ٦٨ وشرح الجمل : ٢ / ٤١٦ .

(٢٧) الكتاب : ١ : ٢٩٠ .

الحال وصف ، وهو اسم الفاعل ((صاعد أو نازل أو زائد)) ، ولا يمكن ان تدخل الباء على الوصف ، إذ لا مجال لاستعمالها في هذا الموضع ، فان ((صاعداً ونازلاً)) حال من صاحبها ، وهو الثمن فلو قلت : ((أخذته بصاعد)) لم يتضح المعنى ، وكان الكلام ناقصاً ، ومن هنا يقع اللبس ، ولذلك قال سيبويه : ((أمنوا أن يكون على الباء لو قلت : " أخذته بصاعد " كان قبيحاً)) .

يقول ابن يعيش : ((حذف صاحب الحال والعامل فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال .. وحسن حذف الفعل لأمن اللبس ، ولا يحسن عطفه على الباء .. لوجوه منها : ان صاعدا وزائداً)) صفة ولا يحسن عطفه على الدرهم الموصوف والوجه الثاني : ان الثمن لا يعطف بعضه على بعض بالفاء ؛ لانه لا يتقدم بعضه على بعض ، إنما يقع دفعة واحدة ... والوجه الثالث : ان (صاعداً) صفة ، فلا يحسن ان تجعل ثمناً في موضع الاسم الموصوف))[٢٨].

ومن الحذف للأسماء ، قول العرب : ((لا كالعشية عشية ، ولا كزيد رجل)) و ((لا عليك)) ، يقول سيبويه : ((ونحو هذا اكثر من ان يحصى))[٢٩] وقد فسر سيبويه الحذف هنا بقوله : ((تقول لا كالعشية عشية ، ولا كزيد رجل)) ، ((صار لا كزيد كأنك قلت لا أحد كزيد)) و ((نظير لا كزيد في حذفهم الاسم قولهم : لا عليك ، وانما يريد لا باس عليك و ((لا شيء عليك)) ... ولكنه حذف لكثرة استعمالهم إياه))[٣٠] واخذ بذلك ابن

---

[٢٨] شرح المفصل : ٢ / ٦٨ ـ ٦٩ .

[٢٩] الكتاب : ٣ / ٢٨٩ .

[٣٠] نفسه : ٢ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

يعيش[٣١] فقال : ((اعلم انهم قد حذفوا اسم (لا) النافية ، كما حذفوا الخبر ، فقالوا : ((لا عليك والمراد : لا باس عليك)) ، أي : لا شيء عليك ، وانما حذفوا الاسم لكثرة الاستعجال تخفيفاً ، وقالوا : لا كالعشية عشية ، والمراد ، لا عشية كالعشية الليلة ، ومثله : ((لا كالعشية كزيد رجل)) ، والمراد : ((لا أحد كزيد رجل)) ، فالاسم محذوف والجار والمجرور في موضع الخبر ، وعشية مرفوع : لانه عطف بيان على الموضع)) .

اما حذف الفعل في صيغة النداء وهي ((يا)) و ((الاسم المنادي)) نحو : (يا رجل ، ويا زيد) فقد كانت علة كثرة الاستعمال سبباً في حذف الفعل ؛ لان التقدير عند سيبويه هو : ((يا أريد عبد الله)) فحذف ((أريد)) ونابت (يا) عنه ، ((لانك إذا قلت : يا فلان علم انك تريده))[٣٢]ونظرة واحدة في تقدير سيبويه هنا توحي بتكلف مثل هذا التقدير فسبب نصب (عبد الله) انه منادى مضاف اما نحو : ((يا زيد)) فقد جاء مبنياً ، ولم ينصب ، مع ان التقدير واحد ، وهو الفعل المحذوف (أريد) .

ولعل الاكتفاء بان أسلوب النداء هو صيغة جاءت على هذا الشكل في كلام العرب ، وان الأحوال الثلاث التي ظهر فيها (يا عبد الله) بالنصب ، و (يا رجل ــ يا زيد) بالبناء على الضم ، و ((يا صانعاً معروفاً)) بالنصب ، إنما هي أسلوب تكلمت به العرب في صيغ النداء .

---

[٣١] شرح المفصل : ٢ / ١١٤ .

[٣٢] الكتاب : ١ / ٢٩١ .

ويرى السيوطي : (٩١١ هـ) ان الفعل في النداء ، واجب الحذف ، لان الذي يقع في الذهن في صيغة النداء ((انه لو نطق به ، لكثر استعماله ، فلزم الإضمار طلباً للخفة ، لان كثرة الاستعمال مظنة للتخفيف))[٣٣].

ومن المواضع التي يرد فيها حذف الفعل – ايضاً – لكثرة الاستعمال ، ويبقى المعمول ، – وهو المفعول به – منصوباً به ، ما شاع من الاستعمالات العربية على لسان العرب نحو قولهم : ((هذا ولا زعماتك)) ، ونحو : ((كل شيء ولا شتيمة حرّ)) ونحو قوله – تعالى – : ((انتهوا خيرا لكم)) النساء / ١٧١ . ونحو : ((وراءك أوسع لك)) ، فان هذه المواضع قد حذف منها الفعل ، تخفيفاً وتيسيراً على الناطق بها لكثرة دورانها على السنة العرب ، يقول سيبويه : ((هذا باب يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم ، حتى صار بمنزلة المثل ، وذلك قولك : هذا ولا زعماتك ، أي : ولا آتوهم زعماتك ، ولم يذكر ولا آتوهم زعماتك لكثرة استعمالهم اياه ، ولاستدلاله مما يرى من حاله انه ينهاه عن زعمه))[٣٤] .

وقال في نحو : ((كل شيء ولا شتيمة حرّ)) أي : ائت كل شيءٍ ، ولا ترتكب شتيمة حرّ)) فحذف لكثرة استعمالهم إياه ، فأجري مجرى : ولا زعماتك))[٣٥]. وسيبويه في تقديره المحذوف في هذه العبارة الأخيرة ، جعله فعلين ، أولهما : ايت)) فعل الأمر ، والثاني : ((ترتكب)) ، وهو الفعل المجزوم بلا الناهية ، وكذلك فعل حين قدّر

---

(٣٣) الأشباه والنظائر : ١ / ٣٠٨ .

(٣٤) الكتاب : ١ / ٢٨٠ .

(٣٥) نفسه : ١ / ٢٨١ .

المحذوف من قوله ــ تعالى ــ ((انتهوا خيراً)) قال ، وهو ينقل كلام شيخه الخليل في ذلك : ((كأنك تحمله على ذلك المعنى كأنك قلت : انته وادخل فيما هو خير لك فنصبته ؛ لانك قد عرفت انك إذا قلت له : انته ، انك تحمله على أمر آخر ، فلذلك انتصب وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه في الكلام ، ولعلم المخاطب انه محمول على امر حين قال له : انته ، فصار بدلاً من قوله : أنت خيراً لك ، وادخل فيما هو خير لك))[٣٦]. ونقل عن سيبويه انه كان يقدره : ((انتهوا من هذا وآتوا خيراً لكم)) وهذا يعني انه يقدر فعلاً امرياً محذوفاً تقديره ((وآتوا)) وجاراً ومجروراً متعلقاً بالفعل الامري : ((انتهوا)) ، فبقي من اصل الكلام : ((انتهوا خيراً ..)) ..

واختلف النحويون في المحذوف من هذه الجملة القرآنية ، فمذهب الكسائي : ان ((خيراً)) نصب بـ (كان) المحذوفة ؛ لانه وقع خبراً لها والتقدير : ((انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم)) .

اما الفراء فاعرب ((خيراً)) صفة لمصدر محذوف هو مفعول مطلق للفعل ((انتهوا)) والتقدير عنده : ((انتهوا انتهاءً خيراً لكم))[٣٧] .

ومن هذا القبيل ، قول العرب : ((حينئذٍ الآن)) ، فهي عبارة شائعة كثيرة الدوران على الألسنة ، وكثرتها كانت سبباً في إيجازها ، وقد وقع في كلام السيرافي (٣٦٨ هـ) على هامش الكتاب ان ((معنى ذلك ان ذاكراً ذكر شيئاً فيما مضى يستدعي مثله في الحال ، فقال له المخاطب : (حينئذ الآن) ، معناه : كان هذا الذي ذكرت حينئذٍ

---

(٣٦) الكتاب : ١ / ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

(٣٧) ينظر في ذلك كله شرح المفصل : ٢ / ٢٧ ــ ٢٨ ومغني اللبيب : ٢ / ٨٢٧ والأشباه والنظائر : ١ / ٣٠٧ .

في الوقت الذي ذكرت ، واسمع الآن غير ذلك ، او غيره من نحوه من التقدير))[٣٨] .

ويظهر من خلال التقدير ان العبارة في الأصل كانت طويلة ، وان الكلام غير المحذوف كان كثيراً ، فهو أضعاف ما بقي منها في الاستعمال ، وهذا يعني ان التخفيف والإيجاز كان قصد المتكلم في الحذف من الكلام ، تخلصاً مما يثقل على ألسنتهم .

ومن حذف الفعل في التحذير قولهم : ((إياك والأسد)) و ((اياي والشر)) ، وقدر سيبويه الأصل فيهما : ((إياك فاتقين ، والأسد)) و ((إياي لاتقين والشر فإياك متقى والأسد والشر متقيان ، فكلاهما مفعول ومفعول منه))[٣٩] فحذف عاملهما ، وبقي المعمولان في حالة النصب مفعولا ومفعولا منه ، أي : محذراً ومحذراً منه ، واشارة (المفعول منه) ـ هنا ـ غير مألوفة عند النحويين ؛ لان المفاعيل الخمسة عندهم هي : المفعول به وفيه ، ومعه ، وله ، والمطلق ، ولقد ذكر الازهري في التهذيب تسمية سابعة للمفاعيل ، وهو (المفعول عليه) في نحو ركبت البعير ، وصعدت الجبل ، او على الجبل ، لتقدير معنى (على) فيهما[٤٠].

ومن المباحث التي تناولها سيبويه ، تحت علة كثرة الاستعمال قول الناس : ((يا الله اغفر لنا)) دخول (يا) حرف النداء على لفظ الجلالة (الله) . ومعلوم ان حرف النداء لا يدخل على الاسم المبدوء

---

[٣٨] هامش الجزء الأول : ص ٢٧٤ من الكتاب .

[٣٩] ينظر : الكتاب : ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

[٤٠] ينظر : الازهري : ٤١١ والتهذيب : ٢ / ٤٠٥ (فعل) .

بـ (ال) فما الذي سوغ للعربي ان يدخل حرف النداء على لفظ الجلالة ؟

يقول سيبويه : ((ذلك من قبل انه اسم يلزمه (الألف واللام) ، لا يفارقانه وكثر في كلامهم ، فصار كأن (الألف واللام) فيه بمنزلة (الألف واللام) التي من نفس الحروف ، وليس بمنزلة (الذي) قال ذلك من قبل ان الذي قال ذلك وان كان لا يفارقه الألف واللام ليس اسما بمنزلة (زيد وعمرو) ، لم يجز ذا فيه ، وكان الاسم ـ والله اعلم ـ اله ، فلما ادخلوا فيه الألف واللام ، حذفوا الألف ، وصارت الألف واللام خلفاً منها فهذا ـ ايضاً ـ مما يقويه ان يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف))[٤١].

يريد سيبويه ان (ال) التي لازمت لفظ الجلالة أصبحت كانها من الكلمة ـ أي من بنيتها ـ وليست دخيلة عليها ، فهي كالألف واللام الداخلة على لفظ (رجل) ـ مثلاً ـ فانها زيدت عليها من اجل التعريف ، لذلك ، لم يسغ ان يقال : (يا الرجل) ، فان أريد النداء دخلت (أي) ؛ لتكون وصلة للنداء ، فيقال : ((يا أيها الرجل)) اما جواز دخولها على (الذي) و (التي) فان (ال) فيهما من اصل البنية ، لذلك جاز على قلة وقد ورد في بعض كلام العرب نحو : (..... يا التي تيمت قلبي) و (يا الغلامان اللذان) [٤٢] .

والخلاصة ان علة كثرة الاستعمال من العلل المهمة في كتاب سيبويه ولقد اغرم سيبويه بها ، وولع اشد الولع ، وخرج كثيراً من

---

[٤١] الكتاب : ٢ / ١٩٥ .

[٤٢] ينظر : الانصاف : ١ / ٣٣٥ ، وهو راي الكوفيين وانظر الخزانة ٢ /٢٩٤ .

ظواهر الايجاز والحذف ، والتخفيف في الافعال والاسماء والحـــروف على كثـــرة دوران العبارات على السنتـــهم ، فمالـــوا الـــى تقصـــير الطويل ، وتخفيف الثقيل ، وتيسير العسير من الكلام ليســـهل دورانـــه على الالسنة ، ومما يدل على ذلك ترخيمهم ذوات الخمسة فيصيرونـــها من ذوات الاربعة وترخيهم ذوات الاربعة ، فيصيرونـــــها مـــن ذوات الثلاثة ، ولكنهم لا يرخمون ذوات الثلاثة ، لان الثلاثة هي اخف عندهم في الكلام ((فكرهوا ان يحذفوه ، اذ صار قصاراهم ان ينتبهوا اليــه)) وهذا مذهب الخليل [٤٣].

واجـــاز الفراء والكوفيون ترخيم الثلاثـــي اذا كـــان متحـــرك الوسط ، نحو : ((عضد)) و ((قدم)) . فجوزوا ان يقـــال : ((يـــا عَضُ ، ويا قَدَ))[٤٤] .

وفي ذلك بحث مستفيض في كتب النحو ، لا نرى ضرورة فـــي إطالة الكلام عليه في هذا البحث الموجز عن علة كثرة الاستعمال فـــي كتاب سيبويه ..

---

[٤٣] نفسه : ٢ / ٢٥٥ ــ ٢٥٦ . وينظر : شرح المفصل : ٢ / ٢٠ والأنصـــاف : ١ / ٣٥٦ .

[٤٤] ينظر : الأنصاف : ١ / ٣٥٦ ــ ٣٥٧ والأصول : ١ / ٤٤٥ والعلل : ابـــن الوراق : ٢١٠ واللباب العكبري : ١ / ٣٤٧ والرضي على الكافية : ١ / ٣٦٥ .

التعليم العالي في عالم متغير

أ.د. داخل حسن جريو

رئيس المجمع العلمي

الملخص

في اعقاب احداث الحادي عشر من ايلول عام ٢٠٠١، بعدما تبين أن بعض المشاركين بهذه الاحداث من جنسيات مختلفة كانوا قد درسوا الطيران في الولايات المتحدة الامريكية، وما شهده العالم بعدها من حروب مدمرة وصراعات مُرة، فأنه يتوقع ان تلجأ حكومات الدول الصناعية الكبرى في امريكا الشمالية واوربا واليابان الى اعتماد سياسة فرض رقابة صارمة على نشر البحوث العلمية في المجلات والدوريات العلمية بدعاوى حماية حقوق الملكية الفكرية، وفرض قيود على قبول الطلبة الاجانب في بعض التخصصات العلمية، الامر الذي يتطلب الاعتماد على الذات بالدرجة الاساس لبناء قدراتنا العلمية.

ولتحقيق هذا الهدف فانه يستلزم بلورة فلسفة تعليمية واضحة الاهداف والمعالم ورصد التخصيصات المالية اللازمة وعدها استثمارات مهمة جداً لبناء منظومات تعليمية جامعية راقية تتسم بالجودة والكفاية على وفق معايير الجودة العالمية. تسلط هذه الدراسة الضوء على سمات الجامعة المعاصرة ومواجهتها لمتطلبات التغيير في مجتمعات المعرفة بهدف، الافادة من تجاربها في بلداننا العربية.

مقدمة

تواجه مجتمعاتنا الاسلامية عامة ومجتمعاتنا العربية خاصة تحديات جسيمة في وقتنا الحاضر لاسباب عديدة، ابرزها تغيير العلاقات الدولية في اعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك دوله وانهيار جدار برلين، وبروز الولايات المتحدة قوة عظمى لامنازع لها في الساحة الدولية، وسعيها الحثيث في اعقاب الحادي عشر من ايلول لاحكام سيطرتها على العالم والتدخل في شوؤن الدول الاخرى الى حد شن الحروب على بعضها بدعاوى حفظ الامن والسلام الدوليين ومكافحة الارهاب حقيقياً كان ذلك او مزعوما بحسب اهواء واتجاهات الساسة الاميركان. ولم يسلم من ذلك حتى من كانوا يعتقدون انهم اصدقاء مخلصون للولايات المتحدة سنين طويلة، وانهم ما زالوا يقدمون لها الكثير من الخدمات والتسهيلات بما في ذلك اقامة قواعد عسكرية لها في بلدانهم، ويصطفون خلفها في مواقفهم في القضايا الدوليه المختلفة.

وقد نجم عن هذه السياسة تفتيت الكثير من الدول كما حصل في يوغوسلافيا واندونيسيا والسودان ودول اخرى كثيرة. كما اشتدت الهجمة الثقافية على الدول الاسلامية عامة والعربية خاصة بدعاوى تحديث مجتمعاتها ونشر الديمقراطية فيها وتأمين حقوق الاقليات والانفتاح على حضارات الامم

والشعوب الاخرى واحترام حقوق المرأة والتعامل مع الاخرين بشفافية وبروح من التسامح واحترام الرأي والرأي الاخر كما يقال في وسائل الاعلام، وكأنهم فجأة اكتشفوا غياب الديمقراطية والطبيعة الاستبدادية وقهر الانسان في هذه الدول التي كانوا خير معين وسند لحكامها طوال سنين كثيرة.

وفي مجال الثقافة تسعى الدول الغربية الى نشر ثقافتها ومفاهيمها الخاصة فيما يتعلق بالديمقراطية وتعددية الفكر والشفافية الثقافية وحقوق الانسان عامة وحقوق المرأة خاصة ومفاهيم الحرية، وكأن هذه الامور جميعها صناعة غربية تصدرها الينا شأنها بذلك شأن السلع الصناعية الاخرى، متجاهلين ان امتنا العربية والاسلامية كانت مهد الحضارات ومهبط الرسالات السماوية التي حملت مشعل الحرية والفكر والعلوم المختلفة يوم كان الاخرون يغطون في سبات عميق في دياجير الظلام.

ولأن العلم والثقافة هما من مهام الجامعة في أي مجتمع من المجتمعات، وان الجامعات هي اهم أدوات التغيير والتطور، وأن التعليم ولاشيء سواه يمكن ان يحقق نهضة شاملة، لابد اذن ان تأخذ الجامعات دورها الفاعل بالتصدي للتحديات التي تواجهها مجتمعاتها المتمثلة بالتخلف العلمي والتقني ومواجهة ما بات يعرف بالغزو الثقافي او الثقافات الوافدة، وسعي الدول

الكبرى الى نشر مفاهيمها في الحرية والديمقراطيـــة وحقــوق الانسان وتحديد نوع الحكومـــات وطبيعـــة الـــنظم السياســـية والتعامل مع الدول الاخرى، بل ان بعض هذه الدول قد ذهبت الى ما هو ابعد من ذلك بتحديد العلاقة بين قوميات واطيـــاف البلد الواحد كما حصل فعلاً في اكثر من مكان.

ولكي تؤدي الجامعة وظائفها على الوجه المطلوب لابد لها ان تمتلك فلسفة تعليمية واضحة ترتبط بحاجات بلـــدانها بصـــورة فاعلة ومؤثرة على وفق سلم اولويات بهذه الحاجات، وان تبذل قصارى جهودها للافادة من مستجدات العلوم والتقانة الحديثة، وان تعتمد اساليب وطرائق تدريس متقدمة بالافادة من تقانـــات والمعلومات والاتصالات، وان تتفاعل مع حضارات وثقافـــات الشعوب المختلفة من منطلق حـــوارات الحضـــارات وتلاقـــح الثقافات بكل شفافية، بعيدا عن التعصب والمغالاة في اطار فهم ان العلم والتقانة انما هما نتاجان انســـانيان ينبغـــي توظيفهمـــا لصالح جميع البشر دون تمييـــز فـــي اللـــون او العنصـــر او الجنس. ولتحقيق هذه الاهداف الانسانية النبيلة لابد من اعتماد منظومات تعليمية راقية ومتطورة تتسم بالكفاية والجودة او ان توفر لها التخصيصات المالية اللازمة بوصف الانفـــاق علـــى التعليم انفاقا استثماريا ان لم يكن حقا ابو الاستثمارات جميعها.

أن ما يعنينا بهذه الدراسة هو تسليط الضوء على دور الجامعات في التصدي للتحديات التي تواجهها مجتمعاتنا بسبب تخلفها العلمي والتقني وسعيها لمحو اميتها العلمية والتقنية وامتلاك ناصية العلم والتقانة في عالم تسعى فيه الدول الكبرى الى احتكار العلم والتقانة بدعاوى حماية حقوق الملكية الفكرية وغيرها من جراء منع انتقال العلوم والتقانة الى دول العالم الثالث عامة والدول الاسلامية والعربية خاصة.

التعليم الجامعي العربي

تناقلت وسائل الأعلام المختلفة اختيار أفضل ٥٠٠ جامعة في أرجاء العالم المختلفة على وفق معايير محددة لقياس الجودة والتمييز بالأداء في مجالات إعداد الملاكات العلمية وإنجاز البحوث العلمية وإثراء المعرفة وإنمائها وربطها بحاجات مجتمعاتها في التنمية والتقدم بوصفها أهم مصادر الإشعاع العلمي والفكري، واحد أهم أدوات التغيير في عالمنا المعاصر. وقد توزعت هذه الجامعات المتميزة على أقطار أمريكا الشمالية وأوربا واليابان والهند وبعض أقطار أمريكا الجنوبية وجنوبي شرقي آسيا وجمهورية أفريقيا الجنوبية. وقد كان سبع من هذه الجامعات في إسرائيل، ولم تكن أية جامعة عربية ضمن هذه الجامعات المتميزة على الرغم من أن عمر بعضها

يمتد لأكثر من ١٠٠ عام في الأقل، وهو أمر يثير الأسى والحزن إذ انه يؤشر إن أي من جامعاتنا العربية لم تبلغ بعد النضج العلمي الذي تتطلبه معايير الجودة العلمية العالمية.

ومما يزيد الأمور سوءاً أن الفجوة المعرفية آخذة بالاتساع بين بلادنا العربية والدول الأكثر تقدماً بمعدلات عالية وسريعة جداً يصعب معها غلقها بسهولة إذا لم يتم التصدي الفاعل والحازم لمعالجة مشكلات التعليم العالي إذ يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ [١] الى حداثة التعليم العالي في معظم الاقطار العربية اذ ان ٥٧% من مؤسسات التعليم العالي العربية يقل عمرها عن ١٥ عاما ويفتقر هذا التعليم في اغلب الاقطار العربية الى رؤية واضحة للنهوض به الى مصاف التعليم العالي في الدول الاكثر تقدما. ويشير التقرير ايضا الى ضعف الانفاق على التعليم العالي بعامة وعلى مشاريع البحوث العلمية بخاصة، اذ تبلغ نسبة الانفاق على البحث والتطوير ٠,٢% من اجمالي الناتج القومي العربي مقابل ٢,٥- ٥% في البلدان المتقدمة. وياتي معظم الانفاق على البحث والتطوير في البلدان العربية من مصادر حكومية بنسبة ٨٩% وتساهم القطاعات الانتاجية والخدمية بنحو ٣% فقط. وقد انعكس ذلك سلباً على اداء مؤسسات التعليم العالي اذ بلغت المنشورات العلمية العربية ٢٦ نشرة علمية لكل مليون نسمة عام ١٩٩٥

مقابل ١١ نشرة علمية لكل مليون نسمة عام ١٩٨١ أي بنسبة ٢,٤ ضعفا خلال هذه المدة وهذه نسبة متواضعة مقارنة مع تلك التي حققتها بعض الدول النامية كالبرازيل والصين ودول جنوبي شرقي آسيا، اذ بلغت المنشورات العلمية في الصين لكل مليون نسمة في عام ١٩٩٥، احد عشر ضعفا مما كانت عليه في عام ١٩٨١، وبلغت هذه النسبة ٢٤ ضعفا في كوريا الجنوبية، ويشير التقرير الى ان عدد العاملين المتفرغين للبحث في البلاد العربية قرابة ٣٥٠٠٠ باحثا نصفهم في مصر، وهذا يمثل ٣,٣ باحث من مستوى الماجستير والدكتوراه لكل ١٠٠٠٠ فرد من القوى العاملة لاحصاءات عام ١٩٩٦، وهذه نسبة متدنية ايضا اذا ما قورنت بالنسبة المماثلة في الدول المتقدمة البالغة قرابة ١٠٠٠ فني لكل مليون شخص. وفي مجال انتاج الكتب في البلدان العربية فانها لا تزيد على ١,١% من الانتاج العالمي رغم ان العرب يشكلون نحو ٥% من سكان العالم اذ اصدرت البلدان العربية في العام ١٩٩١ ما مجموعه ٦٥٠٠ كتابا مقابل ١٠٢٠٠٠ كتابا في امريكا الشمالية و ٤٢٠٠٠ في امريكا الجنوبية طبقا لأحصاءات اليونسكو.

ومما تقدم يلاحظ تدني اداء مؤسسات التعليم العالي في البلاد العربية مقارنة مع مثيلاها في الدول المتقدمة ويمكن ان تعزى اسباب هذا التدني الى اسباب عديدة ابرزها الاتي:

١- غياب فلسفة تعليمية واضحة في اغلب الدول العربية ان لم يكن في معظم هذه الدول.

٢- ضعف الانفاق على مؤسسات التعليم العالي وعد هذه المؤسسات مؤسسات خدمية، في حين انها اهم المؤسسات الانتاجية، الامر الذي يتطلب عد هذا الانفاق انفاقا استثماريا لبناء القدرات العلمية التي تتطلبها مشاريع التنمية المختلفة.

٣- حداثة التعليم العالي في اغلب الاقطار وضعف الافادة من خبرات الدول المتقدمة في هذا المجال.

٤- التوسع الكبير في حجم قبول الطلبة دون تخطيط مسبق يؤخذ في الاعتبار حاجات البلدان العربية من القوى العاملة المدربة، ودون توفير المستلزمات المادية والبشرية التي تتطلبها العملية التعليمية بحدودها الدنيا التي يمكن ان تفضي الى تخريج ملاكات علمية مدربة تدريباً جيداً.

٥- غياب أية مؤشرات تخطيطية للتعليم العالي لتحديد عدد ونوع وحجوم الجامعات وتوزيعها في المناطق المختلفة في المكان والزمان المطلوبين.

٦- غياب اية معايير للجودة والقياس لمؤسسات التعليم العالي ذاتياً او وطنياً من جهات اكاديمية متخصصة.

٧- ضعف الادارات الجامعية في الكثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية.

٨- ضعف التفاعل بين معظم الجامعات ومؤسسات المجتمع المختلفة.

٩- فرض الوصاية السياسية وغيرها على الجامعات بهدف تسييرها على وفق رغبات وتوجهات النخب السياسية الحاكمة في البلدان العربية المختلفة.

١٠- ما زال العديد من الجامعات العربية اسير التقاليد القديمة البالية في مناهجها وطرائق تدريسها واساليب اداراتها.

١١- غياب وجود ستراتيجية واضحة للبحث العلمي على الصعيدين القطري والقومي.

١٢- ضعف التنسيق العربي في مجال البحوث العلمية والدراسات العلمية المشتركة بهدف تعزيز جهود التكامل العلمي العربي.

١٣- غياب الخطط العلمية لبناء قدرات الجامعات العلمية فيما يتعلق بالخطط والبرامج الدراسية واساليب التعليم ومشاريع البحث العلمي واعداد الملاكات العلمية وتطوير قدراتها بصورة دائمة ومستمرة.

١٤- غياب الحريات الاكاديمية الامر الذي يعوق العمل الجامعي بالصورة المطلوبة.

١٥- ضعف الأفادة من تقانات التعليم الحديثة ولاسيما تقانات المعلومات والأتصالات التي باتت تؤدي دورا مهما في نشر التعليم العالي على اوسع نطاق.

من كل ما تقدم يتضح ان هناك حاجة ملحة لاعادة نظر جادة وشاملة في اوضاع التعليم العالي ومؤسساته كي يتمكن من الايفاء بالتزاماته تجاه مجتمعاته بتلبية حاجاتها في التنمية الشاملة في عالم اليوم الذي بات يعتمد المعرفة بمدياتها الواسعة لتحقيق سعادة ورفاهية شعوبها وتقدم نهضة ورقي دولها في عالم سريع التغيير والتطور بمعدلات غير مسبوقة.

سمات التغيير

اصبحت المعرفة اكثر اهمية في التنمية الاقتصادية من رأس المال والمواد الاولية ومصادر الطاقة، وهو امر يتطلب حتما اعادة نظر في اساليب التعليم ونظم الدراسة وطرائق التدريس

ومفردات المناهج الدراسية لضمان تخريج ملاكات علمية مزودة بالعلوم والمعارف المختلفة وقادرة على توظيفها في مجالات الانتاج بكفاية عالية، وكذلك القدرة على توليد المعرفة وانمائها في مجالات العلوم وتحويلها الى منتجات نافعة وتسويقها باسعار تنافسية مناسبة.

والمعرفة بخلاف عناصر الانتاج الاخرى لاتنضب من جراء استخدامها، بل العكس هو الصحيح اذ ان المعرفة تنمو اكثر وتتطور كلما ازداد استخدامها. ولأن الجامعات هي احد اهم عناصر الابداع واثراء المعرفة وانمائها، فان ذلك يدعو الى العناية الفائقة بالجامعات لبناء الملاكات العلمية والتقنية القادرة على الخلق والابداع في حقول المعرفة المختلفة، كي تستجيب الجامعات بصورة افضل الى تاثير عوامل التغيير الفاعلة والمؤثرة في المجتمعات المعاصرة اجتماعيا واقتصاديا وتقنياً وبما ينسجم وحاجات هذه المجتمعات، وهذا يتطلب التفاعل المبدع والخلاق بين الجامعات ومجتمعاتها وطنيا واقليميا.

وكما انتقلت المجتمعات في السابق من عصر الزراعة الى عصر الصناعة وما ترتب على الجامعات من اثار بالغة على الجامعات ساهمت باعادة صياغة اهدافها كي تستجيب لمتطلبات الثورة الصناعية، فانها تشهد الان ثورة اخرى هي ثورة المعلومات التي لا تقل في اهميتها ونتائجها عن نتائج

الثورة الصناعية الاولى اذ تغيرت اساليب ووسائل الانتاج بصورة جذرية اذ لم تعد تعتمد بصورة اساسية على المواد الاولية وعناصر الطاقة والقوى البشرية العاملة، بل باتت تعتمد على المعلومات والمعرفة بوصفها مصدر الثروة والتنمية.

يتطلب مجتمع المعرفة ان يتعلم الناس بصورة مستمرة لمواكبة مستجدات العلوم والتقانة لتأمين فرص عمل مناسبة لهم وتلبية حاجات مجتمعاتهم في مجالات مختلفة مثل الرعاية الصحية والامن الاجتماعي وحماية البيئة وتعزيز القدرة الاقتصادية وتحقيق التنمية الشاملة بجوانبها المختلفة في عالم يشهد تغيرات سريعة في جميع مجالات الحياة.

ويتوقع ان يؤدي اقتصاد السوق المستند اكثر فاكثر الى المعرفة وتقانة المعلومات والاتصالات وشبكة الانترنت دورا حاسما باعادة النظر في هيكلية الجامعات واسلوب عملها وفقدانها للعديد من قيمها واعرافها المتوارثة عبر سنين طويلة. فالجامعات كما هو معروف تعلم المهارات وتنشر المعرفة وتحافظ على الهوية الوطنية لبلدانها من جيل الى اخر، وخلق المعرفة وانمائها ونشر واجراء البحوث العلمية والعمل على توظيف نتائجها لمصلحة المجتمع.

ويتوقع البعض ان تؤدي اساليب التعليم الجديدة ولاسيما تلك الاساليب التي تعتمد على شبكات المعلومات الى تقليص الدور التقليدي للجامعات المتمثل بالتفرغ للدراسة في الحرم الجامعي بصورة منتظمة، ولاسيما ان تكاليف الدراسة بالاساليب التقليدية اخذة في الزيادة عاماً بعد اخر، وهو امر قد يدفع الكثير من الطلبة للدراسة عن بعد عبر شبكات المعلومات في اطار الجامعات الافتراضية. وفي جميع الاحوال فانه يتوقع ان يشهد التعليم الجامعي تنوعاً ثراً في اساليبه وطرائقه ومناهجه ونظمه الدراسية وبما يتيح اوسع فرص التعليم لقطاعات واسعة من الناس بحسب ظروفهم وقدراتهم وحاجاتهم.

ويتوقع ان يصبح التعليم الجامعي حقاً مشاعاً لجميع الناس ومتاحاً لهم في جميع الاوقات والظروف ومستمراً على مدى الحياة ومواكباً للتطورات العلمية والتقنية وملبياً لحاجات الناس بصورة افضل من ذي قبل بحيث تصبح هذه الجامعات جامعات كل الناس ولا تقتصر على فئات معينة منهم.

ولعل ابرز متطلبات التغيير الذي يتوقع ان تشهدها برامج التعليم العالي في المرحلة القادمة هي ان تستجيب هذه البرامج لظروف عمل الطلبة أي ان يكون بوسع الطلبة الجمع بين العمل والدراسة في آن واحد دون الحاجة لتفرغهم التام

للدراسة، وان ترتبط المناهج بصورة اكبر بحاجات العمل ومتطلباته العلمية والتقنية أي ان يرتبط اكثر بسوق العمل.

ويتوقع ان تواجه الجامعات ومؤسسات التعليم ضغوطاً شديدة لترشيد مواردها المالية والبحث عن موارد مالية اضافية لتنفيذ برامجها التعليمية والبحثية، واعتماد وسائل تعليمية وطرائق تدريس اكثر كفاية وفاعلية لنشر التعليم واعداد الملاكات العلمية التي يحتاجها المجتمع بالافادة من تقانات المعلومات والاتصالات على اوسع نطاق ممكن، اذ لم يعد بالامكان تخريج الطلبة عبر وسائل التعليم التقليدية، أي عبر الدراسة داخل الحرم الجامعي فقط حسب متطلبات العمل وتطور حركة السوق في ضوء التطورات العلمية والتقنية وتغير اتجاهات اقتصاد المعرفة ومايتحقق من انجازات وابداعات ومبتكرات عمال المعرفة.

يعتمد اقتصاد المعرفة على شبكات معلومات وفرق عمل ذات مسؤوليات متنوعة، ولأن هذا النمط من الاقتصاد يعتمد بصورة اساسية على تقانات سريعة التطور والتغيير، لذا فان هناك قدر عال من المخاطرة والمنافسة الشديدة في الاسواق. ولأجل تحقيق تنمية اقتصادية شاملة لابد ان تسعى الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الى اعتماد برامج تعليمية مدى الحياة للعاملين في المؤسسات الانتاجية المختلفة واتاحة فرص التعليم

اليهم في أي مكان وفي أي زمان عبر وسائل التقانة المتاحة، وكذلك اعتماد برامج شراكة فاعلة بين الجامعات وهذه المؤسسات بحيث تتكامل البرامج التعليمية ومشاريع البحوث العلمية لتلبي حاجات المؤسسات الانتاجية في المجالات المختلفة.

تشير احدى الدراسات [٢] الى ان ٥٠ مليون عامل في الولايات المتحدة الامريكية أي ما يقارب ٤٠% من قوة العمل يبدلون اعمالهم واماكن عملهم كل عام. وهذا يتطلب تدريب واعادة تدريب افراد القوى العاملة باستمرار في عالم تشهد فيه المعرفة نمواً انفجارياً بصورة اسية في المفاهيم الرياضية المتعارف عليها في الاوساط العلمية. يشير مكتب العمل في الولايات المتحدة الامريكية الى انه في العام ١٩٥٠ كان هناك واحد من كل خمسة عمال يصنف على انه ماهر، ليصبح في العام ١٩٩١ ما نسبته ٤٥% من قوة العمل و٦٥% في العام ٢٠٠٠ مؤشراً على تزايد اهمية التدريب والتأهيل في بناء القدرات العلمية، اذ بات النشاط الاقتصادي يعتمد على القوى العاملة المدربة اكثر من اعتماده على أي شيء اخر. وخلاصة القول ان اقتصاد المعرفة يتطلب تأهيل عمال المعرفة بصورة مستمرة على مدى مدة حياتهم العملية اذ قد يتحول العامل من وظيفة الى اخرى أي عدم الاستقرار في وظيفة معينة كما هو

سائد حالياً في الكثير من دول العالم. وهذا يتطلب ان تكون الجامعات مهيئة تماماً لأستيعاب هذه المتغيرات والتفاعل الايجابي لتلبيتها بصورة فاعلة ومؤثرة لتحقيق مطالب وحاجات مجتمعاتها.

الجامعة المعاصرة

تعد الجامعات محركات اساسية للابداعِ العلمي وتوليد الافكار الجديدة التي يمكن ترجمتها الى ابداعات تجارية وتنمية اقتصادية والجامعات المصدر الرئيسي لخلق المعرفة وانمائها واثرائها وبناء القدرات العلمية والتقنية التي تحتاجها خطط التنمية ولاسيما ان التنمية باتت تعتمد اكثر من اي وقت مضى على المعرفة اذ تستند الاقتصاديات الحديثة على ما بات يعرف بأقتصاد المعرفة.في اقتصاد المعرفة تؤدي المعرفة والافكار المبدعة دوراً مهماً يفوق في اهميته دور رأس المال والمواد الاولية ومصادر الطاقة. لذا اولت الدول الصناعية الكبرى جامعاتها اهتماما خاص لتمكينها من جذب المبدعين والمتميزين ذوي المواهب الخلاقة للالتحاق بهذه الجامعات وتوفير كل اسباب الرقي والتقدم لتفجير طاقاتهم الابداعية الخلاقة وتوظيفها لخدمة مجتمعاتهم وضمان تفوق دولهم على

الدول الاخرى في مجالات العلوم والتقانة وكل ما يترتب على ذلك من قوة وتحكم ونفوذ في العالم.

تتميز الجامعات المعاصرة بسمات عديدة ابرزها الاتي:

١- ان تستجيب الجامعة المعاصرة لحاجات المتعلمين اكثر من استجابتها لحاجات المعلمين.

٢- ان يصبح التعليم الجامعي متاحا للناس بحدود قدراتهم الاقتصادية.

٣- ان يكون التعليم الجامعي متاحا لجميع الناس مدى الحياة بصرف النظر عن اعمارهم.

٤- ان يكون التعليم الجامعي متاحا في الليل او النهار لتمكين الناس من مواصلة تحصيلهم الجامعي في الاوقات المناسبة لهم بحسب ظروف عملهم وارتباطاتهم الاجتماعية والاسرية وذلك بالافادة من تقانات المعلومات والاتصالات وشبكات المعلومات وغيرها.

٥- ان تسعى الجامعات الى تنويع برامجها العلمية على اوسع نطاق ممكن.

٦- ان تسعى الجامعات الى مد الجسور مع مؤسسات المجتمع المختلفة واقامة تعاقدات وشراكات حقيقية في مجالات البحوث والدراسات لتأمين الافادة المثلى منها

عبر صيغ عديدة ابرزها مشاريع الحاضنات التقنية والمدن العلمية وغيرها.

٧- ان تسعى الجامعات الى حفظ الهوية الوطنية واثراء المعرفة العلمية وابراز التراث العلمي العربي والاسلامي.

٨- ان تسعى الجامعات الى التفاعل المبدع والخلاق مع ثقافات وحضارات العالم المختلفة من منطلق حوار الحضارات وتعدد الثقافات.

٩- لايشترط تفرغ الطلبة التام للدراسة وانما يمكن الجمع بين العمل والدراسة في مرحلتي الدراستين الاولية والعليا وبذلك يتوقع شيوع نظام الدراسة الجزئي والدراسات المتناوبة والتعليم الموازي والتعليم الافتراضي وغيرها اكثر فأكثر لضغط نفقات الدراسات الجامعية من جهة واتاحة فرص التعليم للعاملين في المؤسسات لرفع قدراتهم العلمية والمهاريةوالاطلاع على اخر مستجدات العلوم والتقانةمن جهة اخرى.

١٠- يتوقع ان تكون الجامعات الافتراضية والالكترونية ابرز انماط التعليم الجامعي في القرن الحادي والعشرين.

١١- ان تسعى الجامعات بأستمرار الى ايجاد مصادر بديلة للتمويل الحكومي لتأمين تمويل برامجها العلمية

والبحثية ، ولايمكنها تحقيق ذلك الا اذا اندمجت تماما بمجتمعاتها واسهمت بحل المعضلات التقنية التي تعترض برامجها التنموية بنجاح، اذ لم يعد يكفي انجاز البحوث العلمية الاصيلة والمبتكرة مالم يكن بالامكان تسويق هذه البحوث والافادة من نتائجها.

١٢- تجذب الجامعات الرصينة عادة ابرز الكفايات العلمية الاكثر عطاء وابداعا في مجتمعات المعرفة، ولان المعرفة باتت تشكل عصب حياة هذه المجتمعات لما لها من دور مهم جدا في التنمية وتحقيق اسباب الرفاهية والامن والامان، خاصة لعمال المعرفة وذلك بتهيئة البيئة العلمية التي يتفتح فيها الابداع وتنمو فيها المعرفة الى ابعد مدياتها والافادة منها بأكبر قدر ممكن.ويتميز عمال المعرفة بحس مرهف وذوق رفيع. لذا يصبح ضروريا تهيئة الاجواء المناسبة لهم من عيش كريم وبيئة علمية وتقنية متطورة وتوفير جميع مستلزمات البحث والتطوير وسبل الافادة الفاعلة من نتائج البحث العلمي الذي ينبغي ان يكون بحثا علميا راقيا ومتقدما عبر نظم بحثية وعلمية فاعلة ومؤثرة وقادرة على توجيه حركة البحث العلمي بما يخدم برامج التنمية الشاملة.

١٣- يبدو بعض الجامعيين خشية من تزايد اهتمام الجامعات بالبحوث التطبيقية على حساب البحوث العلمية الاساسية اذ يلاحظ زيادة التخصيصات المالية من المؤسسات الصناعية لدعم البحوث التطبيقية، يقابل ذلك نقص في التخصيصات المالية المعتمدة للبحوث الاساسية. لذا ينبغي ان تولى الجامعات البحوث الاساسية اهتماما خاصا باعتماد الاليات المناسبة لتحقيق هذا الغرض.

١٤- لايقتصر اهتمام الدول بالجامعات على حكوماتها فقط، بل انه يشمل جميع مؤسساتها الانتاجية، ففي الولايات المتحدة الامريكية التي تمثل اكبر قوة اقتصادية وتقنية في العالم في عصرنا الراهن، يلاحظ ازدياد تمويل البحث والتطوير الاكاديمي بين الاعوام ١٩٧٠و١٩٩٧ من ٢,٦% الى ٧,١% وازداد عدد الاختراعات العلمية للمؤسسات الجامعية بصورة اسية، اذ حصلت المائة جامعة بحثية الاكثر تقدماً على ١٧٧ براءة اختراع عام ١٩٧٤ لتصبح ٤٠٨ عام ١٩٨٤ و١٩٨٦ عام ١٩٩٤ [٣].

١٥- يتوقع ان تفرض الجامعات في الدول الصناعية الكبرى قيودا كثيرة على قبول الطلبة الاجانب للدراسة

في تخصصات علمية وتقنية متقدمة بـــدعاوى امنيـــة، وكذلك فرض قيود النشر على بعض البحوث العلميـــة في تخصصات علمية معينة بدعاوى حماية حقـــوق الملكية الفكرية[٤].

الخاتمة

ينبغي ان يشهد التعليم العالي تغييـــرا جـــذريا كـــي يســـتجيب بصورة افضل لمتطلبات العصر في عـــالم يشـــهد تغييـــرات وتطورات كثيرة وسريعة جدا، ويزداد فيه الترابط بين الـــدول وتأثير بعضها على البعض الاخر في اطار اقتصـــاد العولمـــة ونشاط الشركات المتعددة الجنسيات وانتقال الاموال والقـــوى العاملة من بلد الى اخر حسب حاجات ســـوق العمـــل بيســـر وسهولة. ولعل ابرز هذه المتطلبات في الكثير من دول العـــالم ولاسيما الدول المتقدمة ان تستجيب برامج الجامعات ومناهجها الدراسية لتأمين تخريج علماء ومهندسين قادرين على العمـــل في بيئات مختلفة دونما عناء لاعادة تـــأهيلهم اي ان يكونـــوا

قادرين على الاندماج فورا في تلك المجتمعات، وهذا يتطلب درجة عالية من التنسيق والتطابق في اساليب التدريس ومفردات المناهج الدراسية، اي بعبارة اخرى تخريج مهندسين وتقنيين بمواصفات عالمية اكثر منها مواصفات محلية. ولايقصد بالمواصفات العالمية هنا الغاء الخصوصيات الوطنية لكل من البلدان. لذا يتوقع ان يزداد الترابط بين الجامعات والمؤسسات الصناعية على الصعيدين المحلي والعالمي اذ لم يعد كافيا ان تتعاون الجامعات مع المؤسسات الوطنية في انجاز البحوث والدراسات وتوظيف نتائجها لتعزيز جهود التنمية في بلدانها، بل اصبح عليها لزاما ان تمد جسور التعاون مع مؤسسات صناعية كبيرة وقادرة على توظيف الابداعات والانجازات العلمية والتقنية بصورة اوسع واكثر شمولية.

المصادر

١-تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ نحو اقامة مجتمع المعرفة.

برنامج الامم المتحدة الانمائي/ الصندوق العربي للانماء الاقتصادي/ المكتب الاقليمي للدول العربية

2- Jorge Klor De Alva

Remaking The Academy in the Age of Information Issues in S. and T. on line, winter1999.

3- Richard Florida
The Role of universities: Leveraging Talent, not Technology

4- Poul E. Gray
Security Versus Openess: The Case of universities
Issuse in S.and T. on line, Summer,2003

٥ .جريو ،داخل حسن
التعليم العالي في العراق وبعض متطلبات الاصلاح
مجلة المجمع العلمي العراقي،المجلد ٥١،العدد ١،لسنة ٢٠٠٤ .

تقنيات حديثة لمشاهدة الذرات والجزيئات وتجمعاتها وتحركاتها

أ. د. جلال محمد صالح
جامعة بغداد

الملخص :

أُستخدمتْ خلال العقود الثلاثة الأخيرة تقنيتان مهمتان لغـرض أبصار الذرات والجزيئات وتجمعاتها على شاشة فلورسينية ، ولمتابعة تحركات وتفاعلات تلك الدقائق بالعين المجردة . والتقنيتان هما : تقنية انبعاث الإلكترونات المجالي (Field – Electron Emission) وتقنية انبعاث الأيونات المجالي (Field – Ion Emission) . تعتمد التقنيـة الأولى على استخدام كاثود (مهبط Cathode) فلزي على هيئة مدببة حادة النهاية (Sharp Metal Tip) . ونظراً لصغر هذه النهاية الفلزية فانها تؤلف بلورة منفردة (Single Crystal) ذات مستويات بلوريـة واضحة المعالم . وتُلْحَم النهاية المدببة بعد ذلك بوسط سلك دقيق مـن التنكستن الذي يكون على شكل الحرف الإنكليزي U وتُلحم نهايتا هـذا السلك بقطبين من التنكستن وبذا يتيسر تسخين سلك التنكستن متى مـا أريد وذلك بامرار تيار كهربائي مناسب فيه . ويـتم تركيـب الكـاثود (النهاية الفلزية المدببة) وسلك التنكستن الذي يحملها في مركـز دورق زجاجي كروي (او مخروطي) الشكل بحيث تتجه النهاية المدببة نحو لجدار الداخلي المقابل للدورق (الشكل ٣) . وهذا الجدار المقابل تماماً

للنهاية الفلزية المدببة يُكسى بطبقة رقيقة من كلوريد القصدير ($SnCl_2$) ليصبح موصلا جيداً للتيار الكهربائي ، ثم تُغطى هذه الطبقة الموصلة بمادة فلورسينية كي تصبح بمثابة شاشة يمكن عرض الصور الالكترونية عليها . وترتبط الشاشة من خلال سلك قصير موصل بالانود (المصعد Anode) الذي يتم تسليط فولتية عالية (موجبة) تصل الى عدة كيلو فولتات عليه . تكون المسافة بين الشاشة الفلورسينية المربوطة بالانود والنهاية الفلزية المدببة التي تقوم مقام الكاثود بحدود(١٠-١٥) سنتمتر. فعند تسليط مجال كهربائي عالٍ بين الانود المربوط بالشاشة والنهاية الفلزية المدببة (الكاثود) تنبعث الالكترونات من المستويات البلورية المختلفة التي تقع على سطح النهاية المدببة ، وتكون مسارات الالكترونات المنبعثة عمودية على المستويات البلورية التي انبعثت منها. ويسمى هذا بالإسقاط العمودي (Orthographic Projection) وتسير تلك الإلكترونات بخطوط مستقيمة لتسقط على الشاشة الفلورسينية مولدة صورة مكبرة للمستويات البلورية الباعثة للإلكترونات. وتتالف الصورة المستحصلة (الشكل ٥) على بقع مضيئة وأخرى معتمة. والبقع المضيئة تنجم عن الكثافة العالية نسبياً للإلكترونات المنبعثة من المستويات البلورية. اما البقع المعتمة او الأضعف إضاءة فانها تشير الى المستويات البلورية التي انعدم منها الانبعاث الإلكتروني او كان الانبعاث الإلكتروني منها بكثافة ضعيفة. فالصورة التي تستحصل على الشاشة الفلورسينية هي اذن صورة مكبرة (بحوالي مليون مرة) للمستويات البلورية المختلفة التي يشتمل عليها سطح النهاية المدببة ، فهي اذن بمثابة خارطة للمستويات البلورية المختلفة لسطح النهاية الفلزية المدببة .

وتتناسب شدة الالكترونات المنبعثة من أي مستوى بلوري مع كثافة الذرات التي تؤلف بنية ذلك المستوى وعلى اسلوب رصّ تلك الذرات وطبيعة الترابط الاصري الذي يجمع ذرات المستوى معاً. وتعتمد درجة التكبير في الصورة المستحصلة على نسبة بُعد النهاية المدببة عن الشاشة وعلى نصف قطر تقوس النهاية المدببة، بالاضافة الى اعتمادها على عامل هندسي معين. والامتزاز الكيميائي لغاز او بخار على سطح النهاية المدببة يسبب تغييراً ملحوظاً في كثافة الالكترونات المنبعثة من المستويات البلورية وفي الصورة المستحصلة على الشاشة. ويمكن التعرف على طبيعة تأثيرات الدقائق الممتزة على المستويات البلورية من تحليل الصورة التي تسجل على الشاشة ومن قياسات قيم مَعلمات معينة .

اما في التقنية الثانية (تقنية انبعاث الأيونات المجالي) فان النهاية الفلزية المدببة تصبح بمثابة الانود والشاشة الفلورسينية بمثابة الكاثود . ويتم ادخال غاز الهيليوم تحت ضغط (١, ٠) باسكال في الدورق. وعند تسليط مجال كهربائي عالٍ بين القطبين تتأين ذرات الهيليوم حال اصطدامها بسطح الانود، فيتم عندئذٍ تعجيل ايونات الهيليوم الموجبة المتكونة فتتحرك باتجاه الشاشة الفلورسينية مكونة صورة مرئية للنهاية الفلزية المدببة . ويصل التكبير في الصورة بهذه التقنية الى حوالي (١٠) ملايين مرة . اما المميز (**Resolution**) فيصل فيها الى حولي (٣) انكستروم مقارنة بـ (٢٠) انكستروم في التقنية الاولى. ومثل هذا التكبير والميز يتيحان ابصار وتمييز الذرات والجزيئات المنفردة الاعتيادية ومتابعة تحركاتها وتفاعلاتها على الشاشة . اما في التقنية الاولى فلن يكون بالامكان الا رؤية الجزيئات العيانية الكبيرة

وتجمعاتها . والامتزاز الكيميائي على النهاية الفلزية المدببة من شـأنه تغيير طبيعة الصورة المتكونة بتقنية انبعاث الأيونات المجالي ، وكذلك تغيير بعض المعلمات ذات العلاقة بالمستويات البلورية المختلفة .

تمهيد :

هناك عدة تقنيات في يومنا هذا لمشاهدة الذرات والجزيئات وتجمعاتها ولمتابعة تحركات وتفاعلات هذه الدقائق على شاشة فلورسينية بالعين المجردة . وسنشير في هذه الدراسة الى تقنيتين مهمتين منها والى بعض استخداماتها في مجال العلم والبحث العلمي . والتقنيتان هما :

١. تقنية انبعاث الالكترونات المجالي Field–Electron Emission Technique وتدعى مجموعة الاجهزة والمعدات التي تُعين على ذلك في هذه التقنية بـ ((مجهر انبعاث الالكترونات المجالي)) Field–Electron Emission Microscope .

٢. وتقنية انبعاث الايونات المجالي Field – Ion Emission Technique ، والاجهزة والمعدات المرتبطة بتنفيذ هذه التقنية تدعى بـ ((مجهر انبعاث الايونات المجالي)) Field – Ion Emission Microscope .

وواضح من عنواني التقنيتين ان انبعاث الالكترونات او الايونات يتم من خلال تسليط مجال كهربائي . وسنتطرق فيما ياتي الى الاسس العامة لكل من التقنيتين والى بعض اهم استعمالات كل تقنية في الدراسات والبحوث العلمية في العالم .

١. تقنية انبعاث الالكترونات المجالي Field–Electron Emission Technique

استناداً الى نظرية الالكترونات الحرة (Free Electron Theory) في الفلزات تكون اوطا مستويات الطاقة الالكترونية في الفلزات ممتلئة كلياً بالالكترونات ، ويكون لكل زوجين من تلك الالكترونات برمين متخالفين في الاتجاه (Two Opposite Spins) . اما اعلى مستويات الطاقة

الالكترونية في الفلزات فقد لا تكون ممتلئة كلياً بالالكترونات. تدعى طاقة أعلى مستوى طاقة ممتلئة بالالكترونات في الفلزات بدرجة صفر كلفن بـ ((طاقة مستوى فيرمي)) (Fermi Level Energy) .

وعلى هذا فان اقل طاقة لازمة لتحرير الكترونات من فلز في هذه الدرجة الحرارية تقدر بفرق الطاقة بين طاقة الالكترون في مستوى فيرمي (ويرمز اليها بـ E_F) وطاقة الالكترون عند إخراجه من الفلز الى بُعد ما لا نهاية من سطحه (وتقدر بـ E_V) ، ويقال عندئذ بان الالكترون قد بلغ حالة السكون ، ويتحقق ذلك في الفراغ حيث يصبح سطح الفلز بعيداً عن تأثير الهواء والغازات .

ووصف حالة الالكترون بالسكون عند بلوغه الى تلك النقطة ناجم عن فقدان الالكترون لطاقته الحركية كاملة عند بلوغه الى نقطة تبعد ما لا نهاية عن سطحه . فالالكترون عندما يكون داخل الفلز فانه يخضع لقوة جذب الفلز (قوة جذب الشحنات الموجبة في الفلز) لـه ، وتقل حرية حركة الالكترون وطاقته الحركية كلما أُبعدَ الالكترون بفعل خارجي عن تاثير قوة الجذب الداخلي. وعندما يصل الالكترون الى بعد ما لا نهاية من سطح الفلز تنخفض طاقته الحركية الى الصفر ، ويقال بان الالكترون قد بلغ حالة السكون. والالكترون الذي فقد طاقته الحركيـة كلياً هو الكترون ساكن ولكنه لا يتأثر الان بقوة جذب الفلز له . واذا اريد الان تحريك الالكترون باتجاه معين فينبغي وضعه تحت تاثير قوة جذب خارجي . فالطاقة الصغرى لاخراج الالكترون من مستوى فيرمي (وطاقته عنده E_F) وايصاله الى نقطة السكون خارج الفلز حيث يصبح الالكترون عندها حراً وبعيداً عن تاثير جذب الفلز له (وتبلغ طاقته الكامنة عندئذ E_V) تتمثل بـ :

$$(E_V - E_F) = \phi \qquad \dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots (1)$$

فالطاقة الصغرى لتحرير الالكترون من الفلز تساوي اذن فرق الطاقة بين E_V و E_F ، أي الى المقدار $(E_V - E_F)$ والذي يساوي دالة الشغل الالكتروني (Electron Work Function) للفلز، وتقاس قيمة ϕ بوحدات الالكترون فولت (eV). فدالة الشغل الالكتروني لفلز هي اذن اقل طاقة لازمة لتحرير الكترونات من الفلز. وكلما كانت قيمة ϕ صغيرة قلت الطاقة اللازمة لتحرير الالكترون من الفلز، وبالعكس تزداد الطاقة اللازمة لتحرير الالكترونات من الفلز بازدياد قيمة ϕ (لاحظ الجزء الايسر من الشكل ١) .

واستناداً الى نظرية الكم (Quantum Theory) هناك احتمال محدد للاكترونات التي تمتلك طاقة فيرمي في فلز للتحرر من الفلز وان لم تكن تمتلك الفرق الطاقي $(E_V - E_F)$، أي وان لم تتوفر له طاقة دالة الشغل الإلكتروني ، وذلك من خلال اختراق حاجز الطاقة الذي يعيق تحرره وفقاً لما يسمى بتأثير النفق (Tunnel Effect). وهذا يشير الى وجود بعض الاحتمال لبعض إلكترونات الفلز في التحرر عن الفلز والانطلاق الى خارجه بعيداً عن تأثير جذب الفلز لها من خلال إيجاد نفق في حاجز الطاقة ، فإذا استطاع الإلكترون إيجاد مثل هذا النفق في حاجز الطاقة فانه يستطيع التحرر من الفلز دون الحاجة الى تملكه لفرق الطاقة $(E_V - E_F)$ والذي يقدر بـ ϕ. ونظرية الكم تتنبأ بوجود مثل هذا الاحتمال ، اما تحقيق هذا الهدف عملياً فانه ليس بسهل المنال دون إحداث بعض التغييرات في حاجز الطاقة نفسه. اذ ان احتمال اختراق الالكترون لنفق في حاجز الطاقة يكون اكبر اذا كان النفق قصيراً لا يمتد مسافة طويلة خلال حاجز الطاقة . وتقصير النفق بهذا

الشكل لا يتحقق الا اذا تم تسليط مجال كهربائي جذبي على الفلز ، ومثل هذا المجال المسلط سوف يعمل على تغيير شكل حاجز وعرضه أي مقدار امتداده خارج الفلز .

ان جهد الكهروسكوني (Electrostatic Potential) للالكترونات التي تكون قريبة من سطح الفلز يمثل القوة المعيقة لهروب الالكترونات من الفلز وهو يتناسب مع حاجز الطاقة الذي يعترض تحرر الالكترونات من سطح الفلز. وقيمة الجهد الكهروسكوني هذا تقرب من قيمة دالة الشغل الالكتروني (أي يساوي ϕ) . والجهد الكهروسكوني هذا يقل تدريجياً كلما ابتعد الالكترون من قوة جذب الفلز له الى ان يتلاشى كلياً وتصل قيمته الصفر اذا ما كان المجال المسلط على الفلز مناسباً وكافياً . فاذا كان المجال المسلط على الفلز عالياً بحدود (١) فولت على الانكستروم (او حوالي 10^{8} فولت على السنتمتر) فان المسافة التي يلزم على الالكترون قطعها كي يصل الى خارج تاثير الجهد السكوني تكون بحدود (٤-٥) انكستروم. وعلى هذا فانه اذا تم تسليط مجال كهربائي (جذبي) بهذه الشدة على سطح الفلز فانه يصبح بامكان الكترونات مستوى فيرمي التحرر والانبعاث من سطح الفلز دون وجود الحاجة الى تسخين الفلز الى اية درجة حرارية اعلى من درجة الحرارة الاعتيادية . ويوصف مثل هذا الانبعاث الالكتروني عندئذ بانه انبعاث بارد (Cold Emission).

يلاحظ في الشكل (١) منحنى الطاقة الكامنة للالكترونات في فلز في غياب (الجزء الايسر من الشكل) ووجود (القسم الايمن من الشكل ١) مجال كهربائي عالي مسلط على الفلز . فالارتفاع B6 في

الشكل يمثل سطح الفلز ، اما المقدار AB ، من الارتفاع هذا فانه يمثل ارتفاع حاجز الطاقة الذي يقاوم تحرر وهروب الإلكترونات من الفلز ويساوي دالة الشغل الإلكتروني (ϕ) للفلز ، حيث :

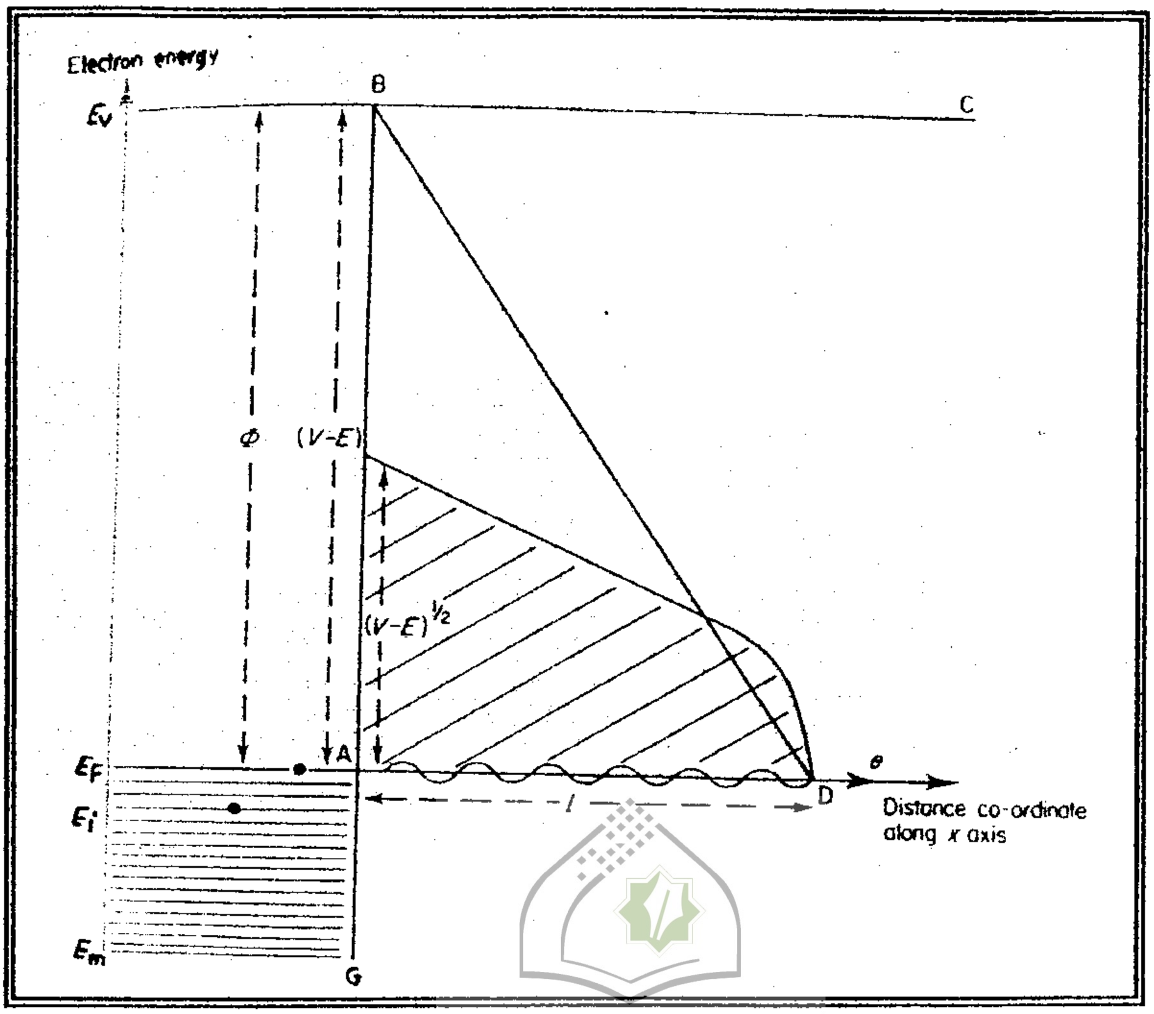
$$\phi = E_V - E_F = V - E \quad \text{.......................... (2)}$$

وقد تم تعريف E_V وE_F فيما مضى، اما V و E فهما يمثلان على التوالي الطاقة الكامنة والحركية للالكترون المتسرب من الفلز عبر النفق في حاجز الطاقة . ففي غياب المجال المسلط على الفلز فان حاجز الطاقة الذي يمنع تحرر وهروب الالكترونات من الفلز يتمثل بـ ABC في الشكل (١) ، وBC يمثل عرض حاجز الطاقة . وبتسليط مجال كهربائي تبلغ شدته F على سطح الفلز (حيث $F = \phi/\ell$ و ℓ يمثل عرض حاجز الطاقة) يصبح لحاجز الطاقة مظهر جانبي مثلث الشكل والذي يتمثل بالمثلث ABD الذي يتمتع بعرض مقدار ℓ عند مستوى فيرمي ، وهو يمثل عرض النفق الذي سيخترقه الالكترون . اما المساحة المظللة في الشكل (١) والتي تكون قريبة من شكل مثلث فتقدر قيمتها بالمقدار :

$$\int_0^{\ell} (V - E)^{1/2} dx \cong \frac{1}{2} \phi^{3/2} / F \quad \text{.......................... (3)}$$

واحتمال (P) اختراق الإلكترون للحاجز عبر النفق في المستوى الطاقي E_i (الشكل ١) الذي يقع تحت طاقة مستوى فيرمي البالغة E_F يتناسب مع المقدار :

$$P \propto \exp\left[-(\phi + E_F - E_i)^{3/2} / F\right] \quad \text{.......................... (4)}$$



الشكل (١) ــ منحني الطاقة الكامنة للالكترونات في فلز في غياب ووجود المجال الكهربائي المسلط عليه . BG يمثل سطح الفلز و AB يمثل حاجز الطاقة الذي يساوي ارتفاعه دالة الشغل الالكتروني ϕ للفلز والتي يتم تعريفها بموجب العلاقة $\phi = E_V - E_F = V - E$ حيث E_V و E_F هما على التوالي مستوى الطاقة الكامنة للالكترون الذي بلغ حالة السكون خارج الفلز ومستوى طاقة فيرمي للفلز . اما E و V فهما على التوالي الطاقتان الحركية والكامنة للالكترون المتحرر من الفلز عن طريق ايجاد نفق في حاجز الطاقة . ففي غياب المجال المسلط على الفلز يمثل حاجز الطاقة بـ ABC حيث BC هو عرض حاجز الطاقة . وبتسليط مجال كهربائي بشدة F حيث $F = \phi / \ell$ يصبح لحاجز لطاقة مظهر مثلث مثل ABC الذي يبلغ عرضه ℓ عند مستوى فيرمي والذي يلزم على الالكترون اختراقه لغرض التحرر من قوة جذب الفلز له . اما المساحة المظللة في الشكل فهي شبه مثلثة وتحسب قيمتها من العلاقة :

$$\int_0^{\ell} (V - E)^{1/2} dx \cong \frac{1}{2} \phi^{3/2} / F$$

الملامح الاساسية لتقنية انبعاث الالكترونات المجالي

تتلخص الملامح الأساسية لتقنية انبعاث الإلكترونات المجالي بتسليط مجال كهربائي شديد (بحدود 10^8 فولت على السنتمتر) على نهاية مدببة لفلز (Metal Tip)، فيسبب مثل هذا المجال المسلط تغييراً وتعديلاً في شكل حاجز الطاقة الذي يعيق تحرر وانبعاث الالكترونات من الفلز . فالمجال العالي المسلط يسبب تقليصاً في عرض حاجز الطاقة (المقدار ℓ في الشكل ١) كي يصبح بحدود (٤–٥) انكستروم فيسهل على الكترونات النهاية الفلزية المدببة اختراقه والسريان من خلال مسار نفقي (Tunneling) فتنطلق الإلكترونات الى خارج النهاية المدببة بدرجة الحرارة الاعتيادية ودون اللجوء الى تسخين الفلز الى أية درجة حرارية أعلى ، وهذا ما دعوناه بانبعاث الالكترونات المجالي . ويتم الحصول على المجال العالي (~ 10^8 فولت على السنتمتر) باستعمال نهاية فلزية مدببة يكون نصف قطر (r) تقوسها (Radius of Curvature) بحدود 10^{-4} الى 10^{-5} سنتمتر. وبتسليط جهد يتراوح من (٣–١٥) كيلوفولت بين النهاية الفلزية المدببة وأنود يبعد عنها مسافة مناسبة يصبح بالإمكان احداث انبعاث الإلكترونات من النهاية المدببة . ويتم توجيه الالكترونات المنبعثة نحو انود (Anode) الذي يتصل بشاشة فلورسينية . والنهاية الفلزية في هذه التقنية تكون بمثابة الكاثود (Cathode) ، ونظراً لان انبعاث الالكترونات منها يحدث في درجة الحرارة الاعتيادية ، فان انبعاث الالكترونات يوصف بالانبعاث البارد (Cold Emission) . وهذا فان الالكترونات المنبعثة من الكاثود البارد (النهاية الفلزية المدببة) تسير نحو الشاشة الفلورسينية المتصلة بالانود ، وتسقط عليها مكونة صورة مكبرة

للنهاية الفلزية علـى الشاشة الفلورسينية . ومعلوم ان النهاية الفلزيـة المدببة يتم تحضيرها بطريقة النمش الكهربائي (Electro–etching) فتتآكل تدريجياً وهي مغمورة في وسط الكتروليتي حتى تصبح نهايـة الفلـز المغمور في الالكتروليت في غاية الدقة بحيث يصعب رؤيتها تحـت المجهر باستعمال تكبير يصل الى ١٠٠٠ مرة في الاقل .

ان الالكترونات المنبعثة من الكاثود (النهاية الفلزية المدببـة) تضيء الشاشة الفلورسينية عند سقوطها عليها مولدة صـورة مكبـرة للمستويات البلورية الواقعة على سطح النهاية الفلزية المدببة ، ويتوقف مقدار التكبير على المسافة التي تفصل الكاثود (النهاية الفلزية لمدببة) والانود (الشاشة الفلورسينية) وعلى نصف قطر النهاية الفلزية كمـا سنأتي الى شرح ذلك في الموضوع اللاحق . وإذا وجـدت جزيئـات كبيرة او تجمعات جزيئية على أي مستوى بلوري مـن المـستويات البلورية للنهاية المدببة فسوف ينعكس أثرها في الصورة التي تظهـر على الشاشة واذا كانت الجزيئات او تجمعاتها قادرة على الحركة على المستويات البلورية للنهاية الفلزية فسوف تظهر اثار هذه الحركة ايضا على الشاشة الفلورسينية .

تخضع كثافة التيار الكهربـائي i (أي كثافـة الإلكترونـات المنبعثة) الذي يمر في دائرة الكاثود/الانود والمنبعث بتأثير المجـال الكهربائي المسلط الذي تبلغ شدته F الـى معادلـة فاوكرونوردهـايم (Fowler – Nordheim Equation) الآتية :

$$i = 6.2 \times 10^{6} (\phi / E_F)^{1/2} (\phi + E_F)^{-1} F^2 \exp(-6.8 \times 10^{17} \phi^{3/2}/F) \quad \text{........} (5)$$

ويتم تعريف المجال الكهربائي (F) بدلالة العلاقة :

$$F = k V / r \qquad \text{.......................................(6)}$$

و V هو الفولتية المسلطة و r نصف قطر النهاية الفلزية المدببة و k ثابت .

ان احتمال اختراق الالكترونات الواقعة عند سطح فلز لحاجز الطاقة من خلال اختراق الحاجز عبر نفق يعتمد على حالة الطاقة E للالكترونات الموجودة عند سطح الفلز . يتم تقدير عدد الالكترونات التي تمتلك طاقة تتراوح من E الى E+dE يمكنها الانبعاث من مساحة سطح تبلغ (١) سنتمتر مربع في الثانية الواحدة بدلالة المقدار N(E)P(E)dE.

ان فيض الإلكترونات المنبعثة من الكاثود هو حاصل ضرب احتمالية الاختراق P(E) وعدد N(E) من الإلكترونات في مستوى الطاقة E الذي يصل الى مساحة (١) سنتمتر من سطح الفلز المدبب في الثانية الواحدة . وانه بالنسبة الى أنموذج الإلكترون الحر الذي يتحرك على محور واحد يكون عامل الاحتمالية P(E)،

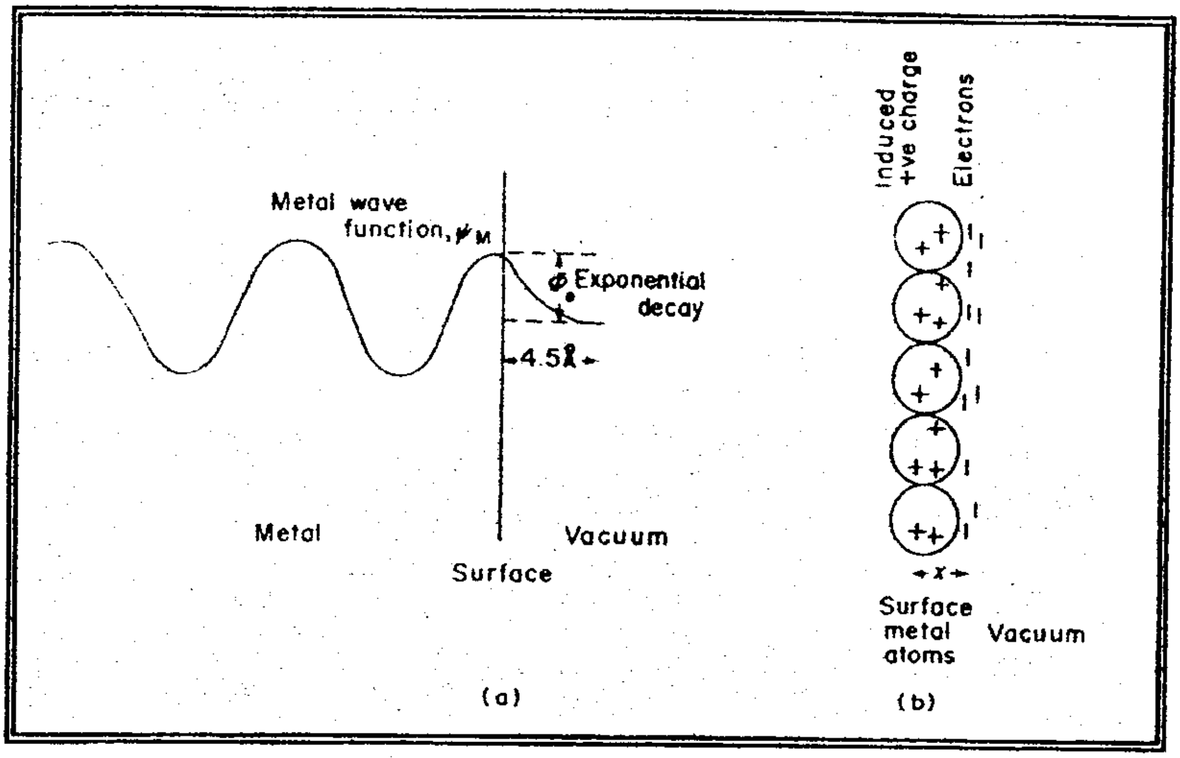
$$P(E) = a \exp[-b\int_0^{\ell} (V-E)^{1/2} \qquad \text{..................... (7)}$$

و E و V في هذه المعادلة هما الطاقتان الحركية والكامنة للالكترونات التي تخترق حاجز الطاقة عبر النفق على التوالي ، ℓ عرض حاجز الطاقة ، اما a و b فهما ثابتان . وعندما يكون الانموذج مبسطاً فان حاجز الطاقة ياخذ شكل مثلث مع الاحداثيات : $(V-E) = \phi$ عند سطح الفلز (حيث x = 0) وعند قيمة $(V-E) = 0$ على بعد معين خارج سطح الفلز حيث يكون $x = \ell$ (الشكل ١). ويتم تقدير المساحة من قيمة

التكامل في المعادلة (4) والتي تساوي مساحة المثلث الذي يقدر ارتفاعه بـ $\phi^{1/2}=(V-E)^{1/2}$ وطول قاعدته يبلغ $\ell=\phi/F$ ويمكن تقريب قيمة التكامل من المقدار $\phi^{3/2}/2F$.

ان جهد الصورة المستحصلة للنهاية المدببة من جراء الالكترونات المنبعثة منها والساقطة على الشاشة الفلورسينية ينجم من جراء اعادة توزيع الكثافة الالكترونية المنطلقة من السطح الفلزي . ويكون شكل دالة الموجة الالكترونية داخل الفلز تذبذبية ولكن الدالة تتلاشى اُسياً خارج السطح لتكوين شحنة سالبة (الشكل٢) . تتكون بالتاثير شحنات مخالفة داخل الفلز . وتدعى التاثيرات المتبادلة الكهروسكونية بين الالكترونات وشحنة الصورة الموجبة داخل الفلز بـ ((جهد الصورة)) Image Potential. ان المستويات البلورية الاكثر تراصاً تتصف بمعامل بلورية منخفضة وتمتلك جهود صورة كبيرة ، وكذلك بقيمة عالية لدالة الشغل . ويتغير جهد الصورة مع تغير معامل المستويات البلورية التي تقع على سطح النهاية الفلزية المدببة . فعلى سبيل المثال تكون قيمة دالة الشغل (ϕ) للمستوى البلوري (100) للتنكستن اعلى بحوالي (٠,٣) الكترون فولت عن قيمة هذه الدالة للمستوى البلوري (III) لنفس الفلز .

ولما كانت كثافة تيار الانبعاث الالكتروني من النهاية الفلزية المدببة تتغير اسياً مع المقدار $\phi^{3/2}$ ، لذا فان اية تغيرات طفيفة في قيمة دالة الشغل (ϕ) بمقدار (٠,٠١) الكترون فولت سوف تسبب تغيرات ملحوظة في كثافة تيار الالكترونات المنبعثة من النهاية المدببة .



الشكل (٢) ـ جهد الصورة :

(a) عند سطح الفلز ـ تتحول دالة الموجة التذبذبية للالكترون في الفلز الى دالة انحلال اسية ، فتقل الطاقة الكامنة للالكترونات من ϕ_e (دالة الشغل المؤثرة) الى الصفر عند ابتعادها مسافة 4.5 انكستروم (او اكثر) من السطح .

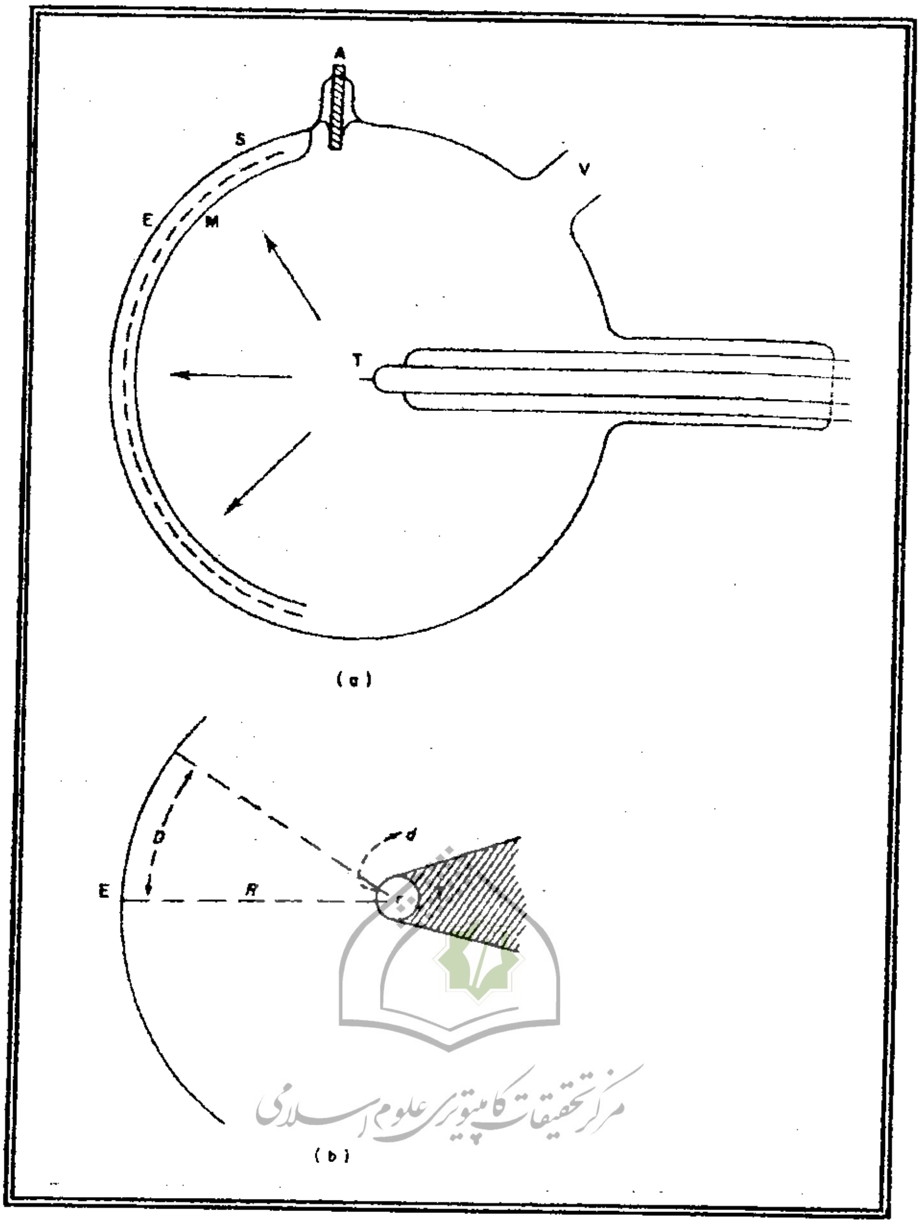
(b) الشحنة الالكترونية خارج السطح ـ تنشأ خارج سطح الفلز شحنة مخالفة بعملية الحث ، وتكون هذه الشحنة مساوية (من حيث القيمة) للشحنة داخل الفلز . وتزداد حصيلة هذه الشحنات كلما زادت الكثافة الذرية للسطح . يتم حساب جهد الصورة من العلاقة $e^2/4x$ حيث e الشحنة الالكترونية و x المسافة الفاصلة بين طبقتي الشحنات الداخلية والخارجية .

مجهر الانبعاث الإلكتروني Electron Emission Microscope

يكون هذا المجهر على هيئة غلاف زجاجي كروي (او مخروطي) الشكل يتم اكساء جداره الداخلي جزئياً بمادة شاشة فلورسينية ، بحيث تحيط هذه الشاشة بنهاية فلزية مدببة التي تقوم مقام الكاثود في دائرة كهربائية . اما الانود (عند جهد الارض) يكون عادة موصلاً كهربائياً يكسى جيداً بمادة الاكوادك (Aquadag) ويتم ربط هذا الموصل بالشاشة الفلورسينية . والاكوادك مستحلب كرافيتي تكسى بها السطوح العازلة او شبه العازلة لزيادة قدرتها على ايصال التيار الكهربائي .

وبتسليط مجال كهربائي عالي الشدة في الدائرة الكهربائية بين الكاثود والانود تنبعث الالكترونات من النهاية المدببة بطاقة حركية صغيرة ولكن بالامكان زيادة هذه الطاقة بتاثير المجال الكهربائي فتتسرع الالكترونات في مسارها نحو الانود (أي نحو الشاشة الفلورسينية) وتسير على امتداد خطوط القوة للمجال الكهربائي المسلط والتي تكون عمودياً على سطح النهاية المدببة ، متجهة نحو الشاشة الفلورسينية . وتتوقف شدة السطوح للصورة المستحصلة على الشاشة مع فيض الالكترونات المصطدمة بها . والصورة المستحصلة هي صورة مكبرة للنهاية الفلزية المدببة (الشكل٣) .

تكون النهاية الفلزية المدببة على هيئة نصف كرة متناهية في الصغر وتؤلف هذه النهاية(نصف الكروية) بلورة منفردة (Single Crystal) تشتمل على عدد كبير من المستويات البلورية التي تتباين عن بعضها البعض في قيم دوال الشغل (ϕ) . وتكون الصورة الساقطة على



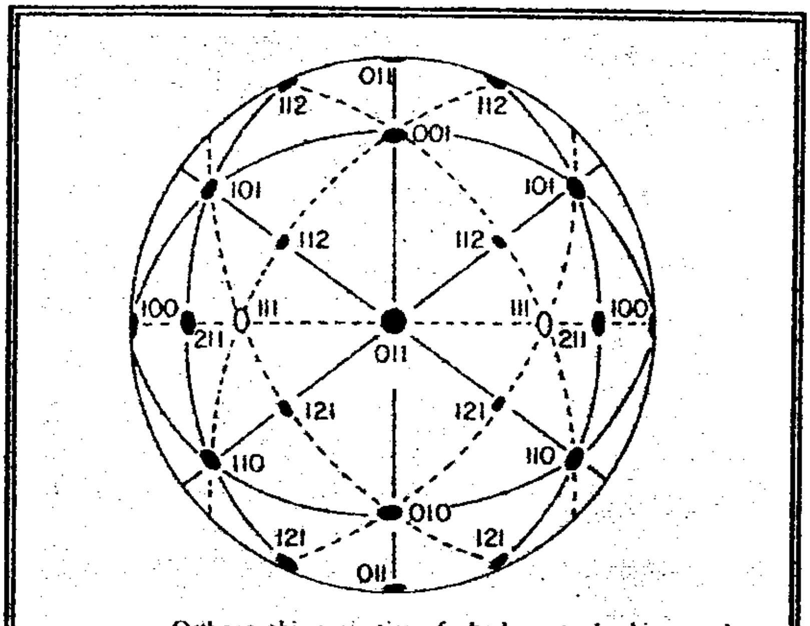
الشكل (٣) ــ (a) تمثيل بياني للاجزاء الرئيسة في مجهر الانبعاث المجالي . E هو غـلاف (او وعاء) زجاجي (كروي او مخروطي) ، s شاشة فلورسينية تغطي الجـدار الـداخلي للغـلاف او الوعاء الزجاجي والذي يكون ايضاً مكسواً بطبقة موصلة (M) ، T نهاية فلزية مدببة تقـوم مقـام الكاثود وهي التي تنبعث منها الالكترونات بتاثير المجال المسلط ، وتكون النهاية ملحومة بسلك مـن فلز التنكستن والذي يمكن تسخينه من خلال امرار تيار كهربائي في القطبين المربوطين به . ويمكن تقدير درجة حرارة النهاية المدببة من تغيرات مقاومة سلك التنكستن . A يمثل انوداً مربوطاً بسطح موصل كهربائي يتصل بالشاشة الفلورسينية. (b) تكبير الصورة المرئية في مجهر الانبعاث المجالي ــ ويتوقف على نصف قطر التقوس (r) للنهاية الفلزية المدببة وعلى نصف قطـر (R) للغـلاف الزجاجي (الكروي) فالتكبير يتمثل بنسبة طول القوس D على الشاشة الى طولـه علـى النهايـة المدببة ، أي يساوي $\frac{D}{d} = \frac{R}{r}$. وعندما يكون $R = 10^2$ سنتمتر و $r = 10^{-4}$ سـنتمتر يـصبح التكبير بحدود 10^6 مرة .

الشاشة اسطع اذا انبعثت الالكترونات من مستويات بلورية قليلة الكثافة حيث يكون انبعاث الالكترونات منها كبيراً . ان مجموعة المستويات البلورية الموجودة على النهاية الفلزية المدببة سوف تسبب صورة عالية التكبير وبكثافات سطوح متباينة على الشاشة الفلورسينية . يبين المخطط (٤) خارطة تفصيلية للمستويات البلورية الموجودة على بلورة منفردة من نوع المكعب مركزي الجسم (Body–Centered Cubic Crystal) .

يتوقف مقدار التكبير لصورة البلورة المنفردة على الشاشة الفلورسينية على نسبة المسافة بين النهاية المدببة والشاشة (d) على نصف القطر (r) تقوس النهاية المدببة ، أي على النسبة (d/r) ويكون التكبير بحدود ١٠ ^{٥} الى ١٠ ^{٦} مرة بقدر مساحة سطح النهاية المدببة . ويمكن تحديد معاملات المستويات البلورية المختلفة التي تنبعث منها الالكترونات من خصائص التناظر للصورة المستحصلة وبالاعتماد على الفواصل الزاوية ما بين المستويات البلورية (الشكل٥) .

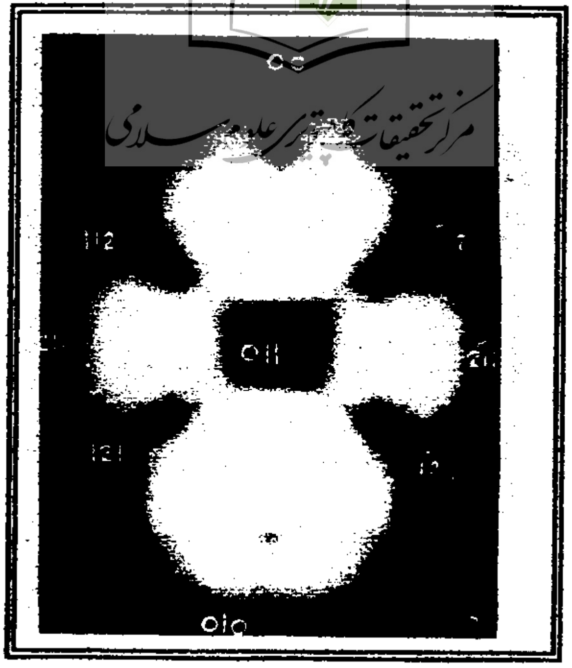
ويمكن استخدام تقنية الثقب والمجس (Probe-hole) للفحص المنفصل عن الالكترونات المنبعثة عن مستوى واحد معين يقع على سطح النهاية المدببة. فالالكترونات المنبعثة تمر في هذه التقنية عبر ثقب بالشكل الذي يؤدي الى اختيار مستو بلوري معين ، ويتم تبئير تلك الالكترونات باستخدام عدسة كهروسكونية وجمعها فيما يسمى بقفص فاراداي (Faraday Cup) . ويتم تحليل توزيع الطاقة عندئذ بشكل آني .

يبلغ مقدار الميز (Resolution) بطريقة الانبعاث الإلكتروني بتأثير المجال المسلط بحدود (20Å) (عشرين انكستروم) ومقدار هذا الميز لا يعتمد على شدة الفولتية المسلطة . وهذا المقدار من الميز لن يكون بمقدوره الا التقاط صورة الجزيئات الكبيرة او لبعض التجمعات



. Orthographic projection of a body-centred cubic crystal.

الشكل (٤) ـــ خارطة تبين الاسقاط العمودي للمستويات البلورية في بلورة مكعبة مركزيـــة الجـــسم لفلز مثل التنكستن . الارقام تشير الى معاملات ميلر hkl (Miller Indices) للمستويات البلوريـــة الرئيسة الواقعة على سطح النهاية الفلزية المدببة والتي تنبعث منها الالكترونات وتتجــه بمــسارات عمودية على تلك المستويات لتقع على الشاشة الفلورسينية .



الشكل (٥) ـــ صورة مستحصلة على الشاشة الفلورسينية في تقنية انبعاث الالكترونات المجالي باستخدام نهاية مدببة (أي بلورة منفردة) من فلز التنكستن . يمكن بالعين المجردة تمييز المستويات البلورية الرئيسة التي تقع على سطح البلورة المنفردة . البقع المضيئة تشير الى المستويات البلورية التي حصل منها الانبعاث الالكتروني بكثافة عالية ، اما البقع المعتمة فهي تشير الى المستويات البلورية التي انعدم منها انبعاث الالكترونات .

الذرية والجزيئية . ولن يكون بالامكان مشاهدة الذرة المفردة ، وكذلك الجزيئة الصغيرة ، ولكن بالامكان ابصار الجزيئات الكبيرة والمعقدات اذا ما عانت امتزازاً كيميائياً على المستويات البلورية للنهاية الفلزية المدببة .

استخدام التقنية لدراسة الامتزاز الكيميائي

تحدث اعادة توزيع لكثافات الالكترونات المنبعثة من المستويات البلورية المختلفة للنهاية الفلزية المدببة عند حدوث امتزاز كيميائي على تلك المستويات . تعاني جزيئات الغاز او البخار الممتزة كيميائياً على سطح النهاية المدببة استقطاباً ملحوظاً من جراء عملية انتقال الشحنة التي تحدث بين سطح الفلز (النهاية المدببة) والدقائق الممتزة كيميائياً ، وتتكون طبقة من المستقطبات الممتزة كيميائياً على المستويات البلورية للنهاية المدببة . وتشتمل هذه الطبقة على n_m من مستقطبات السطح في السنتمتر المربع الواحد منه ، ولكل مستقطب (جزيئة مستقطبة) عزم ثنائي الاقطاب μ ديباي ، فالجزيئات المستقطبة المرتبطة بسطح النهاية المدببة على هيئة طبقة تؤلف مع طبقة السطح (المستقطبة هي الاخرى) مكثفاً كهربائياً ذات لوحين متوازيين . والامتزاز الكيميائي الذي يحدث على سطح النهاية المدببة يكون مصحوباً بتغير في قيمة دالة الشغل (ϕ) للسطح الفلزي مقداره $-\Delta\phi$.

ويتوقف مقدار هذا التغير (أي $-\Delta\phi$) على عزم ثنائي الاقطاب (μ_m) للمستقطبات المتكونة وعلى عدد (n_m) من تلك المستقطبات المتكونة في السنتمتر المربع الواحد من السطح وفق العلاقة:

$$-\Delta\phi = (1.2\times10^{18})\pi\, n_m \mu_m \qquad \text{.....................(8)}$$

وقد تتجه النهايات الموجبة للمستقطبات بعيداً عن السطح ، او يحدث العكس وعندما تتحقق الحالة الاولى ، أي عند تكوين مستقطبات تتجه نهاياتها الموجبة بعيداً عن السطح يكون مقدار التغير في جهد السطح Δx بقدر التغير في قيمة دالة الشغل ولكن بعكس الاشارة ، أي ان:

$$\Delta x = -\Delta\phi \qquad (9)$$

وعندما يكون عزم ثنائي الاقطاب للدقائق الممتزة صغيراً (بحدود $\mu_m = 10$ Debye) ، وعندما يكون تركيز المستقطبات على السطح بحدود $n_m = 10^5\ cm^{-2}$ يكون مقدار التغير في قيمة دالة الشغل ($\Delta\phi$) بحدود (٤ , ٠) الكترون فولت . ومثل هذا المقدار من التغير قابل للقياس عملياً .

القياسات العملية لتغيرات دالة الشغل

يمكن قياس دالة الشغل لسطح النهاية الفلزية المدببة قبل عملية الامتزاز الكيميائي عندما تكون سطح النهاية المدببة نظيفة ، ويمكن كذلك قياس هذه الدالة ثانية عقب حدوث امتزاز كيميائي على سطح النهاية المدببة . وهناك طريقتان لتحقيق ذلك . ففي الطريقة الاولى منها يتم تسليط فولتية ثابتة على النهاية المدببة ، والابقاء على الفولتية دون تغيير ، ويتم خلال ذلك تسجيل تيار انبعاث الالكترونات قبل وبعد عملية الامتزاز ، وهذه الطريقة غير محبذة كثيراً .

اما الطريقة الثانية فانها تتناول تسجيل كثافة الالكترونات المنبعثة كدالة للفولتية (V) وذلك عند مجالات مسلطة غير عالية . وتكون علاقة المقدار (i/V^2) مقابل 1/V عادة خطية (الشكل ٦).

ويتناسب ميل الخط المستحصل مع المقدار $\phi^{3/2}$ فيتم الحصول على قيمة المقدار ϕ (أو ϕ_m للفلز) .

يتم بعد ذلك امرار غاز بكميات ضئيلة جداً من خلال مدخل مناسب على سطح النهاية المدببة ، وقد يتم ذلك بالتسخين الكهربائي لملف من سلك البلاتين ترتبط به المادة التي يراد متزازها على سطح النهاية المدببة ، وقد يتم من خلال التفكك الحراري كمركب مناسب مثل اوكسيد النحاسيك (في حالة الحصول على الأوكسجين) او التفكك الحراري كمركب هدريد الزركونيوم (لغرض الحصول على هيدروجين نقي) وهكذا . وبرسم علاقة بيانية مماثلة يتم الحصول على قيمة جديدة للمقدار $\phi^{3/2}$ ومنه يستحصل على ϕ_m جديدة ، وبذا يتسنى الحصول على قيمة $\Delta\phi$ من :

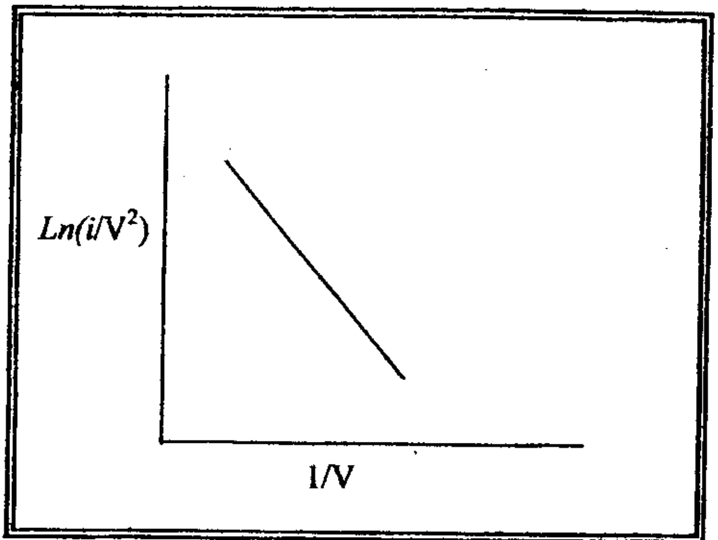
$$\Delta\phi = \phi_m - \phi_A \qquad (10)$$

حيث ϕ_m و ϕ_A دالتا الشغل الالكتروني للنهاية المدببة النظيفة والمكسوة بطبقة امتزاز كيميائي على التوالي .

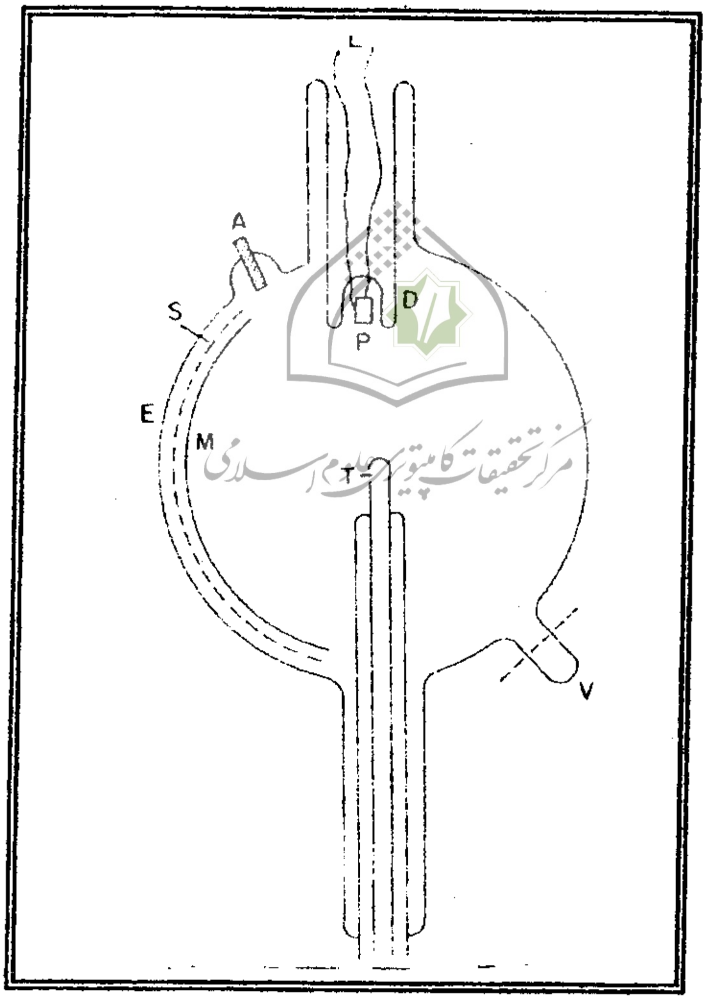
ويمكن دراسة الامتزاز على مستويات بلورية معينة على سطح النهاية المدببة دون غيرها وقياس تغيرات دالة الشغل من جراء الامتزاز باستخدام تقنية الثقب والمجس التي اشرنا اليها فيما مضى . والمستويات البلورية المختلفة للنهاية المدببة تمتلك قدرات متباينة في الامتزاز الكيميائي ، فبعضها تمتلك قدرات كبيرة وللبعض الاخر قدرات اقل فاقل . وعلى هذا فسوف تكون قيم $\Delta\phi$ المستحصلة من المستويات البلورية المختلفة مختلفة ايضاً .

قابلية حركة الدقائق الممتزة كيميائياً Mobility of Chemisorbed Species

يتم ادخال الغاز الذي يراد دراسة امتزازه على سطح نهاية فلز مدببة من خلال مدخل خاص يتصل بمصدر الغاز ، يتم بوساطته توجيه الجزيئات الغازية التي تدخل الغلاف الكروي الزجاجي نحو جهة واحدة من سطح النهاية الفلزية المدببة (الشكل٧) وتتم احاطة الغلاف الكروي الزجاجي بسائل الهيدروجين او الهيليوم ، فينخفض الضغط البخاري للغازات المتبقية داخل الغلاف الزجاجي الى اقل من ١٠ $^{-١٣}$ او ١٠ $^{-٢٨}$ باسكال على التوالي . كما وان درجة الحرارة الواطئة لسائل الهيدروجين او الهيليوم من شانها جعل معامل احتمالية الالتزاق (Sticking Probability) للجزيئات الغازية المصطدمة بالنهاية الفلزية المدببة وبجدران الغلاف الزجاجي من الداخل في حدود الواحد . فالامتزاز ينحصر عندئذ بتلك المستويات البلورية من النهاية المدببة التي تقع على امتداد خط واحد مع مسار المقذوف من الجزيئات الداخلة الى الغلاف الزجاجي ، وان جميع الجزيئات الاخرى سوف تعاني تكاثفا في الحال على جدران الغلاف الزجاجي من الداخل . فتبقى كافة المستويات البلورية (باستثناء المستوى الذي يقع على امتداد مسار المقذوف من الجزيئات) ، بعيدة عن تاثيرات جزيئات الغاز . فالغاية الاساسية اذن من هذه العملية هي جعل الامتزاز الكيميائي محصوراً بمستوى بلوري معين دون غيره من المستويات البلورية الموجودة على سطح النهاية الفلزية المدببة.



الشكل (٦) – العلاقة الخطية التي تربط المقدار (i/V^2) بـ 1/V والتي يمكن من قيمة ميلها الحصول على قيمة $\phi^{3/2}$ وكذلك على قيمة دالة الشغل الالكتروني ϕ .



الشكل (٧) تمثيل تخطيطي لمجهر الانبعاث المجالي لدراسة ظاهرة انتشار الدقائق الممتزة على السطح . D يمثل وعاء ديوار (قنينة ترمس) لغرض وضع سائل بارد فيه لغرض تكثيف جزيئات الغاز او البخار على لموقع البلاتيني P . والرمز L يمثل سلك التنكستن والقطبين المربوطين بـه ، مع ملاحظة ان النهاية الفلزية المدببة في هذا الشكل يرتبط بالموقع الجديد T الـذي يختلـف عـن الموقع المحدد لها في الشكل (٣) .

يتم بعد ذلك تسخين النهاية المدببة التي تكسو جزيئات الامتزاز مستوى معين من مستوياتها الى درجات حرارة أعلى وذلك بامرار تيار كهربائي في الملف الذي يحمل النهاية المدببة ، وتقاس مقاومة الملف تباعاً لمراقبة درجات الحرارة التي تصل اليها النهاية المدببة من جراء التسخين . فالدقائق الممتزة كيميائياً على مستوٍ (او على مستويات معينة) معين سوف تكسب قابلية على الحركة وتبدا بالانتشار تدريجياً نحو المستويات البلورية الاخرى التي بقيت غير مكسوة بالدقائق الممتزة . وتتم متابعة تغيرات الصورة عل الشاشة الفلورسينية ، ويمكن منها تقدير كل من معامل الانتشار وكذلك تقدير قيمة طاقة تنشيط التنقل على السطح . كما ويمكن قياس معاملات درجة الحرارة لسرع الابتزاز عند تسخين النهاية المدببة الى درجات حرارة مختلفة عالية . وتفيد هذه المعلومات في الحصول على طاقة تنشيط الابتزاز وبذا يمكن التعرف على قوى ارتباط الدقائق الممتزة بسطح النهاية المدببة ، أي يمكن الحصول على معلومات عن حرارة الامتزاز وطاقات التآصر للدقائق الممتزة مع المستويات البلورية المختلفة لسطح النهاية الفلزية المدببة .

٢ ـ تقنية انبعاث الايونات المجالي Field–Ion Emission Technique

هناك تشابه بين تقنية انبعاث الالكترونات المجالي وتقنية انبعاث الايونات المجالي من حيث مفردات مكونات المجهرين المناظرين للتقنيتين ، اما اوجه الاختلاف بين التقنيتين فتتضمن :

(أ) ان النهاية الفلزية المدببة كانت في تقنية انبعاث الالكترونات المجالي بمثابة الكاثود (الكاثود البارد) ، الا انها تصبح في تقنية انبعاث الايونات المجالي بمثابة الانود .

(ب) الشاشة الفلورسينية في تقنية انبعاث الالكترونات المجالي كانت بمثابة الانود في حين تصبح بمثابة الكاثود في تقنية انبعاث الايونات المجالي .

(جـ) الغلاف الزجاجي الكروي كان يبقى مفرغاً من الهواء الى ضغوط منخفضة جدا (اقل من ١٠ $^{-11}$ باسكال) في تقنية انبعاث الالكترونات المجالي . اما في تقنية انبعاث الايونات المجالي فانه يُملا بغاز الهيليوم تحت ضغط (١ , .) باسكال .

اذن في تقنية انبعاث الايونات المجالي يتالف المجهر من شاشة فلورسينية تقوم مقام الكاثود ومن نهاية فلزية مدببة تقوم مقام الانود . ويملا الاناء والفسحة التي تقع بين الكاثود والانود بغاز الهيليوم عند ضغط (١, .) باسكال . وتتم في هذه التقنية احاطة الغلاف الزجاجي من الخارج بسائل الهيدروجين او بسائل الهيليوم . وعند تسليط مجال كهربائي عالي (شدته ٥×١٠ ^{8} فولت على السنتمتر) تتأين ذرات الهيليوم المصطدمة بالنهاية الفلزية المدببة. يتم بعد ذلك تحريكها وتعجيل حركتها باتجاه الشاشة الفلورسينية (الكاثود) بفعل المجال الكهربائي المسلط الذي يمكن التحكم في قيمته بدقة . وتسقط ايونات الهيليوم المتعجلة على الشاشة الفلورسينية محدثة اصطدامات معها . وذرات الهيليوم المصطدمة بالشاشة تحدث بقعاً ضوئية ساطعة عليها . وعندما يكون نصف قطر التقوس للنهاية الفلزية المدببة بحدود (٥×١٠ $^{-4}$) سنتمتر ، وتكون المسافة الفاصلة بين النهاية الفلزية المدببة والشاشة الفلورسينية بحدود (١٠٠) سنتمتر يصبح التكبير المستحصل للنهاية المدببة على الشاشة بحدود ١٠ ^{6} الى ١٠ ^{7} مرة . والبقع الساطعة التي يتم ملاحظتها على الشاشة الفلورسينية

تناظر المواقع النوعية للمستويات البلورية المختلفة الواقعة على سطح النهاية المدببة الباعثة للايونات . وتتغير كثافات توزيع شدة الايونات المنبعثة من المستويات البلورية المختلفة في حالة الامتزاز الكيميائي على النهاية الفلزية المدببة (الشكل ٨) .

ان الفائدة الاساسية من مجهر الايونات المجالي تكمن في التحسن الكبير الذي يحدث في الميز (Resolution). فبينما كان هذا الميز بحدود (٢٠) انكستروم في تقنية انبعاث الالكترونات المجالي فانه ينخفض الى (٢-٣) انكستروم في حالة تقنية انبعاث الايونات المجالي ، ويصبح بالامكان عندئذ مشاهدة الذرة المنفردة ، والجزيئة المنفردة ، وكذلك مشاهدة التجمعات الذرية والجزيئية المختلفة ، ويمكن بالتالي متابعة تحركات الذرات والجزيئات وتجمعاتها على الشاشة الفلورسينية .

ان معامل التكييف لذرات الهيليوم على سطح النهاية الفلزية المدببة يكون صغيرا وبحدود (٠٢ , ٠) تقريباً . والبقع الساطعة في هذه التقنية تنشأ عن وجود ذرات الهيليوم التي تعاني امتزازاً ضعيفاً على سطح النهاية الفلزية المدببة. وعندما تقترب ذرات الهيليوم من النهاية الفلزية المدببة فانها تعاني استقطاب بتاثير المجال الكهربائي المسلط ، فيتم تعجيل حركتها باتجاه النهاية الفلزية المدببة اولاً وتزداد طاقتها الحركية الى الضعف قياساً بالحالة في غياب المجال المسلط . وبالحصيلة يزداد المقطع العرضي لذرة الهيليوم التي يتم اصطيادها من قبل النهاية المدببة ، وتزداد بذلك قوة تاصرها مع سطح النهاية المدببة. وتآصر الذرات مع ذرات السطح الفلزية تصل قيمة قصوى عندما تصل الذرات الى ما فوق الذرات الفلزية تماماً . وعلى هذا فان الصور

المستحصلة على الشاشة سوف لن تتغير كثيراً بوجود الذرات الممتـزة علـى السطح .

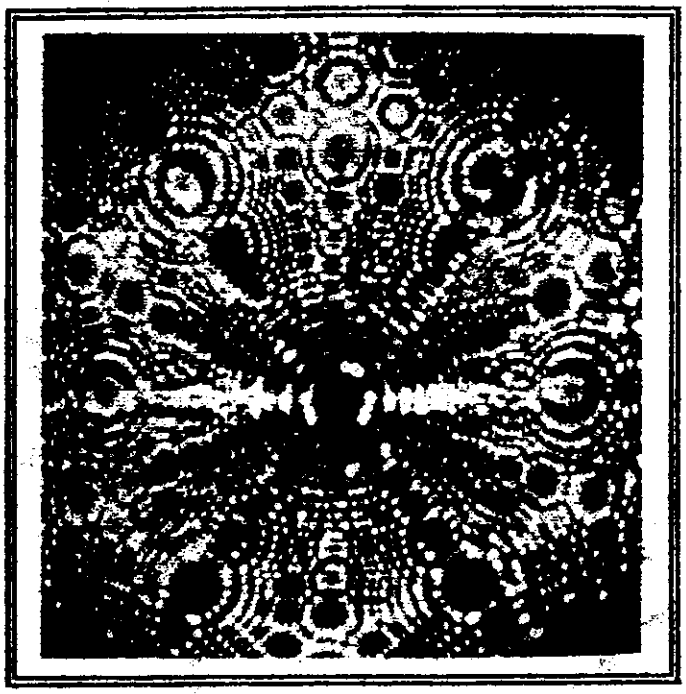
نتائج بعض الدراسات

١ ـ امتزاز الزنون على سطح التنكستن

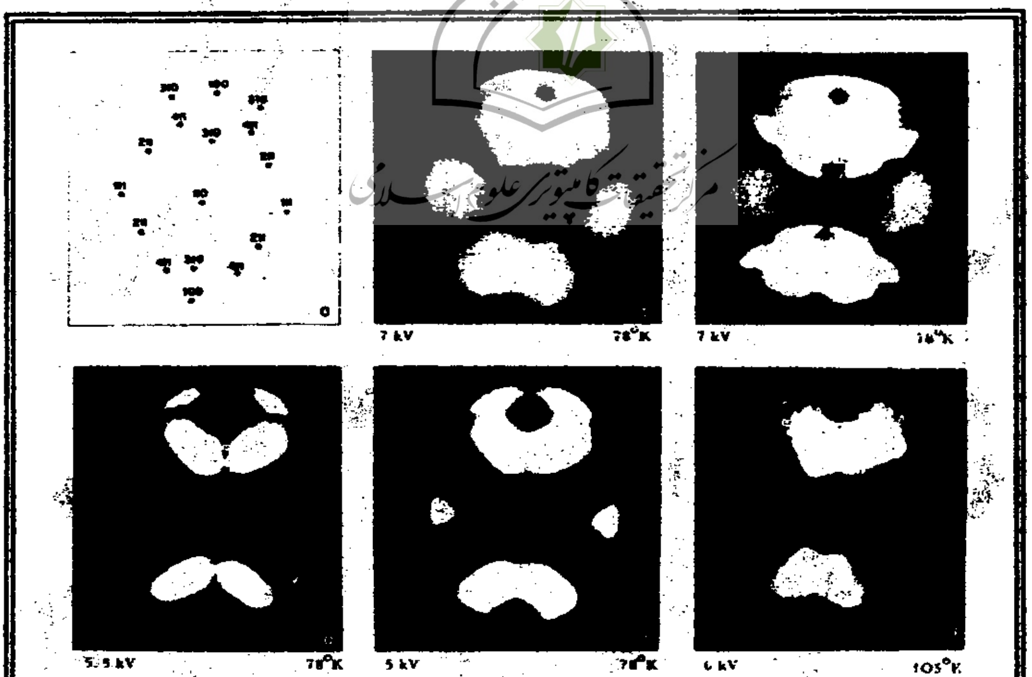
يعرض الشكل (٩) صوراً مستحصلة بتقنية انبعاث الالكترونات المجالي لسطح التنكسن النظيف (الصورة b) وعقب حـدوث امتـزاز لغاز النيون على السطح بدرجة ٧٨ كلفن (الصور مـن c الـى e)، وبعد تسخين التنكستن الى درجة (١٠٥) كلفن (الصورة f) الفولتيات المستخدمة للحصول على الصور مثبتة على الصور نفسها . الـصورة (a) تمثل خارطة توزع اهم المستويات البلورية على نهايـة التنكـستن المدببة . وبمقارنة الصور من (b) الـى (f) بالـصورة (a) يمكـن التعرف على المستويات البلورية التي اصابها اختفاء تدريجي لانبعاث الالكترونات وهي المستويات التي ذهب عنها السطوع من جراء ازدياد قيمة دالة الشغل الالكتروني لتلك المستويات البلورية .

٢ ـ امتزاز الهيدروجين على التنكستن

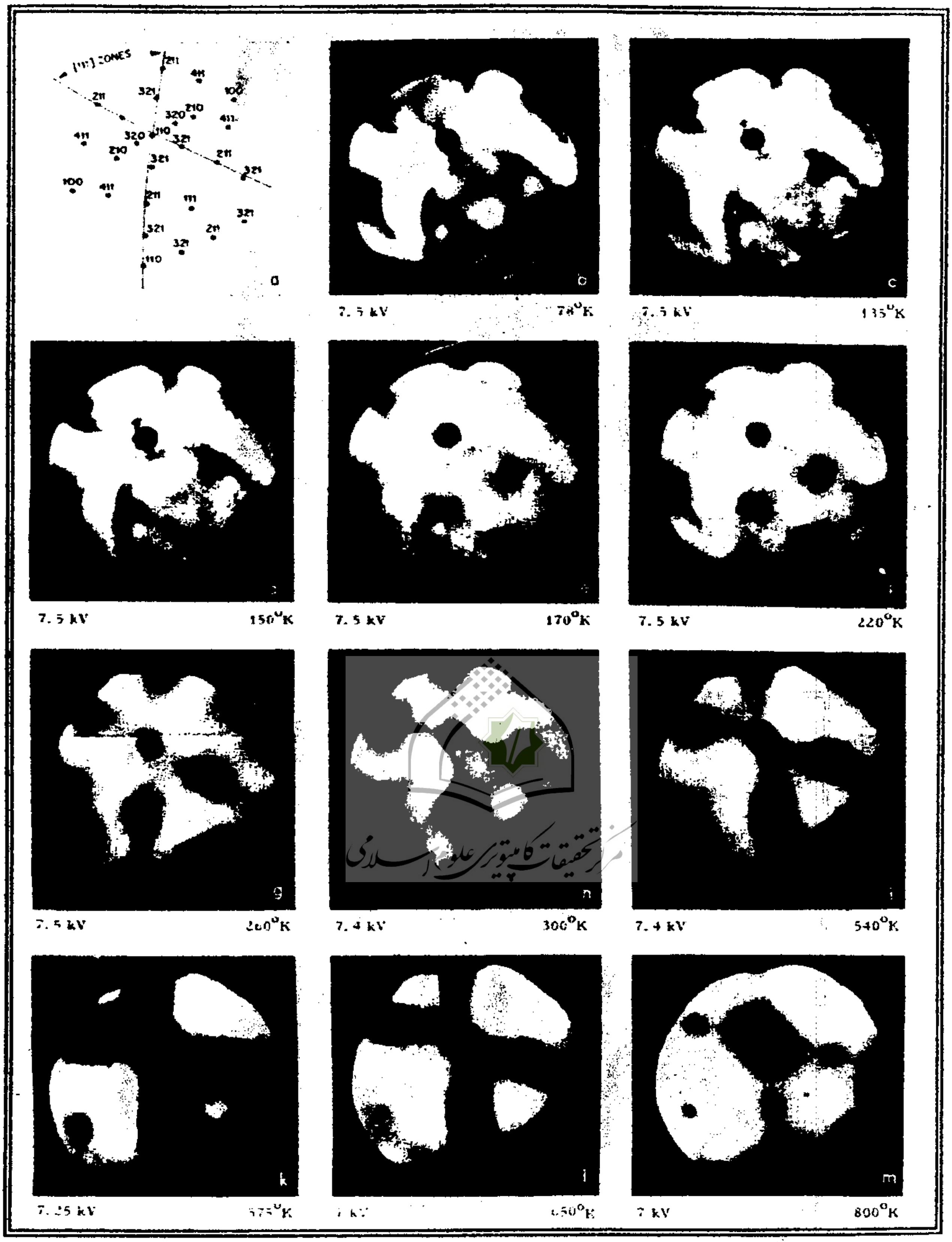
يبين الشكل (١٠) صورا مستحصلة بتقنية انبعاث الالكترونات المجالي لامتزاز الهيدروجين علـى التنكستن (الصـورة b) بدرجـة ٧٨ كلفن ، وعقب معاملة نهاية التنكستن المدببة بالتسخين الى درجات حرارة مختلفة (من c الى l) الى ان يتم اسـترجاع صـورة سـطح التنكستن النظيف (الصورة m) . وبمقارنة الصور من (b) الـى (l) بالصورة (a) والتي تخص اهم المستويات البلورية الظـاهرة للعيـان على بلورة التنكستن المنفردة يمكن التعرف على المستويات البلوريـة



الشكل (٨) ــ صورة انبعاث الايونات المجالي من فلز التنكستن باستعمال غـاز الهيليـوم للتـاين . يلاحظ في الشكل المستوى البلوري OII الذي يقع في مركز الصورة . (قارن هذا الشكل بالـشكلين ٤ و ٥) .



الشكل (٩) ــ امتزاز الزنون على التنكستن .(a) خارطة المستويات البلوريـة لنهايـة التنكـستن المدببة. الصورة (b) صورة انبعاث الالكترونات المجالي لسطح التنكستن النظيف . الصور من (c) الى (e) توضح امتزاز غاز الزنون بدرجة ٧٨ كلفن وفولتيات مختلفـة علـى سـطح التنكـستن . الصورة (f) هي لسطح التنكستن عقب تسخين طبقة الامتزاز الى (١٠٥) كلفن .



الصورة (١٠) ــ صور مستحصلة بتقنية انبعاث الالكترونات المجالي لامتزاز غــاز الهيــدروجين على سطح التنكستن (الصورة b) بدرجة ٧٨ كلفن ، وعقب تسخين التنكستن الى درجات حــرارة مختلفة (من c الى l) الى ان يتم استرجاع صورة سطح التنكــستن النظيــف (الــصورة m) . الفولتيات المسلطة وبدرجات حرارة السطح المختلفة مثبتة على الصورة المختلفة .

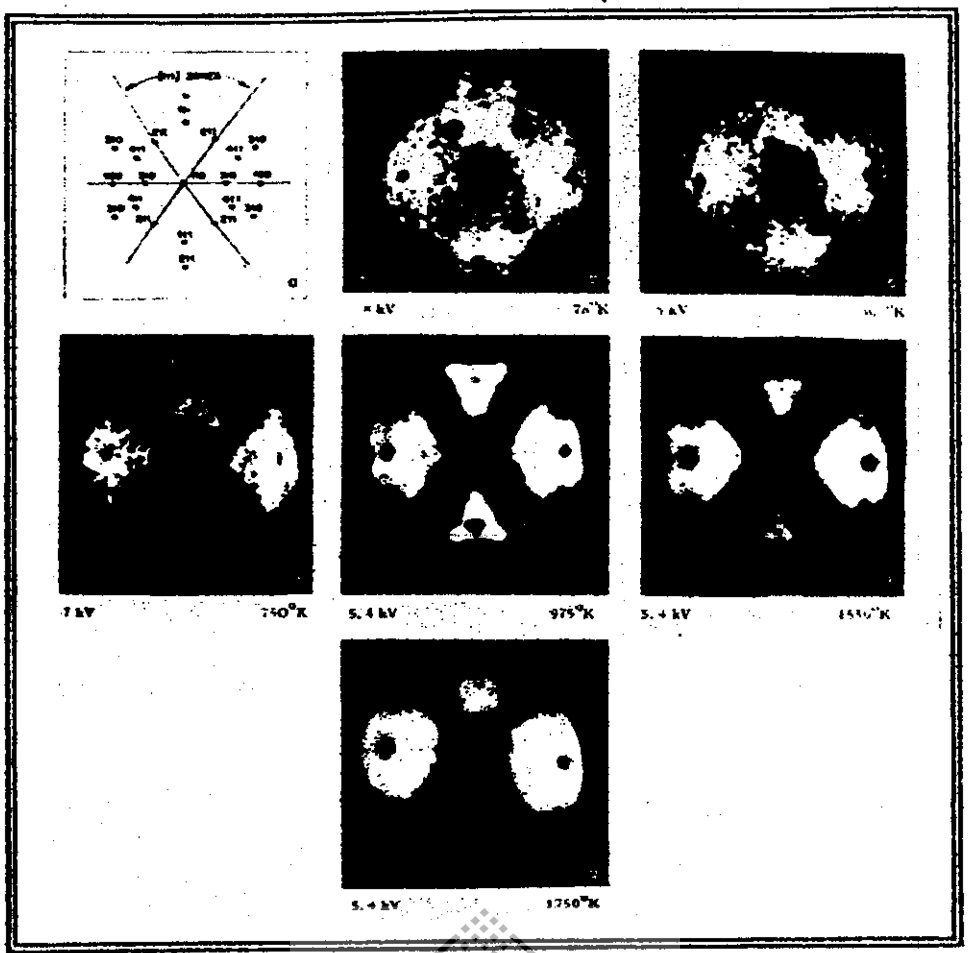
التي حصل عليها الامتزاز (في الصورة b) وكذلك التي حصل منهـا انتقال ذرات الهيدروجين منها تمهيداً للابتزاز عن السطح كلياً . درجات الحرارة التي تمَ تسخين التنكستن اليها والفولتيات المسلطة على الانـود للحصول على الصور مثبتة على الصور المختلفة . هناك تغيرات فـي دالة الشغل الالكتروني للتنكستن تناظر الى مراحل الامتزاز والانتقـال والابتزاز المختلفة .

٣ ـ امتزاز وابتزاز احادي اوكسيد الكربون على التنكستن

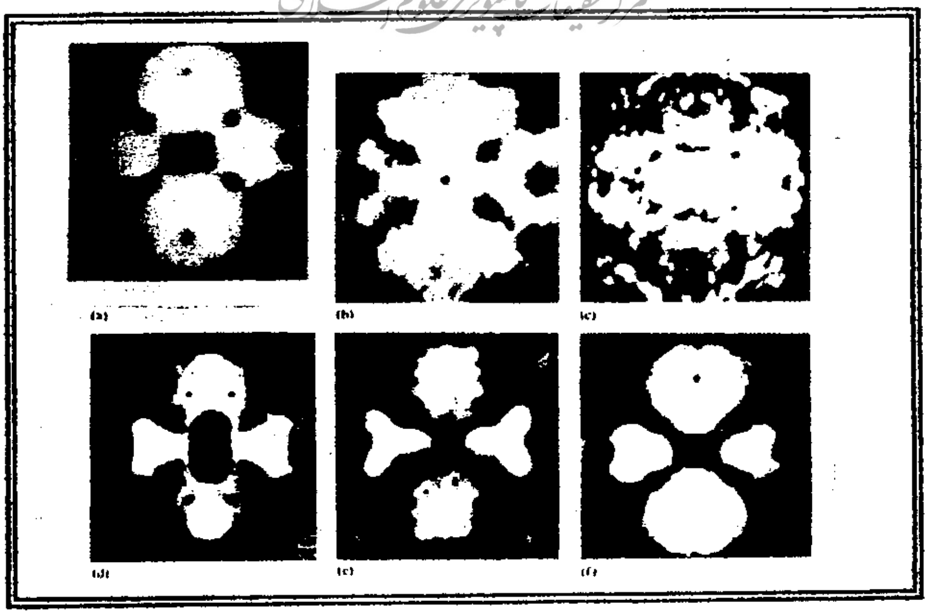
يبين الشكل (١١) مراحل امتزاز غاز CO على التنكستن ومن ثم توزع الغاز الممتز على المـستويات البلوريـة المختلفـة لـسطح التنكستن. ويتم تثبيت درجة حرارة الامتزاز (الصورة b) ودرجـات حرارة التنقل والابتزاز (الصورة من b الى g) على سطح التنكستن . والفولتيات اللازمة للحصول على الصور مثبتة عليها كذلك . يلاحـظ في الشكل (١١) ان تسخين نهاية التنكستن المدببة الى ١٧٥٠ كلفن لـم يكن كافياً لاسترجاع صورة سطح التنكستن النظيف بسبب قوة ارتبـاط جزيئات CO بالمستويات البلورية المختلفة .

٤ ـ امتزاز غاز الاوكسجين على التنكستن

يبين الشكل (١٢) امتزاز الاوكسجين على سطح التنكستن ومن ثم مراحل ابتزازه منه . فالـشكل (١٢ a) يعـرض صـورة انبعـاث الالكترونات المجالي لسطح التنكستن النظيف . الصورة (b) تشير الى الامتزاز الكيميائي للاوكسجين على التنكستن بدرجة ٣٠٠ كلفن، وعند تسخين التنكستن الى (١٠٠٠) كلفن تتحول الحالة الى الـصورة (c)، والصورة (d) تم الحصول عليها عقب تسخين التنكستن الـى (١٧٠٠)



الشكل (١١) ــ امتزاز غاز احادي اوكسيد الكربون (CO) على سطح التنكستن بدرجة ٧٨ كلفــن وتسخين السطح بعد ذلك الى درجات حرارة مختلفــة بلغــت ١٧٥٠ كلفــن . درجــات الحــرارة والفولتيات مثبتة على الصور المختلفة .

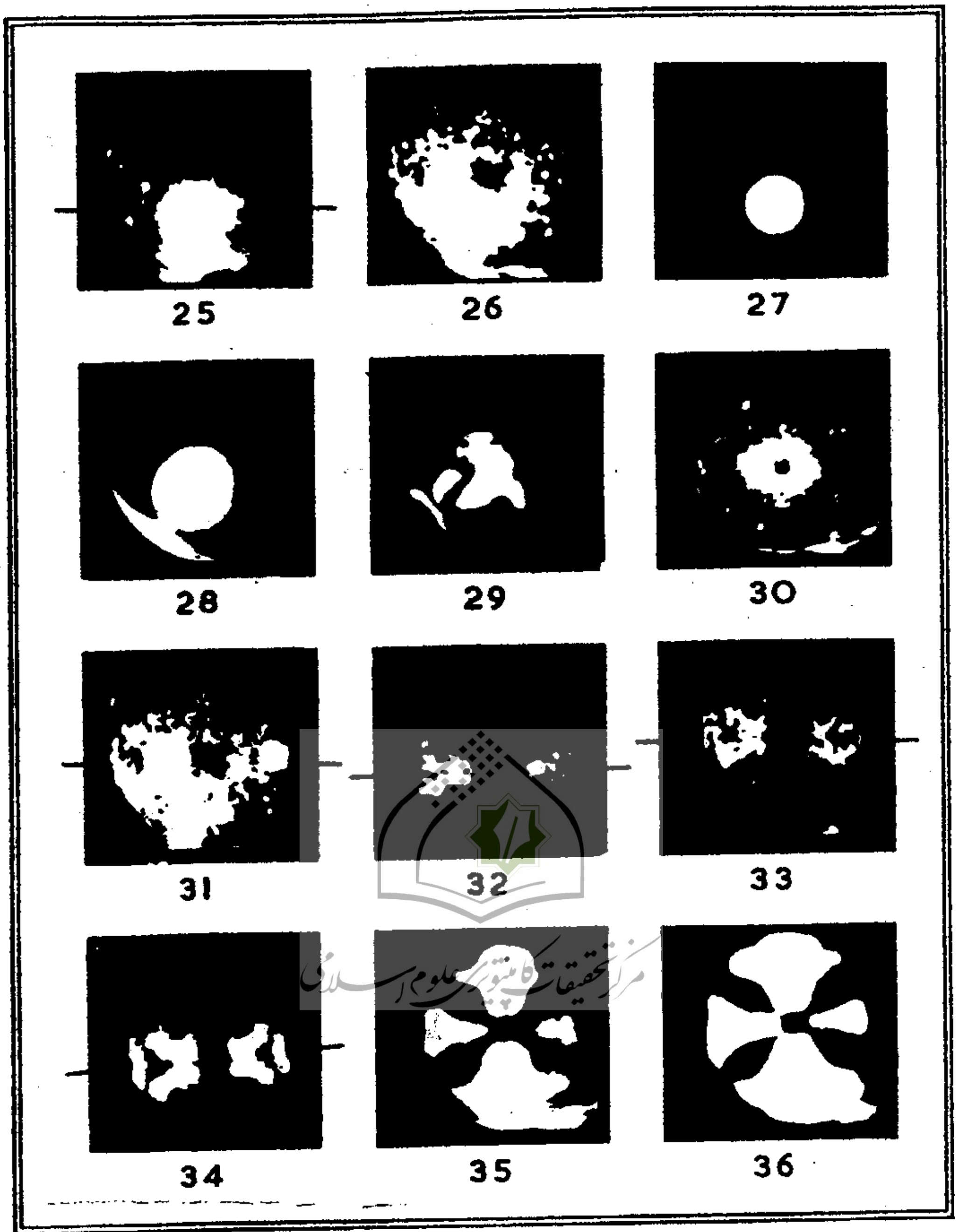


الشكل (١٢) ــ امتزاز الاوكسجين على سطح التنكستن . لسطح النظيف في الصورة (a) . الامتــزاز فــي الصورتين (b) و (c) . تسخين سطح التنكستن الى درجات حرارة اعلى في الصور (d) الى (f) . الفولتيات المسلطة ودرجات الحرارة وكميات الامتزاز موضحة في الحاشية الانكليزية تحت الصور .

كلفن، والصورة (e) الى (١٩٠٠) كلفن ، اما الصورة (f) فقد تم الحصول عليها بعد تسخين التنكستن الى (٢١٠٠) كلفن ، وهذه الصورة لا تزال مختلفة عن صورة سطح التنكستن النظيف المعروضة في (a) مما يدل على ان ارتباط الاوكسجين بسطح التنكستن ارتباط قوي . الفولتيات اللازمة للحصول على الصور مثبتة على الصور المختلفة .

٥ ـ امتزاز الكبريت على سطح التنكستن

يعرض الشكل (١٣) الامتزاز الكيميائي لبخار الكبريت على سطح التنكستن في صور انبعاث الالكترونات المجالي للسطح . فالصورة (٢٥) تشير الى تشبع سطح التنكستن بالكبريت ، ويلاحظ انه عند ابقاء المجال الكهربائي مسلطاً على نهاية التنكستن المدببة تظهر دقائق مضيئة على الشاشة وهي في حالة حركة مستمرة ، وهناك اختفاء مستمر لبعض البقع المضيئة المتحركة وظهور غيرها على الشاشة . وقد يحصل اندماج لعدد من النقط المضيئة مع بعضها البعض لتكوين نقطة مضيئة اكبر حجماً ، او قد تعاني بعض البقع انقسامات الى دقائق مضيئة اصغر . وقد تنمو نقطة مضيئة واحدة من بين الاف النقاط المضيئة فتكبر شيئاً فشيئاً حتى تغطي الشاشة باكملها خلال ثوانٍ معدودة ، وهذا واضح في الصورتين (٢٧) و (٢٨) . وعند تسخين الصورة هذه الى (١٤٠٠) كلفن تتحطم الصورة شبه الكروية الى قطع غير منتظمة الشكل . وبتبريد التنكستن الى (٣٠٠) كلفن ، وتسخينه بعد ذلك تدريجياً الى درجات حرارة اعلى (٥٥٠ الى ١٦٠٠ كلفن) يتم الحصول على صور انبعاث الإلكترونات المجالي الموضحة من (٣٠) الى (٣٦). ويبقى الانبعاث الإلكتروني في الصور (٣٢) الى



الشكل (١٣) ــ الامتزاز الكيميائي لبخار لكبريت على سطح التنكستن في تقنية انبعاث الالكترونـــات المجالي . النمو البلوري للكبريت على التنكستن واضح في الشكلين (٢٧) و (٢٨) . تحطم البلـــورة النامية بتأثير المجال الكهربائي والتسخين في الصورة (٢٩) . توزع طبقة الامتزاز الكيميائي علـــى السطح في الشكلين (٣٠) و (٣١) . تركز الامتزاز على المستويات البلورية الواقعة علـــى جـــانبي المستوى المركزي (OII) .

(٣٤) المستحصلة في مدى درجات الحرارة من (١٠٠٠- ١١٥٠) كلفن محصوراً في الجانبين الأيمن والأيسر من سطح التنكستن ويختفي كلياً من المستويات البلورية في المواقع الاخرى من نهاية التنكستن المدببة .

فالصورتان (٢٧) و (٢٨) تشيران في الواقع الى حصول نمو بلوري للكبريت على سطح التنكستن بفعل المجال الكهربائي المسلط على السطح بدرجة (٣٠٠) كلفن . وهذه التجمعات النامية بصورة شبه كروية تتعرض الى الانقسام والتحطم عند التسخين الى (١٤٠٠) كلفن (الصورة ٢٩) ، ثم تتوزع على عموم سطح التنكستن في الصورتين (٣٠) و (٣١) ثم تتركز الدقائق الممتزة على المستويات البلورية التي تقع اسفل وعلى المستوى (OII) البلوري المركزي (الصور ٣٢-٣٤) ثم تنتشر الى عموم السطح في الصور (٣٥) و (٣٦) المستحصلة بدرجات الحرارة من (١٢٠٠) الى (١٦٠٠) كلفن .

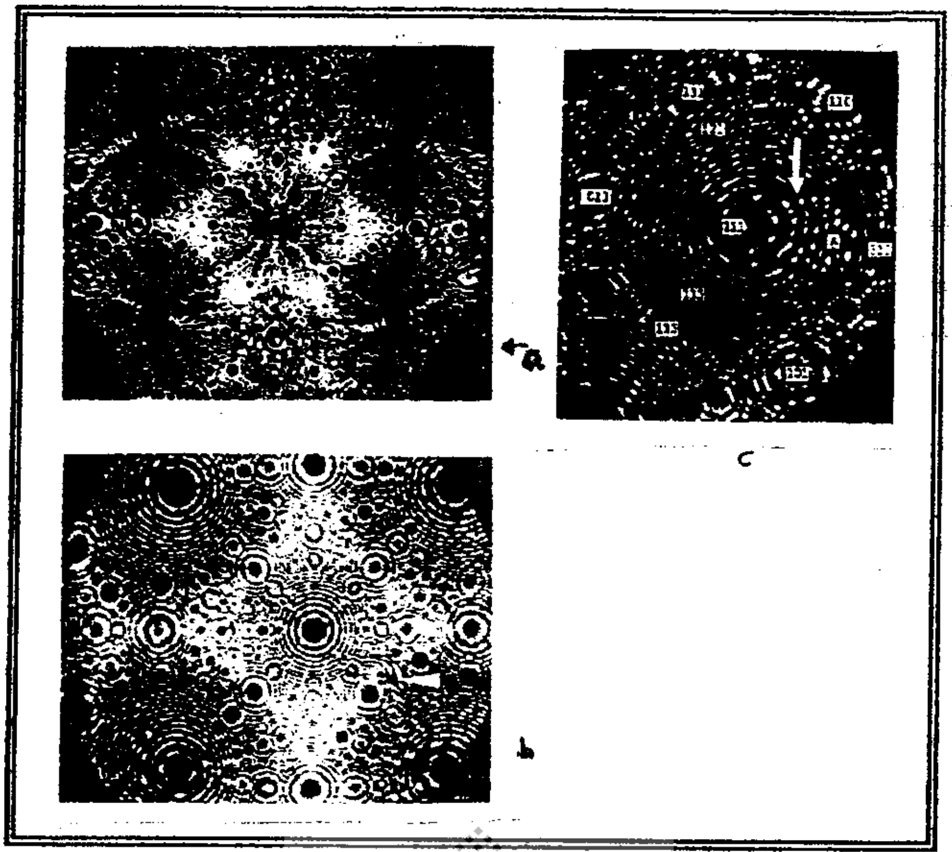
٦ - بعض صور انبعاث الأيونات المجالي

يبين الشكل (١٤) صورتين لانبعاث الايونات المجالي من سطح التنكستن (الصورة a) ومن سطح الاريديوم (الصورة b) النظيفين قبل حدوث امتزاز كيميائي عليهما . وتم الحصول على الصورتين باستعمال غاز الهيليوم تحت ضغط (١ , .) باسكال الذي يملا به انبوب الانبعاث المجالي . ويلاحظ في الصورتين ان الميز ادق قياساً بالصور التي تستحصل بتقنية الانبعاث الالكتروني ، اذ يمكن مشاهدة الذرات الواقعة على السطح ، كما يمكن تمييز بعض المستويات البلورية الرئيسة على سطح كل فلز البقعة المركزية السوداء في الصورة (a) هي لمستوى (OII) المركزي البلوري . وفي الصورة (b)

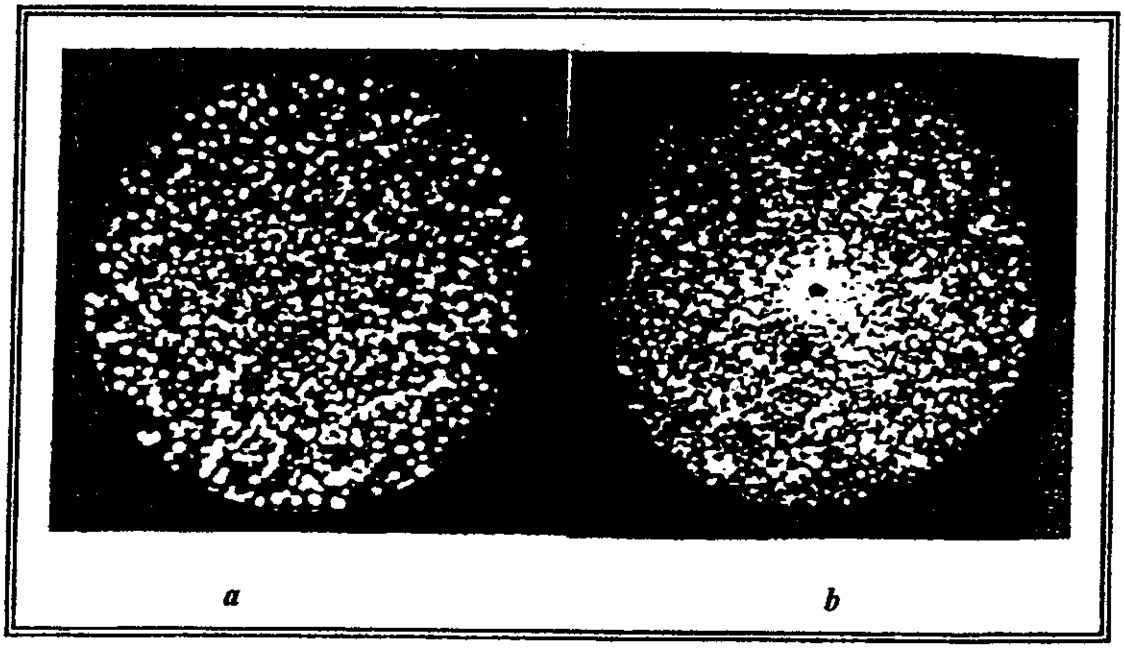
لمستوى (IOO) المركزي البلوري، اما الصورة (c) فهي لانبعاث الايونات المجالي من لحديد باستعمال النيون بدل الهيليوم .

٧ ـ انبعاث الايونات المجالي من حديد الصلب المقاوم للصدا

يبين الشكل (١٥) صورتين مستحصلتين بتقنية انبعاث الايونات المجالي لسطح نهاية مدببة من حديد الصلب المقاوم للصدأ . فالصورة (a) هي لسطح نظيف في غياب أي امتزاز كيميائي ، اما الصورة (b) فهي لنفس السطح بعد ملئ انبوب انبعاث الايونات المجالي بالهيدروجين . يلاحظ ازدياد الانبعاث المجالي في وجود الهيدروجين الممتز على السطح ، وتركز الهيدروجين الممتز فيما حول المستوى البلوري المركزي (OII) .



الشكل (١٤) ــ صورتان لانبعاث الايونات المجالي من سطح التنكستن (a) ومن سطح الاريــديوم (b) قبيل حدوث أي امتزاز عليهما . تم الحصول على الصورتين باستعمال غــاز الهيليــوم تحــت ضغط (١, .) باسكال . الصورة (c) فهي لانبعاث الايونات المجالي من الحديد (باستعمال غــاز النيون بدل الهيليوم) في هيكل نحاس .



الشكل (١٥) ــ صورتان مستحصلتان بتقنية انبعاث الايونات المجالي لحديد الــصلب المقــاوم للــصدا . الصورة (a) لسطح نظيف في غياب أي امتزاز كيمياتي والصورة (b) بعد امتزاز الهيــدروجين علــى السطح .

المصادر المعتمدة

1. J. M. Saleh, M. W. Roberts and C. Kemball, J. Catal, 1963, 2, 189.
2. J. M. Saleh, J. de physique, 1986, 47, C7 - III.
3. J. M. Saleh, J. de physique, 1987, 48, C6 - 475.
4. R. Gomer, Field-Emission and Field-Ionization, Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1961.
5. R. H. Fowler and L.W. Nordheim, Proc. R. Soc. A, 1928, 119, 173.
6. F.C. Tompkins, Chemisorption of Gases on Metals, Academic Press, London, 1978.
7. G. Ehrlich, Adv. Catalysis, 1963, 14, 256.
8. E.W. Muller and T.T. Tsong, Field - Ion Microscopy, Principles and Applications, Elsevier Publishing Co., New York, 1969.
9. G. Wedler, Chemisorption: An Experimental Approach Tramolated by D. F. K lemperer, Butterworths, London, 1976.
10. E. W. Muller in W. G. Berl. (ed.), physical Methods in Chemical Analysis, Academic Press, NewYork, 1956, Vol 3, p.135.
11. M. Wehlmuth and E.Bechtold, Appl. Surf. Sci., 1980, 5, 243.
12. 33rd International Field Emission Symposium, July (7-11), 1986, Berlin, Edited by J. H. Block, etal, France.
13. 34th International Field Emission Symposium, July (13-17), 1987, Japan, Edited by S. Nakamura, etal, Japan.

مشكلات تصحيح التعبير التحريري
في المرحلة الإعدادية في بغداد

الدكتور نجاح هادي كبه

تدريسي في معهد الفنون الجميلة

الملخص :

ان سوء تقدير درجات الطلبة في التحصيل الدراسي له أثره في المراحل التالية ، لأن الخلل حين لا يكشف عنه في وقت مبكر سيؤدي الى ضرر كبير إذ ستبنى عليه أعمال ونشاطات ستكون كلها خاطئة . وللمدرس دور أساسي في دقة التصحيح وموضوعيته ويعتمد ذلك على طريقه إعداده ومدى تفهمه لموضوع اختصاصه إذ يعاني المدرسون كثيراً من الجهد والمشقة من خلل في اصلاح كراسات التعبير.

وان في مقدمة الاتجاهات السلبية في تدريس التعبير التحريري ، هو عدم متابعة كراسة الطلبة وتصحيحها تصحيحاً دقيقاً من المدرسين .

لذا وجب تشخيص مشكلات تصحيح التعبير من وجهة نظر مدرسي المادة إذ تأتي أهمية هذا البحث من :

١ ــ من أهمية اللغة بوصفها وعاء الفكر ونقل المعرفة بين المرسل والمستقبل .

٢ ــ من أهمية درس التعبير في حياة الناس المهنية إذ يتوقف نجاح بعض المهن على التعبير كالمحاماة والتعليم والقضاء ..... ألخ .

٣ ــ من ضرورة الاهتمام بتقدير درجات التعبير كما يشكل ذلك من علاقة اجتماعية وتربوية ونفسية بين الطلبة والمعلمين .

٤ ــ من أهمية المرحلة الإعدادية لأنها المرحلة التي تعد الفتى أو الفتاة للحياة الجامعية أو المهنية .

الفصل الأول

مشكلة البحث :

على الرغم من الاستخدام الواسع للاختبارات الموضوعية والتفسيرية ما زالت توجد نواتج مهمة للتعلم لا يصلح لها إلا اختبار المقال ، ومنها القدرة على عرض الأفكار وتنظيمها وتكاملها ، والقدرة على التعبير الكتابي ، والقدرة على إعطاء التفسيرات والتطبيقات للمفاهيم والمبادئ ، والقدرة على حل المشكلة والتفكير الابتكاري ، ومن أهم خصائص أسئلة المقال حرية الاستجابة ، وفي هذا وجدوها كمقاييس للتحصيل المعقد ، وفيه أيضاً تكمن صعوبات التصحيح التي تجعل منها أدوات أقل كفاية في قياس الحقائق والمعلومات إذ تصلح الاختبارات الموضوعية . (٣ / ص: ٤١٢)

وإن سوء تقدير درجات التحصيل في الدروس له أثره في مستوى تحصيل الطلبة في المراحل التالية ، لأن الخلل الذي لا يكشف عنه في وقت مبكر سيؤدي الى ضرر كبير إذ ستبنى عليه أعمال ونشاطات ستكون كلها مخطئة وتؤثر نتيجة الخلل فيها في عناصر أخرى فتصيبها بالضرر أو الوهن ، لأن المنهج بناء متكامل يعتمد كل عنصر فيه على العناصر الأخرى عمودياً وأفقياً شأنه في ذلك شأن أي بناء هندسي تلتحم فيه العناصر والمكونات التفصيلية لتكون البناء الكلي وان أي خلل في الأسس أو في السقف أو في أي جزء يؤثر في الأجزاء أو في البناء الكلي . (١٠ ، ص : ١٤٨) .

وللمدرس دور أساس في دقة التصحيح وموضوعيته ويعتمد ذلك على طريقة إعداده ومدى تفهمه لموضوع اختصاصه فضلا عن عوامل أخرى منها اختلاف درجات المصححين باختلاف معاييرهم واختلاف زمن التصحيح واختلاف الموضوعات المصححة وسايكولوجية المصحح

واتجاهه النفسي والأنطباع السابق عن الطالب وأثر المصادفة وجنس الممتحن وأثر الخط والأملاء وحسن التعبير وتنظيم الأجابة (٧ ، ص : ١٣٣) .

ومما يزيد الموضوع خطورة ان الشك في نتائج التصحيح لم يعد على مستوى الحدس والتصور بل أكدته الكثير من الدراسات ، فقد توصل (إشبرن) (Ashburn) من دراسته التي قام بها في جامعة غربي فرجينيا ان ٤٠% من نتائج الطلبة من حيث الرسوب والنجاح ولا تعتمد على معلوماتهم بل تتوقف على من يصحح أوراقهم (٧ ، ص:١٣٢) .

ويعاني المدرسون كثيراً من الجهد والمشقة من خلل في إصلاح كراسات التعبير ومع هذا الجهد العنيف ، لا نجد له أثراً كبيراً في علاج ضعف الطلبة ، أو في تخلصهم من الأخطاء بدليل تكرار الخطأ في الموضوعات المتتالية ، وبعض المدرسين يزعمون أنهم ـ بكتابة صواب الأخطاء ـ قد أتموا مرحلة الإصلاح ، وليس عليهم بعد ذلك الا أن يردوا الكراسات الى الطلبة ،ليطلعوا على ما قدر لهم من درجات ، والبعض الآخر لا يقف عند هذا الحد ، بل يعود الى العلاج الإيجابي ، فيناقش المخطئين ، حتى يهتدوا إلى سبب خطئهم فيتحاموه في موضوعاتهم التالية (١ ، ص : ١٦٧) .

والمشكلة الأكثر تعقيداً أن في مقدمة الاتجاهات السلبية في تدريس التعبير التحريري ، هو عدم متابعة كراسات الطلبة وتصويبها تصويباً دقيقاً . ويترتب على ذلك ان بعض المدرسين يكتفي بكلمة ((لوحظ)) في نهاية الموضوع ولا يخفى ما في ذلك من إهمال ، لهذا يتهرب قسم منهم من تقديم دفاتر التعبير إلى المشرفين متذرعين بحجج كثيرة (٤ ، ص:٧٧) .

وتوصل قليقه من خلال تجربته وعمله مشرفاً مختصاً الى أن هذا الضعف يتعدى الطالب الى المعلم فقال ((كنت أصدم وأنا أفحص كراسات الطلبة بأخطاء جسيمة لم يقع فيها الطالب ، وانما وقع فيها المعلم . (١٣ص : ٦) فضلاً عن ان المدرس يجعل درس التعبير محطة راحة لتدريس قواعد متناسياً ان مادة التعبير التحريري هي الميدان أو المحك لفهم الطلبة قواعد اللغة العربية وتركيب : الجمل والعبارات .

تصحيح الأداء التعبيري مهمة شاقة في حياة مدرسي اللغة العربية فهي بكثرتها وكثرة أغلاطها عبء جسيم يشغلهم عن استثمار كثير من الوقت ، ولو ان الطلبة تأملوا ما في دفاترهم من التصحيحات والتوجيهات ووعوا أسبابها واحترزوا من الوقوع فيها مرة ثانية لخف بعض العناء المبذول في تصحيحها ولكن لا يهم أكثرهم من دفاتر التعبير الا النظرة العجلى على الدرجة ثم انتظار الموضوع المقبل ليقعوا مرة ثانية ببعض الأخطاء السابقة فالواجب حث الطلبة على الاستفادة من التصحيحات وأدراك سبب وقوعهم فيها وتلافيه بما يحتاج إليه سواء أكان ذلك خطأً في اللغة أم التفكير أم كان ذلك عادة سيئة اكتسبها الطالب منذ صغره كقلة العناية بالخط أو تلويث الورقة أو الكتابة بصورة متراكمة ومتراصة لا تترك مجالاً للتصحيح (٨ ، ص : ٥٨) وبذلك ان مشكلة إصلاح الكراسات ما زالت تحتاج إلى حل حقيقي لا مظهرية فيه ولا شكلية ولا تساهل ، وان إرشاد الطلبة إلى مواطن أخطائهم في موضوعات التعبير التحريري والى طريقة تصحيح تلك الأخطاء فيما بعد يعد في واقعه مشكلة من المشكلات التربوية المهمة التي تحتاج إلى بحوث علمية لتخطي الصعاب في تدريس مادة التعبير

التحريري لما لها من أهمية في حيـــاة الطـــالب والأســـرة والمدرســـة والمجتمع .

أهمية البحث والحاجة إليه :

اللغة وعاء الفكر ميز الله الانسان بها عن الحيوان ، فهي أكبر مـــا يميز الأنسان ومن غيرها تصبح الحيـــاة مســـتحيلة ، ومـــن البـــاحثين المجردين من يرى أن اللغة هي جزء من السلوك الأنساني ونوع مـــن العمل وليست مجرد أداء يعكس الفكر ، وان وظيفتـــها ليســـت مجـــرد التفاهم والتفصيل (١٢ ، ص : ٢) إن نشوء المجتمع وتطوره وتـــآلف أفراده وتحاببهم مدين إلي اللغة فعن طريقها يســـتطيع الفـــرد أن يقنـــع الآخرين بالحجة والبرهان ويتبادل تجاربه معهم ، وهي وعـــاء الفكـــر ووسيلة لنمو الذكاء ، فهي ركن اساسيّ من أركان التطبيع الأجتمـــاعي والبناء القومي للأفراد ، فضلاً عن كونها وسيلة لحفظ المعرفة ونقلـــها من جيل إلى جيل ، والتعبير عن العواطف والمشاعر ، إذ دائماً ما عبّر الأدباء والشعراء بانتاجهم الأدبية الرائعة عن أفكارهم وافكار مجتمعهم ، التي كانت فيها الكلمة الصحيحة هي المسلك الوحيـــد للوصـــول الـــى الأهداف المحددة .

ومن حقنا نحن العرب أن نعتز بلغتنا العربية فـــهي مظـــهر مـــن مظاهر ديننا الأسلامي الحنيف وقوميتنا العربية ، وقد أعزّنـــا الله بـــها بالقرآن الكريم فكان بلسان عربيّ مبين ، إذ تتميز اللغة العربية بمزايـــا منها الترادف والاشتقاق والأيجاز والقصر والقدرة على استيعاب الأفكـار والمشاعر إذ شعّت بنورها على الأمم الأخرى وحملت لـــواء الأســـلام فأنقذت البشرية من الجهالة والظلمات (ولا عجب إذن من أن المنظمات الدولية أصبحت تعترف باللغة العربية وتضعها في المكانة اللائقة بـــها ، وعلى رأس هذه المنظمات منظمة الأمم المتحدة التي قررت أن تكـــون

اللغة العربية هي واحدة من اللغات المعترف بها في القاء المحاضرات والبحوث واعترفت العديد من الجامعات العالمية باللغة العربية بوصفها لغة علمية وافردت لها مناهج ومقررات (١٢ ، ص : ٣٢) .

والتعبير يشمل مهارات اللغة كافة فالاهتمام به إهتمام باللغة نفسها فهو ميدان لتمرين الطلبة على التحدث باللغة العربية الفصيحة والكتابة بها فضلاً عن تشجيعهم على الاستماع وللتعبير دور في عمليتي الفهم والأفهام وفي الحديث الشريف ((المرء بأصغريه قلبه ولسانه)) أي إن المرء مقيس بحسن إحساسه وطيبة كلامه وجودة بيانه ، وكان الرسول (ص) نفسه مثلاً رائعاً في سداد التفكير وبراعة التصوير ، وله خطب ما ثورة لانت فيها الطباع الفظة واهتدت بها النفوس الضالة اشتدت منها العزائم الواهية واكتسبت القلوب المترددة ثباتاً ونوراً في ساعات المحن والأغراء (٨ ، ص٤٧) فلولا التعبير لما استطاع المرء الأفصاح عن أفكاره وعواطفه فهو سلاح الانسان في مقارعة الحجة بالحجة للوصول الى نتائج واقعية فالأمم السابقة واللاحقة لم يسدها عنصر التقدم والتطور من غير التعبير فكان سلاح الأنبياء والحكماء والمثقفين في توجيه المجتمعات نحو الخير والرقي في سلم المدينة ، وحديثاً يؤكد العاملون في الحقل اللغوي والتربية المتصلة به قيمة التعبير ، ويضعونه في قمة فروع اللغة ، ويعدونه غاية الدراسة اللغوية ، وغيره وسائل معينة عليه ، فالمطالعة تزود القارئ بالمعرفة والثقافة وهما رافدان للتعبير ، والأدب منبع الثروة الأدبية وذلك يساعد على جودة الأسلوب وجمال التعبير والقواعد النحوية وسيلة لصون اللسان والقلم من الخطأ في التعبير ، والإملاء وسيلة لرسم الكلمات رسماً صحيحاً ، فيفهم التعبير الكتابي على صورته الصحيحة فللتعبير ميزة ملموسة بين فروع اللغة

الأخرى في أنه يمثل خلاصة ما تعلمه الطالب في حياتـــه المدرســية ، ويعكس انتقال أثر التدريب بممارساته الحياتية (١٧ ، ص : ١٠ـ١١) .

وقد أبرز تعميم صادر عن وزارة التربية العراقية ضرورة العناية بالتعبير والنظر الى فروع اللغة وسيلة لتحقيق غاية معينة ، وان هـــذه الغاية هي التعبير بنوعية الشفهي والتحريري (١٧ ، ص:١١) ذلـك لأن التعبير يزود الطلبة بما يعوزهم من المفردات والـــتراكيب وتعويدهـم التفكير المنطقي واعدادهم للمواقف الحيوية التي تتطلب فصاحة اللســان والقدرة على الارتجال .

ومن الناس من تدخل دقة التعبير في مقاييس كفاياتهم ، وعوامـــل نجاحهم كالمعلمين والمذيعيـــن ومندوبـــي الصحافـــة ووكـــلاء النيابـــة (١ ، ص : ٥٩) ولا شك ان الطلبة عماد المستقبل فـــاعدادهم إعـــداداً تربويا سليماً ولا سيما في مجال دروس التعبير يؤهلهم لخدمة وطنــــهم وأمتهم (إن كثيراً من الطلبة يرسبون في امتحاناتهم لا عن قلـــة فـــي الجهد المبذول وانما عن قصور في فهم لغة الكتب الدراسية لصعوبتـــها من جهة وقلة عنايتها بالتوضيح والتفهيم من جهة ولضعـــف مســتوى الطلبة لغويا من جهة أخرى ، على ان هذه التوصية لا تشمل أهل اللغـة وحدهم وانما تشمل الآخرين من أعضاء الهيئات التدريسية كـــلا فـــي اختصاصه . (٩ ، ص : ١٨٣) ولتصحيـــح التعبـــير أهميـــة بالغـــة الخطورة فمن خلال تقرير المدرس لدرجات الأداء التعبـــيري يكتشـــف الطلبة قابلياتهم وقدرتهم فيحاولون من خلال هذا المحك تطوير أنفســـهم في التعبير ومعرفة نقاط القوة والضعف في تعبيرهم ، فيحاولون تجـاوز الأخطاء سواء أكانت لغوية أم معنوية فيحسنون أسلوبهم التعبيري طبقـــاً لملاحظات المدرس الإرشادية التي يدونها في كراسات التعبير .

وبناء على ذلك يكون تصحيح التعبير علاقة إجتماعية بين الطالب والمدرس إذا كان مبنياً على أسس ومعايير موضوعية فيعرف الطالب مدى تثمين المدرس لجهوده في الأداء التعبيري ويكون التصحيح تقويماً لقدرات الطالب وقابلياته ، لذلك يجب على المدرس أن يأخذ دوره الفاعل في التصحيح فعليه تقع كمسؤولية نجاح الطالب أو إخفاقه ليس في درس التعبير وحده وانما في الدروس الأخرى التي تعتمد على التعبير . فالتقدير الدقيق للدرجات التي يحصل عليها الطالب في الأداء التعبيري يكسبه الثقة بنفسه وبلغته فينتمي الى وطنه وأمته وفي الأقل الى محيطه الدراسي ويكسب رضا نفسه ومدرسيه من ثم مجتمعه فيعرف مدى اهتمام المدرس به وبزملائه وذلك ان التصحيح له أهداف كثيرة ليس في قياس التحصيل الدراسي وانما في بناء علاقة وجدانية بين المدرس والطالب والمجتمع إذ تعد المرحلة التي يمر فيها ــ مرحلة التعليم الثانوي ــ مرحلة أعداد الفتى والفتاة في حياته ، فهو عند الانتقال من دور الطفولة الى دور المراهقة يكون وكأنه ولد من جديد . (١١، ص : ٥٩) .

وبين الرابعة عشرة والحادية والعشرين يتحتم على المراهق ان يحقق الأمور الأربعة :

١ ــ ان يختار المهنة التي سينخرط فيها في قابل حياته وأن يبدأ الاستعداد لها .

٢ ــ أن يحرر نفسه من سلطة الوالدين ويحقق الاستقلال لنفسه .

٣ ــ ان يتوصل الى تكوين علاقات مرضية مع الجنس الآخر ، أي أن يتهيأ للقيام بدوره أباً أو أماً ، وفي الأقل عليه أن يبدأ بالبحث عن حلول مشكلاته العاطفية .

٤ ـ ان يحقق تكامل شخصيته تمهيداً لحمل مسؤولياته الاجتماعية الجديدة التي تلقيها عليه حياته عندما يصبح عضواً في مجتمع الراشدين (١١ ، ص : ٨٠) .

وتتميز المراهقة بسمو في مستوياتها الإدراكية العقلية ، فالفرد في سنواته (١٥ ــ ١٨) يتحرر من شطحات الخيال وأوهامه ، ويتحرر أيضاً من قيود الحس ، ويدرك أخطاء حواسه أحياناً فيصبح بذلك قادراً على التجريد الذي يقتضي إدراك الأشياء البعيدة عن عالمه الحاسي ، كما إنه يستطيع التصور العقلي السليم والإدراك الذهني الصحيح (١٩ ، ص : ١٩٣) . لذلك نعد دراسة مشكلات تصحيح الأداء التعبيري في المرحلة الإعدادية عونا على تخطي عقبات المرحلة التي يمرون بها ــ مرحلة المراهقة أو التعليم الثانوي لذلك البحث الحالي أهميته من :

١ ــ أهمية اللغة وارتباطها بالفكر والحياة والعواطف والمشاعر .

٢ ــ أهمية اللغة العربية بوصفها آصرة مهمة من أواصر القومية العربية لأنها لغة العلم والأدب والاجتماع والفلسفة والمنطق .... الخ .

٣ ــ أهمية درس التعبير لما له من أهمية في اكتساب مهارات اللغة كالقراءة والكتابة والاستماع والتحدث .

٤ ــ أهمية المرحلة الإعدادية بوصفها مرحلة انتقال الطلبة الى المرحلة الجامعية وتحملهم مسؤوليات الحياة بصورة عميقة .

هدف البحث :

١ــ يرمي البحث الى تعرف المشكلات التي تعوق تحقيق أهداف تصحيح الأداء التعبيري في المرحلة الاعدادية .

٢ــ وضع المقترحات لعلاج تلك المشكلات من وجهة نظر مدرسيها.

حدود البحث : يقتصر البحث الحالي على :

١ــ المشكلات التي تعوق تحقيق أهداف تصحيح التعبير التحريري.

٢ــ المرحلة الإعدادية .

٣ــ مدرسي مادة اللغة العربية ومدرساتها .

٤ــ العام الدراسي ٢٠٠٣ ــ ٢٠٠٤ م .

٥ــ مركز محافظة بغداد .

تحديد المصطلحات :

١ــ المشكلة : problem

عرفها كود (Good) أي موقف مهم أو مربك أو موقف متحد حقيقي أو إضافي اصطناعي يتطلب الحل إلى تفكير تأملي (p.g , x 3 8 , 22) وعرفها مجمع اللغة العربية بأنها : سؤال مطروح يطلب حلا وبوجه خاص مسألة عملية أو نظرية لا يوجد لها حل مطابق (١٦ ، ص : ١٨٤) .

التعريف الإجرائي للمشكلة :

هو كل ما يعترض المدرسين والمدرسات من عقبات في تحقيق أهداف تصحيح مادة التعبير التحريري سواء أكانت هذه العقبات من المدرس أم الطالب أم الطريقة أم من أي شيء آخر .

التصحيح :

التصحيح لغة : من صح الشيء ــ صحا وصحة وصحاحا برئ من كل عيب أو ريب ، يقال صح المريض وصح الخبر وصح العقد فهو صحيح أي سليم من العيوب والأمراض وصححه أزال خطأه أو غيبه وصح الكتاب والحساب (١٥ ، ص : ٥٢٧) .

والتصحيح : عرّفه إبراهيم بـ :

أن يقوم المدرسون في إصلاح أخطاء الطلبة في الأداء التعبيري التحريري على النواحي الآتية :

١ ـ الناحية الفكرية وتشمل النظر في الأفكار التي تندرج تحت الموضوع ، من حيث صحتها ، وترتيبها والربط بينها .

٢ ـ الناحية اللغوية : وتشمل مراعاة قواعد النحو والصرف والبلاغة واستعمال الألفاظ في المعاني التي وضعت لها .

٣ ـ الناحية الأدبية ، ونعني بها أسلوب الأداء ، ومراعاة الذوق الأدبي ، وجمال التصوير ، وسوق الأدلة في قوة ووضوح .

٤ ـ ناحية الرسم الأملائي ، وجودة الخط وحسن النظام . (١ ، ص : ١٦٨) .

وعرفه الرحيم : بأنه وقوع الطلبة في أخطاء في أثناء كتابتهم للتعبير التحريري سواء أكانت تلك الأخطاء في اللغة أم التفكير ، أو كان ذلك عادة سيئة اكتسبها الطالب منذ صغره كقلة العناية بالخط أو تلويث الورقة او الكتابة بصورة متراكبة ومتراصة لا تترك مجالاً للتصحيح وهو نوعان مباشر وهو الذي يقوم به المدرس أمام الطالب وغير مباشر وهو أن يقوم به المدرس بمفرده . (٨ ، ص : ٥٨)

التعريف الأجرائي للتصحيح :

التصحيح الذي يقوم به المدرس وحده ، بردّ الخطإ حتى لا يعتاده لسان المخطئ ولا يظنه الطلاب صواباً (١٨ ، ص : ٧٥) .

٣ ـ التعبير : composition

عرفه قاموس التربية : بأنه اختيار الأفكار وتنظيمها وتنميتها والتعبير عنها بصورة لائقة كلاماً أو كتابة (p.g , 116 , 22).

وعرفه نخبة من الاختصاصيين التربويين بأنه :

الوسيلة التي تمكن الطالب من أن يتحدث أو يعبر عما في نفسه بلغة سليمة وهو تنظيم هذه الأفكار جميلة متسلسلة وهو الغاية المرجوة من تدريس فروع اللغة الأخرى كالنمو والأدب والقراءة والاملاء . (٥ ، ص : ٣٤) .

وعرّفه مجاور :

بأنه ما يكون لدى الفرد من إمكانية التعبير عن أحاسيسه وأفكاره ومشاعره في وضوح وتسلسل بحيث يتمكن القارئ من أن يفهم ما يريده الكاتب وهو أنواع : كتابي أو تحريري ، واما تعبير شفهي ، وبحسب الأداة والصياغة يمكن ان يقسم تقسيمين آخرين :

١ ـ التعبير الذي يتصل بمطالب الحياة (التعبير الوظيفي) .

٢ ـ التعبير الفني الذي يراعى فيه دقة الأداة وحسن الصياغة (التعبير الأبداعي) (١٤، ص : ٢٢٢) .

التعريف الإجرائي للتعبير :

من خلال التعريفات السابقة للتعبير فإن التعريف الإجرائي للتعبير في هذا البحث هو : نشاط لغوي كتابي ، أو إبداعي يقوم به طالب المرحلة الإعدادية للتعبير عن الموضوعات المختارة في درس

التعبير ضمن مادة اللغة العربية ، تعبيراً واضح الفكرة ، صافي اللغة ، سليم الأداء ويتطلب الإبداعي منه زيادة على مـا تقـدم التـأثير فـي القارئ . (١٧ ، ص : ٢٢) .

٤ ـ المدرسون : ـ

لم يجد الباحث تعريفاً محدداً للمدرسين فعرّفهم إجرائياً كما يـأتي : القائمون على تدريس مادة اللغة العربية في المرحلة الإعدادية من الذكور أو الأناث .

٥ ـ المرحلة الإعدادية : ـ

هي المرحلة الدراسية التي تلي المرحلة المتوسطة في العـراق ، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، وظيفتها الإعـداد للحيـاة العمليـة والدراسة الجامعية الأولية (٦ ، ص : ٤) .

الفصل الثاني

ـ الدراسات السابقة ـ

أ ـ الدراسات العربية :

١ ـ دراسة أحمد (١٩٨٤) :

أثر طريقة المواقف الوظيفية في تدريس التعبير التحريري لدى طالبات الصف الثاني الثانوي

أجريت هذه الرسالة في جامعة عين شمس بمصر واستهدفت معرفة أثر طريقة المواقف الوظيفية في تدريس التعبير التحريري لدى طالبات الصف الثاني الثانوي ، وقد استخدم الباحث المنهجين الوصفي والتجريبي في دراسته التي استمرت ستة أشهر إذ طبق استبيانه على (١٠٠) من مشرفي اللغة العربية في مناطق القاهرة لتشخيص واقع تدريس التعبير ، وقد أفادت نتائج الاستبانة الباحث في تجربته التي طبقها على (٧٣) طالبة من طالبات مدرسة الحلمية الثانوية للبنات موزعات على شعبتين دراسيتين على أحداهما مجموعة ضابطة ، عددها (٣٥) طالبة سار في تدريس التعبير بحسب طريقة الموضوعات التقليدية ، والاخرى مجموعة تجريبية عددها عددها (٣٨) طالبة سار فيها التدريس بطريقة المواقف الوظيفية ، بعد أن كافأ بين المجموعتين في ((العمر الزمني)) ، والذكاء ، والقدرة على التعبير ، والمستوى الاقتصادي والأجتماعي ، والجنس واجرى اختباراً قبلياً وبعدياً وأعطى ثمانية موضوعات لكل مجموعة للكتابة عنها بين حصة وأخرى . وطبق معياراً لتصحيح التعبير أعده بنفسه مبنيًا على قياس عنصرين هما :

الخلو من الاخطاء الهجائية والنحوية وجودة التعبير واعطى (١٠٠) درجة لكل عنصر .

ومن اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة ما يأتي :

أ ـ أهم نتائج الاستفتاء :

١ ـ حصر المواقف الوظيفية ومجالات النشاط اللغوي التي تشيع في البيئة المصرية ، ككتابة الأخبار والخطب والرسائل والتقارير والمشكلات الأجتماعية .

٢ـ تحديد الكثير من القضايا التي تثار في مجال كأساليب تصويب اخطاء الطلاب وتعليق المعلمين على الموضوعات ، وطرائق التدريس المتبعة في تدريس التعبير .

ب ـ أهم نتائج التجربة : ـ

١ـ تفوق طالبات المجموعة التجريبية على طالبات المجموعة الضابطة في الموضوعات الثمانية التي تخص المواقف الوظيفية في الاختبار البعدي .

٢ ـ تفوق طالبات مجموعتي التجربة في الاختبار البعدي مقارنة بنتائج الاختبار القبلي .

٣ ـ انخفضت الأخطاء الاملائية والنحوية عند طالبات مجموعة المواقف الوظيفية بمعدل أكبر من طالبات مجموعة الموضوعات التقليدية وضمت الدراسة بعدد من التوصيات والمقترحات . (٢ ، ص : ٣٢ ـ ٣٣٢) .

٢ ـ دراسة الهاشمي (١٩٨٨م) :

مشكلات تدريس التعبير التحريري في المرحلة الأعدادية في العراق

حاول الباحث تحديد مشكلات تدريس التعبير التحريري في المرحلة الأعدادية ومقترحات حلولها من خلال الأجابة عن الأسئلة الآتية :

١. ما مشكلات تدريس التعبير التحريري في المرحلة الأعدادية في العراق من وجهة نظر مدرسي اللغة العربية ؟
٢. هل هناك فروق ذوات دلالة احصائية في المشكلات تبعاً لمتغيرات جنس المدرس ؟
٣. ما الحلول المقترحة لمشكلات تدريس المادة من وجهة نظر مدرسيها ؟.

واقتصر البحث على مدرسي اللغة العربية ومدرساتها في المرحلة الإعدادية من المدارس الثانوية والإعدادية النهارية في مراكز محافظات (بغداد ، ونينوى ، والبصرة) وتألف مجتمع البحث من (١٨٠) مدرسة إعدادية وثانوية توزع فيها (٦٤١) مدرساً ومدرسة للمادة ، اختار الباحث منها بالطريقة العشوائية الطبقية (٩٦) مدرسة تضم (٣٢٥) مدرساً ومدرسة منهم (١٥٨) مدرساً و (١٦٧) مدرسة . وقد أعدَّ الباحث اعتماداً على دراسته الاستطلاعية (استبانة) من (٦١) فقرة طبقت على عينة الدراسة النهائية بعد ان تحقق الباحث من صدق الأداة وثباتها ، وكان معامل الثبات (٠,٨٢) وقد بوّب الباحث الإستبانة في ستة مجالات هي :

١ ـ مجال أهداف تدريس التعبير. ٢ ـ مجال موضوعات التعبير التحريري . ٣ ـ مجال طرائق التدريس المستخدمة . ٤ ـ مجال مدرسي اللغة العربية . ٥ ـ مجال الطلبة. ٦ ـ مجال تصحيح موضوعات التعبير التحريري .

وقد أسفر البحث عن نتائج عدة في كل مجال من المجالات السابقة منها : ضعف ارتباط الأهداف بواقع تدريس التعبير التحريري ، افتقار درس التعبير الى منهج محدد ، أساليب التدريس المستخدمة غير قادرة على جعل الدرس مشوقاً ، إهمال المدرسين لدرس التعبير ، نفور أغلب الطلبة من التعبير ، شعور الطلبة بعدم جدية التصحيح ، ليس هناك معيار موضوعي للتصحيح ، قلة تدقيق المشرفين التخصصين لكراسات التعبير التحريري ، صعوبة استخدام إسلوب التصحيح المباشر في صفوف مزدحمة بالطلبة .

وقد اقترح الباحث مقترحات عدة لتحقيق طرائق تدريس التعبير التحريري منها :

ـ إقامة دروس أنموذجية يشاهدها المدرسون ويتبادلون الرأي حولها .

ـ اتباع طرائق وأساليب نشيطة وتعاونية تحرك الدوافع والرغبة الذاتية في التعلم .

وقد أوصى الباحث توصيات عدة منها : اجراء دراسات في مجال أو اكثر من المجالات التي تناولتها الدراسة بشيء من العمق والتوسع . (المصدر : ١٧) .

٣ ـ دراسة الهاشمي (١٩٩٣)

أثر ثلاثة اساليب في تصحيح التعبير في الأداء التعبيري لدى طالبات المرحلة الإعدادية

استهدفت الدراسة تعرف اثر ثلاثة أساليب لتصحيح التحريري (الأشاري ، والعلاجي ، والمرمز) في أداء التعبيري لطالبات المرحلة الإعدادية ولتحقيق هدف البحث اختيرت عشوائياً من بين المدارس الإعدادية والثانوية في بغداد ، إعدادية الحرية للبنات ،التي تضم ثلاث شعب للصف الخامس العلمي ، وزّع عليها عشوائياً أساليب التصحيح الثلاثة ، فكان الأسلوب الإشاري من نصيب المجموعة الأولى ، شعبة (أ) والأسلوب العلاجي من نصيب المجموعة الثانية ، شعبة (ب) والاسلوب المرمز من نصيب المجموعة الثالثة ، شعبة (ج) .

بلغت عينة البحث (٧٤) طالبة ، كوفىء بينها باستخدام تحليل التباين الأحادي في العمر الزمني ، والاختبار القبلي ، والقدرة اللغوية ، وتحصيل الأب وتحصيل الأم ، ودرجة اللغة العربية النهائية في العالم السابق ، ولم تكن الفروق ذات دلائل احصائية عند مستوى (٠,٠٥) .

ومن أجل قياس أداء الطالبات في التعبير ، أعد الباحث معياراً لتصحيح التعبير التحريري ، متسماً بالصرف والثبات ، ومؤلفاً من إحدى عشرة فقرة مقسمة على مجالين هما : الشكل والمضمون ، تنتمي خمس فقرات لمجال الشكل وست فقرات تنتمي لمجال المضمون .

وبعد ان كتبت طالبات المجموعات الثلاث في سبعة موضوعات مختارة وموحدة درسها الباحث بنفسه خلال مدة التجربة التي استمرت ستة أشهر ، وتصحيح الباحث لها واستخراج متوسطاتها ، استخدم تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلائل الفروق فظهرت هناك فروق ذات دلالة إحصائية ، ثم استخدام طريقة توكي للمقارنة ولتحديد إتجاه الفروق فظهر

ان هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية في فرضيتين ، اذ تفوق الأسلوب المرمز في تصحيح التعبير التحريري على الأسلوبين العلاجي والإشاري ، في حين لم يظهر هناك فرق ذو دلالة إحصائية في الفرضية الأخرى بين الأسلوبين الإشاري والعلاجي .

وفي ضوء نتائج البحث أوصى الباحث باعتماد الأسلوب المرمز في تصحيح التعبير التحريري في المرحلة الإعدادية وتأكيد في أثناء الدورات التدريبية لمدرسي اللغة العربية . وفي مناهج كليات التربية ، واعتماد معيار تصحيح التعبير التحريري المعد في هذه الدراسة ، في المرحلة الإعدادية ، والتدريب عليه .

كما اقترح الباحث القيام بدراسات لاحقة ، امتداداً لهذا البحث ، واكمالاً له ، في هذا المجال الحيوي الذي مازال منطقة بكراً تحتاج الى كثير من الدراسات والبحوث ، خدمة للغتنا القومية التي شرفت وحدها حين حملت رسالة السماء الى الأرض . (المصدر : ١٨) .

ب ــ الدراسات الأجنبية :

١ ــ دراسة بيجر (١٩٧٦) .

تحديد فعالية اسلوب تصحيح التجارب الشفهي على كتابة الطلاب الذين استخدموه

إن الغرض من هذه الدراسة هو تحديد فعالية إسلوب تصحيح التجارب الشفهي على كتابة الطلاب الذين استخدموه . إن الدراسة لمدة (١٢) اسبوعاً أعقبت الاختبار القبلي والمعالجة والاختبار البعدي وتصميم الإختبار ومن بين (٢١٨٠) طالباً تمّ اختيار عينة ضمت (١٢٣) طالباً تطوّعوا للتسجيل في واحده من الساعات الست الخاصة بمهارات الاتصال الاختيارية المفتوحة في مدرسة :

Shawnee Mission North – West

الثانوية في ضواحي ولاية كنساس ، لقد تم تقسيم العينة ثلاثة صفوف تكون المجموعة الضابطة (٦١) طالباً ، وثلاثة صفوف تكون المجموعة التجريبية (٦٢) طالباً ، وقد تلقى الطلبة في كلتا المجموعتين الاختبارات والواجبات الكتابية نفسيهما التي اتبعت الاجراءات نفسها ، واستخدمت الكتب المنهجية المقررة نفسها . وكان الفرق الوحيد بين المجموعات هو استخدام اسلوب تصحيح التجارب الشفهي من قبل الطلاب التجريبين .

ان اسلوب تصحيح التجارب الشفهي (المطّور من قبل الكاتب) وقد استخدم خلال اجتماع اسبوعي يبق الطالب والمدرس يشغل كل واحد بواجبات الكتابة المنتهية . إن الطالب الخاضع للتوجيه الدقيق من قبل المدرس يقرأ ورقته الخاصة بسرعة تتراوح بين ٦٠ و ١٢٠ كلمة في الدقيقة ، وفي أثناء القراءة حاول ان يحدد الأخطاء بالنظر أو الصوت ، لقد وضع الطالب دوائر حول تلك الأخطاء التي

وجدها ، وقد ساعد المدرس الطالب في تحديد أية أخطاء لم يتنبه إليها ، بعد قراءة الورقة مرة واحدة بهذا الأسلوب ، تأكد المدرس أن الطالب فهم الأخطاء وكيف السبيل لتصحيحها ثم قام الطالب بتعديل ورقته للتقويم النهائي .

اما الطلاب في المجموعة الضابطة فقد تلقوا اجتماعاً متشابهاً حول الواجبات الكتابية المنتهية ، وعلى أية حال فإن طلاب المجموعة الضابطة لم يسمح لهم بقراءة اوراقهم بصوت مرتفع لتحديد الأخطاء ، وقد تم احتساب الاوساط الحسابية للاختبارات القبلية لكل مجموعة والاختبارات البعدية ، وكان الاختلاف بين الأوساط المتنوعة قد اخضعت الى إختبار (T) المناسب لتحديد المستوى الأحصائي ذي الدلالة .

إن معاملات الثبات المستخرجة بين الدرجات التي حصصها كل من استاذين لقويم نماذج الكتابة نفسها تراوحت بين +٣٩ ,٠/ + ٧٢, ٠ إن المجموعة التجريبية سجلت معدلاً أعلى قليلا في الدرجات ، ومعدلاً نهائياً يقارب وحدة واحدة اكثر في الكتاب المنهجي من المجموعة الضابطة ، وعلى أية حال فإن الفروقات بين الأوساط للمجموعات على هذه العناصر لم تكن ذات دلالة .

إن أسلوب تصحيح التجارب الشفهي قد بدأ يسهم بشكل ما في الحضور الصفي والواجبات الصفية اكثر تكاملاً ، ودرجات أعلى بشكل طفيف ، قد تكون من الممكن ان المجموعة التجريبية أحست بأنها كانت تتلقى اهتماماً شخصياً أكبر (S. 25) .

٢ ـ دراسة هندركسن (١٩٧٦ م) :

معرفة أثر طريقتين في تصحيح الأخطاء في قدرة الطالب في كتابة الإنشاء

ومعرفة المشكلات الرئيسة التي تواجه الطلبة الأجانب عند كتابة إنشاء باللغة الإنكليزية .

تألفت عينة البحث من (٢٤) طالباً أجنبيا اختاروا دراسة اللغة الانكليزية واستمرت الدراسة مدة (٨) أسابيع ، في الأسبوع الثاني منها قاس الباحث قدرة الطلبة على وصف قصة مصورة ، وكفايتهم في اختيار المفردات والنحو والفهم ، ثم صنف الباحث الطلبة الى مجموعتين ، الأولى فيها معدل الأخطاء العامة واطئ ، والثانية معدل الاخطاء العامة عال واتبع مع أحدهما طريقة تصحيح الأخطاء العامة فقط ، واتبع مع المجموعة الأخرى طريقة تصحيح الأخطاء العامة والخاصة معاً ، بعد أن قسم عشوائياً كل مجموعة الى مجموعتين فرعيتين . واستمرت التجربة ستة أسابيع أخرى كان الباحث يعطي مواضيع إنشائية مبنية على وصف قصة مصورة ، ويقوم بتصحيحها بحسب طريقة التصحيح التي أخضع الطالب لها .

وفي نهاية التجربة أجرى الباحث أختباراً بعدياً لكل من المجموعتين ، واستخدم (تحليل التباين) وسيلة إحصائية فتوصل الى عدة نتائج أهمها : ـ

١. ليست هناك فروق ذوات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في كتابة الانشاء بين المجموعتين على اختلاف طريقة التصحيح .

٢. إن أهم المشكلات التي يواجهها الطالب الأجنبي عند كتابة الإنشاء هي :

أ ــ الاستخدام المخطئ لحروف الجر .

ب ــ ضعف الطلبة في الإملاء .

ج ــ عدم التوافق النحوي بين الفاعل والفعل . (P.g. 7002,23)

٣ ــ دراسة كايهوس (١٩٧٩ م)

قياس التباين بين اتجاهات طلبة المدارس الثانوية نحو الانشاء الذي يصححه الطلبة بعضهم لبعض (تصحيح الأقران)

أجريت هذه الدراسة في جامعة ميريلاند في الولايات المتحدة الامريكية وقد استهدفت الدراسة قياس التباين بين اتجاهات طلبة المدارس الثانوية نحو الانشاء الذي يصححه بعضهم لبعض (تصحيح الأقران) وقد حدد الباحث الاتجاه العام بثلاثة حقول هي :

١ ــ مشاركة الطلبة في عملية التصحيح .

٢ ــ الوقت الاضافي الذي يمنحه المدرسون لمساعدة الطلبة .

٣ ــ تعلم المهارات الكتابية من خلال عملية تصحيح الطلبة لكتاباتهم .

وقد اختار الباحث عشوائياً عينة مؤلفة من (١٧٠) طالباً من مجموع طلبة المرحلة الثانوية في إحدى مدن الغرب الأوسط في الولايات المتحدة الأميركية ، واستخدم مقياس لايكرت (Likert) لقياس اتجاهات الطلبة على وفق المتغيرات الأتية :

١ ــ الجنس ٢ ــ درجات الطلبة في الانشاء في اختيار مقنن هو اختبار (STEP) ٣ ــ معدلات الطلبة في دروس الانشاء

٤ ــ معدلات المستوى الدراسي العام للطالب ٥ ــ العمر .

وقد تألف المقياس العام للاتجاهات من (٥٠) فقرة تتعلق بمتغيرات الاتجاه العام اضافة الى فقرة إضافية رقم (٥١) تهدف الـــى معرفـــة اتجاه الطلبة نحو درس الانشاء ، وكان من نتائج الدراسة مايأتي :

١ ــ ترحيب الطلبة الجيدين من مستوى (A , B) للتحفيز الجديد وهو تصحيح الأقران .

٢ ــ أظهر مقياس الاتجاه أنّ الطلبة والمدرسين وجدوا ان استخدام هذه الطريقة إضاعة للوقت .

٣ ــ اظهرت إجابة الطلبة عن الفقرة (٥١) ان رغبة الطلبة بدرس الانشاء أقل من رغبتهم في الدروس الأخرى .

اضافة إلى ذلك توصل الباحث الى :

أ . ليس هناك فروق ذوات دلالة احصائية بين اتجاهات الطلبة نحو الانشاء بحسب متغير الجنس والعمر ومستوى التحصيل الدراسي العام .

ب ــ ان هناك فروقاً ذوات دلالة إحصائية بين إتجاهات الطلبة نحو الانشاء بحسب متغيري معدلات الطلـــبة في دروس الانـــشاء ودرجات اختبار (STEP).

وقد اقترح الباحث القيام بدراسة تستهدف الاجابـــة عـــن الأســـئلة الآتية:

١ ــ هل تتحسن مهارات الطلبة في الكتابة باستخدام طريقـــة تصحيـــح الأقران اكثر من المتبع في دروس الانشاء الاعتيادية ؟

٢ ــ لماذا لا يرغب الطلبة في درس الانشاء ؟

٣ ــ ما أسباب الفروق الاحصائية بين اتجاهات الطلبة ذوي المستويات التحصيلية المختلفة ؟ .(P .g,4934,24)

مناقشة الدراسات السابقة :ــ

تناول الباحث ست دراسات سابقة ، ثلاث دراسات عربية وثــلاث دراسات أجنبية ، وقد لاحظ الباحث أن الدراسات السابقة التي تنــاولت موضوع التصحيح في الأداء التعبيري لم تبحث مشــكلات التصحيـح للأداء التعبيري بصورة مركزة بل وقعت في العموميات الا إنها عالجت مشكلات تتعلق بضرورة تحسين طرائق الاداء التعبيري التحريــري أو الشفوي ومعالجة بعض المشكلات التي تتعلق بتصحيح الأداء التعبـيري لذلك كانت دراسة الباحث لمشكلات تصحيح الأداء التعبيري التحريــري في المرحلة الأعدادية سداً لهذا النقص في البحوث التي تناولت مشكلات تصحيح الأداء التعبيري في المرحلة الاعدادية ، وسيتناول الباحث هنــا بالشرح المفصل الدراسات السابقة :

أ ــ الدراسات العربية :

تناول الباحث ثلاث دراسات عربية هي دراسة أحمــد (١٩٨٤ م) التي هدفت تعرف أثر طريقة المواقف الوظيفية فــي تدريــس التعبـير التحريري لدى طالبات الصف الثاني الثــانوي ، ودراســة الهاشــمي (١٩٨٨ م) التي تعرف مشكلات تدريــس التعبـير التحريــري فــي المرحلة الاعدادية في العراق من وجهة نظر مدرســي اللغــة العربيــة ودراسة الهاشمي (١٩٩٣ م) التي ارادت تعرف أثر ثلاثة أساليب فـي تصحيح التعبير في الأداء التعبيري لدى طالبات المرحلة الاعدادية وقد اعتمدت دراسة أحمد (١٩٨٨ م) التصميم التجريبي وأسلوب الاستفتاء (الاستبانة) في حين اعتمدت دراسة الهاشــمي (١٩٩٨ م) إســلوب الاستفتاء (الاستبانة) ، واعتمدت دراسة الهاشمي (١٩٩٣م) التصميـم التجريبي ، أما حجم العينة فكانت في دراسة أحمد (١٩٨٤م) فكــانت (١٠٠) من المشرفين على تدريس اللغة العربية ممن طبــق عليـهم

الاستفتاء وكانت (٧٣) طالبة ممن طبق عليهم التصميم التجريبي أما دراسة الهاشمي (١٩٨٤) فكان حجم العينة (٩٦) مدرسة تضم (٣٢٥) مدرساً وبواقع (١٥٨) مدرساً و (١٦٧) مدرسة أما دراسة الهاشمي (١٩٩٣) فكان حجم العينة (٧٤) طالبة من اللواتي طبق عليهن التصميم التجريبي ضمن المجموعات الثلاث ، أما الوسائل الاحصائية فلم تذكر في دراسة احمد (١٩٨٤م) في حين كانت في دراسة الهاشمي (١٩٨٨م) درجات الحرة ، وفي دراسة الهاشمي (١٩٩٣م) تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلائل الفروق وطريقة توكي للمقارنة ولتحديد اتجاه الفروق .

وأهم ما توصلت اليه الدراسات السابقة ـ العربية ـ ما يأتي :

ضرورة حصر المواقف الوظيفية ومجالات النشاط اللغوي ككتابة الأخبار والخطب والرسائل والتقارير وتحديد الكثير من القضايا التي تثار في مجال التعبير كأساليب تصويب أخطاء الطلاب وتعليق المعلمين على الموضوعات وطرائق التدريس المتبعة في تدريس التعبير (دراسة احمد ١٩٨٤م) وتحديد مشكلات تدريس التعبير في ستة مجالات هي : ١ ـ مشكلات مجال / أهداف تدريس التعبير ٢ ـ مشكلات مجال / اختيار موضوعات التعبير التحريري ٣ ـ مشكلات مجال طرائق واساليب التدريس المستخدمة ٤ ـ مشكلات مجال / مدرس التعبير ٥ ـ مشكلات مجال / الطلبة ٦ ـ مشكلات مجال / تصحيح موضوعات التعبير (دراسة الهاشمي ١٩٨٨م) .

ولقد شخص الباحث مشكلات عدة في كل مجال من مجالات المشكلات الا إنه في تشخيصه لمشكلات مجال تصحيح التعبير قد حدَّدَ فقرات المشكلات بـ (١١) فقرة في حين بلغت فقرات مشكلات الباحث (٣٠) فقرة فضلاً عن أنَّ بعض الفقرات في دراسة الهاشمي (١٩٨٨م)

في معالجتة لمشكلات مجال تصحيح التعبير كانت مكرره بأسلوب مختلف مثل قوله في الفقرة (٧) لا يظهر المدرسون دقة في تصحيح الكراسات وقد تكررت هذه الفقرة باسلوب أخر في الفقرة (٩) شعور الطلبة بعدم جدية التصحيح وتكررت الفقرة مرة ثالثة في الفقرة (٥) رتابة الأسلوب المتبع في تصحيح التعبير التحريري .

اما أهم ماتوصلت اليه دراسة الهاشمي (١٩٩٣م) ضرورة اعتماد الأسلوب المرمز في تصحيح التعبير التحريري في المرحلة الاعدادية وتأكيده في أثناء الدورات التدريبية لمدرسي اللغة العربية .

ب ـ الدراسات الأجنبية :

تناول الباحث ثلاث دراسات أجنبية هي دراسة بيجر (١٩٧٦) التي هدفت تحديد فعالية أسلوب تصحيح التجارب الشفهي على كتابة الطلاب الذين استخدموه ودراسة هندركسن (١٩٧٦م) التي هدفت الى معرفة أثر طريقتين في تصحيح الأخطاء في قدرة الطلاب على كتابة الأنشاء ومعرفة المشكلات الرئيسة التي تواجه الطلبة الأجانب عند كتابة إنشاء باللغة الانكليزية ، ودراسة كايهوس (١٩٧٩م) التي هدفت قياس التباين بين إتجاهات طلبة المدارس الثانوية نحو الانشاء الذي يصححه الطلبة بعضهم لبعض (تصحيح الأقران) أما الأدوات التي استخدمتها الدراسات السابقة الثلاث فهي التصميم التجريبي كما في دراسة بيجر ودراسة هندركسن (١٩٧٦) ودراسة كايهوس (١٩٧٩) أما حجم (العينة) فكانت في دراسة بيجر (١٩٧٦م) ، (١٢٣) طالباً ، في حين كانت العينة في دراسة هندركسن (٢٤) طالباً .

وقد بلغ حجم العينة في دراسة كايهوس (١٩٧٩م) (١٧٠) طالباً ، أما الوسائل الاحصائية فقد استخدم في دراسة بيجر (١٩٧٦م) إختبار

(T) ، ودرجات الحدة في دراسة الهاشمي (١٩٨٨م) وتحليل التباين الأحادي وطريقة توكي في دراسة الهاشمي (١٩٩٣م) .

أما أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسات السابقة الأجنبية :

وجود فروق طفيفة لصالح التصحيح الشفوي في الأداء التعبيري التحريري (دراسة بيجر (١٩٧٦م) وعدم وجود فروق بين طريقتي تصحيح الأخطاء العامة وتصحيح الأخطاء العامة والخاصة (دراسة هندركسن ١٩٧٦م) وتشخيص المشكلات التي يواجهها الطالب الأجنبي عند كتابة إنشاء باللغة الانكليزية (دراسة هندركسن ١٩٧٦م) التي حددت بما يأتي :

١ ـ الاستخدام الخاطئ لحروف الجر ٢ ـ ضعف الطلبة في الاملاء .

٣ ـ عدم التوافق النحوي بين الفعل والفاعل .

أما دراسة كايهوس (١٩٧٩م) فقد اكدت أهمية طريقة تصحيح الأقران وقلة رغبة الطلبة في درس الأنشاء .

وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة العربية والأجنبية في دراسته هذه في اختيار العينة إذ بلغ حجم العينة (١٣٢) مدرساً ومدرسة كما استفاد أيضاً في اختيار الأداة (الاستبانة) وفي استخدام الوسائل الاحصائية إذ استخدم درجات الحدة ومعامل ارتباط بيرسون .

الفصل الثالث

١ ـ منهج البحث واجراءاته

منهجية البحث : ـ

يتضمن هذا الفصل وصفاً لعينة البحث وطريقة اختيارها وبناء أداة البحث وصدقها وثباتها والوسائل الاحصائية المستخدمة في تحليل النتائج كما يأتي :

المجتمع الأصلي :

يتألف المجتمع الأصلي للبحث من مدرسي اللغة العربية ومدرساتها الذين يقومون بتدريس اللغة العربية في المرحلة الاعدادية والثانوية ، وقد استعان الباحث لمعرفة المدارس الأعدادية والثانوية ومدرسي اللغة العربية الذين يقومون بالتدريس فيها بشعب الاحصاء وملاك الثانوي في المديريات العامة لكل من تربية بغداد الكرخ ١ / ٢ ، وتربية بغداد الرصافة ١ / ٢ ، وقد قام الباحث باستبعاد المدارس الأعدادية والثانوية المسائية لأن أغلب مدرسيها من المحاضرين الذين تؤخذ آراؤهم في مدارسهم الاعدادية والثانوية الصباحية ، وكذلك المدارس التي لاتقع في مركز محافظة بغداد لأنها لاتدخل ضمن حدود البحث ، وبذلك أصبح عدد المدارس الأعدادية والثانوية المشمولة بالبجث في مركز محافظة بغداد (٢٨٥) مدرسة تمثل المجتمع الأصلي للبحث التي بلغ عدد من مدرسي اللغة العربية ومدرساتها فيها (١٨٠٠) الف وثمنمائة مدرس ومدرسة .

العينة الأساسية :

قام الباحث بتحديد المدارس الإعدادية والثانوية التي ستجرى عليها عملية السحب العشوائي ، لاختيار العينة النهائية ، اذ كانت (المدرسة) هي وحدة الاختيار ، بعد استبعاد مدارس العينة الاستطلاعية التي اجريت الدراسة الاستطلاعية على مدرسي المادة ومدرساتها فيها جميعاً ، والبالغ عددها (٣٠) مدرسة ، وبذلك أصبح عدد المدارس في المجتمع الاصلي للبحث (٢٥٥) مدرسة منها (١١٠) مدرسة اعدادية وثانوية في المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ ١ / ٢ و (١٤٥) مدرسة في المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة ١ / ٢ وبعد إجراء السحب العشوائي تم اختيار المدارس الواقعة ضمن المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ / ١ والبالغة ٨٠ مدرسة مقسمة بحسب القطاعات الآتية :

ت	اسم القاطع	عدد المدارس
١.	قاطع الشعلة	٥١
٢.	قاطع الكاظمية	٣٢
٣.	قاطع المنصور	١٥
٤.	قاطع ابي غريب والتاجي	١٨
	المجموع	٨٠

اختير ٣٥% من حجم المجتمع الاصلي للمدارس الاعدادية والثانوية للمديرية العامة لتربية بغداد الكرخ / ١ إذ بلغ عدد المدارس (٢٨) مدرسة واختير مدرسي اللغة العربية ومدرساتها جميعاً ممن يدرسون

المرحلة الاعدادية فيها إذ عدد المدرسين والمدرسات (١٣٢) مدرساً ومدرسة وبواقع (٧٢) مدرساً و (٦٠) مدرسة .

الدراسة الاستطلاعية :

من أجل الوصول إلى الاستبانة النهائية كان لابد من اجراء دراسة استطلاعية لجمع المعلومات ، لذا قام الباحث بتوجيه سؤال واحد مفتوح إلى أفراد العينة الاستطلاعية البالغ عددهم (٣٠) مدرساً ومدرسة ممن يدّرسون اللغة العربية في (٣٠) مدرسة إعدادية وثانوية في تربية بغداد الكرخ ١ / ٢ وتربية بغداد الرصافة ١ / ٢ وبواقع (١٧) مدرساً و (١٣) مدرسة وبنسبة ١١% من حجم مدارس المجتمع الأصلي للبحث وكان السؤال كالآتي :

ـ ما مشكلات تصحيح التعبير التحريري في المرحلة الاعدادية ؟ وما مقترحات حلولكم لها ؟ .

تحليل استجابات المدرسين والمدرسات في الدراسة الاستطلاعية :

في ضوء استجابات أفراد العينة الاستطلاعية (مدرسي ومدرسات المادة) تم بناء فقرات الاستبانة المغلقة التي بلغ عدد فقراتها (٣٥) فقرة وقد زاد الباحث بعض الفقرات التي لم ترد في استجابات أفراد العينة الاستطلاعية والفقرات المزيدة وضعها الباحث من خلال الأدبيات المتناولة للموضوع ومن خلال خبرته الشخصية ، اذ أمضى في الخدمة اكثر من (٣٣) سنة .

صدق الأداة :

لغرض تحقيق صدق الاستبانة فقد عرضها الباحث بصيغتها الأولية على لجنة من المحلين والخبراء (ملحق : ٢) لبيان آرائهم ومقترحاتهم في فقرات الاستبانة ، ومدى صلاحيتها لتحقيق آهداف البحث ، وبعد أن أبدى الخبراء آراءهم في إدماج بعض الفقرات المتشابهة بعضها ببعض

وتبديل بعض الكلمات وزيادة فقرات جديدة ، أصبح عدد الفقـرات (٣٠) فقرة وقد تم تثبيت الفقرة التي حصلت على نسبة ٨٧% فما فـوق مـن آراء المحللين لأنها تمثل نسبة جيدة ، وقد استبعدت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق أدنى من ذلك ، وبذلك فقد تحقق الصـدق الظـاهري : Faceva lilty وأصبحت الاستبانة بعد التعديل تتكون من (٣٠) فقـرة صالحة للتطبيق على عينة البحث (ملحق : ١ و ٣) .

ثبات الاستبانة :

قام الباحث باستخدام طريقة إعادة تطبيق الاستبانة على عينة مـن مدرسي المادة ومدرساتها ، إذ بلغ عددهـم (٣٥) مدرسـا ومدرسـة ، وكانت المدة بين التطبيق الأول للأداة والتطبيق الثاني أسبوعين اذ أثـار آدم الى أن المدة بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني أسبوعين يجـب الا تتجاوز اسبوعين او ثلاثة أسابيع (p.g : 85,20) ووجد ان معـامل الثبات ٨٥% وهو معامل ثبات مرتفع .

الوسائل الاحصائية :

استخدم الباحث الوسط المرجح لأيجاد حدة الفقرة وترتيبها بحسـب درجة أهميتها من الأعلى إلى الأدنى :

١ ــ الوسط المرجح = (ت١ × ٢ + ت٢ × ١ + ت٣ × صفر) / مجموع ت

إذ أن :

ت١ = تكررات الاجابة عن البعد أعدها مشكلة لحد كبير .

ت٢ = تكررات الاجابة عن البعد أعدها مشكلة لحد ما .

ت٣ = تكررات الاجابة عن البعد لا أعدها مشكلة .

ت = مجموع المجيبين عن الفقرة (العينة) .

٢ ــ معامل إرتباط يرسون لايجاد معامل ثبات الاستبانة .

(P . g : 327 , 2 I) .

٢ ــ عرض النتائج وتفسيرها

يتضمن هذا الفصل عرض النتائج ومناقشتها في ضوء هدفي البحث ، ويقتصر الباحث على تفسير الفقرات ضمن الثلث الأعلى في الترتيب التنازلي لدرجة الحدة ، إنظر جدول (٢) .

جدول (٢)

الترتيب التنازلي لدرجة الحدة على فقرات الاستبانة لمجموع أفراد العينة

ت	نص الفقرة	ترتيب الفقرة في الاستبانة	حدة الفقرة
١	لا يستخدم المدرسون معيارا محددا في تصحيح التعبير التحريري.	٢	١ر٩٣
٢	قلة اهتمام المدرسين بكتابة ملاحظات إرشادية حول الموضوع التعبيري .	٦	١ر٩٢
٣	لا يناقش الكثير من المدرسين الطلبة المخطئين مباشرة .	١	١ر٩٠
٤	قلة الوقت المخصص لدرس التعبير.	٤	١ر٨٩
٥	لا يهتم الكثير من المدرسين بتنويع أساليب تصحيح التعبير التحريري .	٥	١ر٨٠

٦	يتأثر بعض المدرسين بجنس الطالب في تصحيح الأداء التعبيري .	٧	١ر٧٥
٧	يتأثر بعض المدرسين بانطباعهم السابق عن الطالب في إعطاء الدرجة .	٣	١ر٧٠
٨	لا يراعى الكثير من الطلبة جودة الخط والإملاء في الأداء التعبيري .	٢٤	١ر٦٥
٩	لا يلزم الكثير من المدرسين الطلبة باعادة كتابة الأخطاء بعد تصويبها .	٢٦	١ر٦٠
١٠	لا توجد قاعات مهيئة للتصحيح في كثير من المدارس .	٩	١ر٥٠
١١	ملاحقة بعض المدرسين الطلبة على أخطائهم من غير التجاوز عن بعض القصور .	٢٣	١ر٤٠
١٢	يتأثر الكثير من المدرسين بنظافة الدفاتر وتنظيمها في وضع الدرجة .	١١	١ر٣٨
١٣	اختلاف الزمن في التصحيح .	١٠	١ر٣٣
١٤	قلة فاعليات اللجان الامتحانية للغة العربية في تدقيق تصحيح الأداء التعبيري .	٢٢	١ر٣٠
١٥	قلة دورات التدريب والتطوير لمدرس اللغة العربية .	١٢	١ر٢٠
١٦	قلة تدقيق المشرفين التخصصيين لكراسات التعبير التحريري .	١٤	١ر١١
١٧	كثرة عدد الطلبة في الصف لا يساعد المدرس على تصحيح الأداء التعبيري مباشرة	١٥	١ر٠٩

١٨	يجعل الكثيرمن المدرسين من درجة التعبير مساعدة للطالب للنجاح بمادة اللغة العربية .	٢٧	١
١٩	لا يهتم الكثير من المدرسين بتقييد ما يراه من الأخطاء الشائعة وعرضه على الطلبة في حصة خاصة .	٢٠	٩٩ر٠
٢٠	لا يشجع الكثير من المدرسين طلبتهم على كتابة كلمات تحفزهم على الأداء التعبيري .	١٨	٩٥ر٠
٢١	يتأثر الكثير من المدرسين بمدة خدمتهم في تقدير درجة الأداء التعبيري .	١٦	٩١ر٠
٢٢	قلة المعايير الموضوعة لتصحيح التعبير التحريري .	٣٦	٩٠ر٠
٢٣	يتأثر الكثير من المدرسين بميولهم واتجاهاتهم في تصحيح الأداء التعبيري .	٣١	٨٠ر٠
٢٤	لا يهتم الكثير من الطلبة بتجنب الاستطراد في كتابة الموضوع التعبيري .	٣٣	٧٥ر٠
٢٥	إختلاف موضوعية تصحيح المدرس للأداء التعبيري باختلاف موضوعاته .	٣٠	٧٠ر٠
٢٦	يتأثر بعض المدرسين بانطباعهم السابق عن الاوراق المصححة في اعطاء الدرجة للطالب	٣٤	٦٥ر٠
٢٧	كثرة واجبات مدرسي اللغة العربية .	٢٨	٥٥ر٠
٢٨	لايهتم بعض المدرسين بتفهم الطلبة الأفكار التي تندرج تحت الموضوع (من حيث صحتها- ترتيبها - الربط بينها) .	٣٥	٣٥ر٠

٢٩	لا يراعي بعض المدرسين تبصير الطلبة بأهمية جمال التصوير والذوق الأدبي .	٣٢	٢٥ر٠
٣٠	لا يهتم بعض المدرسين بتبصير الطلبة بأهمية سوق الأدلة وقوة الحجة في الاداء التعبيري .	٢٩	٢١ر٠

- احتلت فقرة ((لا يستخدم المدرسون معياراً محدداً في تصحيح الأداء التعبيري)) بالمرتبة الأولى ، إذ حصلت على درجة عدة (٩٣ر١) ويرجع السبب الى أن المدرسين لا يحتكمون في تصحيح التعبير التحريري الى معيار محدد يوزن عناصر الموضوع ويضع لكل عنصر أو قسم منها درجة ، فالتعبير شكل ومضمون أو لفظ ومعنى والشكل أو اللفظ يشمل إختيار الألفاظ وتكوين الجمل السليمة التركيب من حيث القواعد والصرف والإملاء .... والمضمون يشمل ترتيب الأفكار من حيث صحتها وترتيبها والربط بينها ولكلى جزء منها درجة بل يصعب على المدرس ان يوزن كل جزء وتفرعاته إذا لم يحتكم الى معيار محدد في التصحيح .
- واحتلت فقرة ((قلة اهتمام المدرسين بكتابة ملاحظات إرشادية حول الموضوع التعبيري)) بالمرتبة الثانية ، إذ حصلت على درجة حدة (٩٢ر١) إن كتابة ملاحظات إرشادية للطالب حول الموضوع التعبيري تبصره بأخطائه فيعرف من خلالها الصواب لكي يتجاوز الاخطاء مستقبلاً ، لذلك تكون الملاحظات الارشادية بمثابة تقويم للطالب ولأدائه التعبيري فهو إصدار حكم ، ومعلوم ما للتقويم من أهمية في بناء تحصيل الطلبة فأهداف المواد الدراسية بما فيها التعبير لا تتحقق من غير تقويم أداء الطالب أو تحصيله .

- واحتلت فقرة ((لا يناقش الكثير من المدرسين الطلبـــة المخطئيــن مباشرة)) . بالمرتبة الثالثة ، إذ حصلت على رجـــة حــدة ٩٠ر١ فالتصحيح المباشر يكسب الطالب الخبرة الحســية المباشــرة فــي تصحيح الأخطاء فالمثيرات تتبعها الاستجابات وكلما ارتبط المثــير بالاستجابة مباشرة ومن دون فاصل زمني طويل كان التعلم أكــثر أثراً عند الطالب فضلاً عن أن التصحيح المباشر للأخطاء يشـــعر الطالب باهتمام المدرس به فتزداد ثقته بنفسه ويحاول تجاوز الخطأ مستقبلاً .
- واحتلت فقرة ((قلة الوقت المخصص لدرس التعبـــير)) بالمرتبــة الرابعة ، إذ حصلت على درجة حدة (٩٨ر١) إن درس التعبـــير يمثل خلاصة فهم الطلبة للغة وهو المجال التطبيق للغة وما تعلمــه الطالب من مهارات وقابليات من خلالها لذلك يحتاج المدرس الـــى مزيد من الوقت في تدريس التعبير التحــرري ولا ســيما عمليــة تصحيحه ، فالتصحيح يستأثر من الدرس لوقت طويل ولا سـيما إذا كان التصحيح مباشراً . فضلاً عن أن التصحيح يحتاج الى مناقشــة بين المدرس والطالب للوصول الى القناعة حول أخطاء الطلبة فـــي الأداء التعبيري .
- واحتلت فقرة ((لايهتم الكثير من المدرسين بتنويع أساليب تصحيــح التعبير التحريري المرتبة الخامسة إذ حصلت علــى درجــة حــدة (٨٠ر١) ان تنويع أساليب تصحيح التعبير يساعد الطالب علـــى زيادة مهاراته وقابلياته في الأداء التعبيري إن كثيراً من المدرســين يقومون بتصحيح الأداء التعبيري التحريري خارج الصف من غير مشاركة طلبتهم في عملية التصحيــح ان كثـيراً مــن المدرســين لا يشجعون طلبتهم على تصحيح الأقران أي أن يقوم الطلبة بعملية

بعملية تصحيح الاداء التعبيري أي يصحح أحدهما كراسة الآخر وان ذلك يتناسب ودعوات رجال التربية الى يكون الطالب محور العملية التربوية وان يكون المدرس محركاً لها أو مشرفاً عليها .

- واحتلت فقرة يتأثر بعض المدرسين بجنس الطالب في تصحيح الأداء التعبيري)) المرتبة السادسة ، إذ حصلت على درجة حدة (٧٥ر١) فقد أثبتت دراسة كارنر Garner التجريبية على عينتين بعد ضبط المتغيرات أن الطالبات حصلن على درجات أعلى من درجات الطلاب سعداء كان ذلك من قبل المدرسين أو من قبل المدرسات . هذا بشكل عام . ولكن الدرجات التي أعطاها المدرسون كانت منخفضة بالنسبة للجنسين بالقياس الى درجات المدرسات . كما أظهر البحث أن المدرسات قد اعطين الطالبات درجات أعلى مما أعطين للطلاب وقد اعتمد الباحث في معرفة دلالة الفروق على النسبة الحرجة للفروق بين المتوسطات (٧ ، ص : ١٣٨) .

ان تحليل ميل المدرس أو المدرسة نحو جنسهما في إعطاء الدرجة يرجع إلى عوامل سايكولوجية تتدخل فيها البيئة الى حد كبير ، لذلك جاءت دراسة الباحث مؤكدة دراسة كارتر في تشخيص مشكلة تأثر بعض المدرسين بجنس الطالب في تصحيح الأداء التعبيري .

- واحتلت فقرة ((يتأثر بعض المدرسين بانطباعهم السابق عن الطالب)) في اعطاء الدرجة ، المرتبة السابعة ، إذ حصلت على درجة حدة (٧٠ر١) .

إن خبرة الفرد وانطباعه تؤثر في أحكامه اللاحقة ، وفي المجال التربوي قد يكون للأنطباع السابق للمصحح عن صاحب الأجابة تأثير في درجته ، ففي انكلترا يذكر (بلارد) ان طالبين كانا

يدرسان معاً ويقوم بتدريسهما مدير المدرسة وكانا يقدمان له مقالة كل أسبوعين . وكانا يتبادلان الأفكار والاستشارات ويكتبان الشيء نفسه تقريباً ، ولكن كانت التقديرات لأحدهما تكون بمستوى جيد جداً وللآخر بنسبة مقبول في كل مرة تقريباً ، وقد تآمرا في يوم من الأيام فتبادلا مقالتيهما بوضع أسم كل منها على ورقة زميله ، وعندما جاءت نتائج التصحيح ، كانت كما هي على وفق الاسماء لا على وفق الاجابات . بالرغم من أن المدير قد صحح الأجابتين تصحيحاً يبدو عليه الدقة والاهتمام من خلال ملاحظاته عليهما (٧،ص:١٣٧) .

وقد جاءت دراسة الباحث مؤكدة دراسة (بلارد) مما يدلل على أن مشكلة الانطباع السابق عن الطالب يشكل مشكلة في مجال التصحيح ولا سيما مجال تصحيح التعبير التحريري ويرجع السبب في ذلك لعوامل نفسية وبيئية .

- واحتلت فقرة ((لا يراعي الكثير من الطلبة جودة الخط والاملاء في الأداء التعبيري)) المرتبة الثامنة ، إذ حصلت على درجة حدة (٦٥ر١) فللجودة الخط والاملاء تأثير نفسي في إستجابات المدرس في إعطاء الدرجة إذ لاحظ ثورندايك وهاجن : ((أن لحسن الخط وتنظيم الأجابة وتكاملها واسلوبها وتعبير الطالب تأثيراً كبيراً في درجته ، فالطالب القادر على الكتابة الجيدة سوف يحصل على درجة أعلى من الطالب الذي يتمكن من تقديم الأجابة نفسها ولكن بصيغ اقل جاذبية (٧ ، ص:١٣٨) .
- واحتلت فقرة ((لا يلزم الكثير من المدرسين الطلبة بإعادة كتابة الأخطاء بعد تصويبها)) المرتبة التاسعة ، إذ حصلت على درجة

حدة (٦٠ /١) وقد أكد ثورندايك . اهمية التمرين في تقوية الاستجابات (قانون الاستعمال Use) ويدل على تقوية الروابط نتيجة استمرار الممارسة وعلى العكس من هذا القانون (قانون الاهمال) disuse ويدل على ضعف الروابط (أو النسيان نتيجة توقف الممارسة ، (١ ، ص : ١٨٨) فضلا على ان ممارسة تصويب الاخطاء يتفق وما دعت اليه الفلسفة البرغماتية عند جون ديدي ووليم جيمس من اهمية التعلم عن طريق العمل .

- واحتلت فقرة ((لاتوجد قاعات مهيئة للتصحيح في كثير من المدارس)) المرتبة العاشرة ، اذ حصلت على درجة حدة (٥٠ / ١) أن توافر المناخ المناسب للتصحيح كتهيئة قاعات خاصة للتصحيح يساعد المدرس على ان يكون دقيقاً في التصحيح إذ لا يتعرض للمضايقة النفسية والجسدية وقد اكدت الدراسات النفسية والتربوية ان لتعرض الفرد للرضا أثراً في إكتساب العادات الجيدة وتقويتها .

ويمكن القول إن كثيراً من الخدمات الشخصية غير متوافرة المدرس في أثناء التصحيح حتى مياه الشرب .

الفصل الرابع

التوصيات والمقترحات

أ ـ التوصيات :

من خلال اقتراحات مدرسي المادة في الاستجابة للسؤال المفتوح الذي وجهه الباحث لأفراد العينة الاستطلاعية الذي تضمنته الصحيفة الأولى من الاستبانة يوصي الباحث بما يأتي :

١ ـ ضرورة اعتماد مدرسي المادة في تصحيح التعبير على معيار محدد متفق على صدقه وثباته .

٢ ـ على مدرسي المادة كتابة ملاحظات إرشادية للطلبة تبصرهم بنقاط ضعفهم في كتابة التعبير وضرورة تحفيزهم بعبارات ثناء يستحقونها مثل كلمة (أحسنت) ، (ممتاز) ، (جيد جداً) .. الخ .

٣ ـ ضرورة الأهتمام بتنويع أساليب التصحيح لأن اقتصار التصحيح على مدرسي المادة فقط يؤدي الى ضعف في كفاية الطلبة بالاطلاع على أخطائهم .

٤ـ ينبغي التزام مدرسي المادة بالموضوعية في تصحيح الأداء التعبيري وتجردهم من الذاتية كالانطباع السابق عن الطالب في إعطاء الدرجة أو الانطباع السابق عن الأوراق المصححة في إعطاء الدرجة أو التأثير بجنس الطلبة .. الخ .

٥ ـ ضرورة تبصير مدرسي المادة الطلبة بالاهتمام بالخط والتنظيم ونظافة الدفاتر .

٦ ـ ضرورة التزام مدرسي المادة بتبصير الطلبة بأخطائهم الشائعة وعرضها عليهم في حصة خاصة .

٧ ـ الاهتمام بتوافر قاعات مهيئة للتصحيح وتوافر الخدمات المقدمة للمصححين من المدرسين .

٨ ـ على مدرسي المادة تبصير الطلبة بأساسيات كتابة التبصير من حيث الالتزام بقواعد النحو والصرف والاهتمام بترتيب الأفكار لان ذلك مما يساعد المصحح على تقليل عنائه في عملية التصحيح .

ب ـ **المقترحات :**

١ ـ إجراء دراسة عن مشكلات تصحيح التعبير التحريري في مراحل دراسية أخرى كالمرحلة الابتدائية والمتوسطة .

٢ ـ إجراء دراسة عن أثر استخدام طريقة النص في تدريس قواعد اللغة العربية في الأداء التعبيري التحريري لدى طلبة المرحلة الاعدادية .

٣ ـ إجراء دراسة عن أثر تصحيح الأقران في الأداء التعبيري التحريري لدى طلبة المرحلة الاعدادية .

المصادر

١ ــ ابراهيم ، عبد العليم ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، ط : ٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ .

٢ ــ أحمد ، محمد عبد القادر ، طرق تعليم التعبير ، ط : ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

٣ ــ أبو عطب ، د . فؤاد و د . آمال صادق ، علم النفس التربوي ، مكتبة الأفجلو المصرية ، ط : ١ ، ١٩٧٧ م .

٤ ــ بديع ، شريف ، أصول تدريس اللغة العربية ، مطبعة الصباح ، بغداد ، بلا تأريخ .

٥ ــ الجمهورية العراقية ، وزارة التربية ، مديرية الاشراف الأختصاصي توجيهات وتوصيات الاختصاصين التربويين لمادة اللغة العربية ١٩٨٣ م .

٦ ــ ، نظام المدارس الثانوية ، رقم : ٢ لسنة : ١٩٧٧م ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد ، ١٩٧٧م .

٧ ــ د ميرجي ، نجيب أحمد وجمال الآلوسي ، موضوعية تقويم الأجابات الأمتحانية في المرحلة الثانوية ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، ع : ٥ ، س ١٩٨٠م .

٨ ــ الرحيم ، د . أحمد حسن ، أصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، مطبعة الآداب ،النجف ، ١٩٦٤م .

٩ ــ ــــــ ، ــــــ ، الامتحانات المدرسية ، ظروفها ونتائجها ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ع : ١ ،س : ١٩٧٩م .

١٠ــ الشبلي ، د . إبراهيم مهدي ، المناهج ــ بناؤها ــ تنفيذها ، مطبعة وزارة التربية ، رقم (٣) ، بغداد ، ١٩٦٨م .

١١ـ صرافة ، د. نعيم يوسف ، الأرشاد التربوي والمهني في المدارس الحديثة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨م .

١٢ـ عبد الحليم ، د. عبد الحميد و د. حسن محمد أبو العينين ، العربية في الأعلام مطابع دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

١٣ـ قليقلة ، عبدة بن عبد العزيز ، مقالات في التربية واللغة والبلاغة والنقد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

١٤ـ مجاور ، محمد صلاح الدين ، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية ط : ١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة : ١٩٦٩م .

١٥ـ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ح : ١ ، ط : ٣ ، القاهرة ١٩٨٥م .

١٦ـ ________ ، المعجم الفلسفي ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٧ـ الهاشمي ، د. عبد الرحمن ، مشكلات تدريس التعبير التحريري في المرحلة الأعدادية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد ، كلية التربية (ابن رشد) ١٩٨٨م .

١٨ـ ________ ، ________ ، أثر ثلاثة أساليب في تصحيح التعبير في الأداء التعبيري لدى طلاب المرحلة الإعدادية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ابن رشد ، ١٩٩٤م .

١٩ـ ________ ، عبد الحميد ، علم النفس التكويني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : ٣ ، ١٩٦٣م .

20- Adams, S Measurement and EValuation in Education, Psychology and Guidance, Holt, Rinehart and Winston, New York, I 966.

21- Fischer, Eugene, C."Anational survey of the Beginning Teacher " in Yauch, Wilbur A, and others. The Beginning Teacher. Henry Holt, New -York.

22- Good, Carter V. Dictionary of Education, 2ned ed, McGraw - Hill New - York, I I , 59 , 1973 .

23- Hendrickson, Tames Michael, "The Effects of Error correction Treatments upon Adequate and Accurate communication in the written compositions of Adult learners of English as Seconde, language, " .Dissertation Abstracts International, Vol, 37, No: II (1977) .

24- Kyhos, R, " An Analysis of the Attitudes of senioy High School students Tow arts Student - Evaluated, composition"
Dissertation Abstracts International.
Vol, 40 No, 9 (March 1980).

25- Pechar, George, M, AN Evaluation of An oral proof Reading Teohnigue. Used to Teach Grammar an composition Dissertation Abstracts Thternationd August, vol, 38, No : 2,1977 .

ملحق (١)

أسماء لجنة الخبراء والمحكمين على صدق

فقرات الاستبانة النهائية

ت	الأسماء	التخصص	الكلية
١	أ.د. عايف حبيب	علوم تربوية ونفسية	التربية /ابن رشد
٢	أ.د. عبد الله الموسوي	علوم تربوية ونفسية	التربية/ ابن رشد
٣	أ.د. عقيد العزاوي	طرائق تدريس القران والتربية الإسلامية	التربية /ابن رشد
٤	أ.د. نعمة رحيم العزاوي	لغة عربية	التربية/ ابن رشد
٥	ا.م.د. أحمد بحر هويدي	علوم تربوية ونفسية	التربية/ ابن رشد
٦	ا.م.د. رقية العبيدي	علوم تربوية ونفسية	التربية/ ابن رشد
٧	ا.م.د صاحب مرزوك	علوم تربوية ونفسية	التربية/ ابن رشد
٨	ا.م.د ضرغام الخفاف	لغة عربية	التربية/ ابن رشد
٩	م. د. ساجدة مزبان حسن	لغة عربية	التربية/ ابن رشد
١٠	م. د. سلافه صائب خضير	لغة عربية	التربية/ ابن رشد
١١	م .د. شذى عادل	علوم تربوية ونفسية	التربية/ ابن رشد
١٢	م.د. عبد الله السوداني	لغة عربية	كلية التربية/الجامعة المستنصرية
١٣	م.د. فاخر جبر	لغة عربية	كلية التربية/ابن رشد
١٤	الطالبة ايمان اسماعيل	طرائق تدريس اللغة العربية (قسم الماجستير)	كلية التربية/ابن رشد
١٥	السيد علي جعفر	لغة عربية	ثانوية كلية بغداد

تم ترتيب الأسماء حسب الألقاب العلمية والحروف الهجائية .

القائد هاشم بن عتبــة بن ابي وقاص

أ.د. حمدان عبد المجيد الكبيسي
كلية الآداب ـــ جامعة بغداد

الملخص

شهدت ساحة العراق بطولات عسكرية فذة ، سجل فيها القـــائد هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري انتصارات كثــيرة وحاســمة ، فتمكن من طرد العدو وتحرير العراق من قبضته ، إذ كان القائد هاشــم بن عتبة من أولئك المجاهدين الذين تمتعوا ببصيرة قيادية فذة ، كـــانت ذات اثر بعيد في تحقيق انتصاراته وهزيمة أعدائه في المعارك التـــي خاضها .

شهدت ساحة العراق مآثر خالدة ، وبطولات عسكرية فذة ، سجل فيها القائد هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص الزهري " المرقال "[1] انتصارات كثيرة وحاسمة ، فتمكن من خلالها من طرد العدو المغتصب وتحرير ارض العراق من قبضته .

إسهامه مع القائد خالد بن الوليد

اسلم أبو عمرو هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الزهري في السنة الثامنة للهجرة[2] ، فنال شرف الصحبة ، وشرف الجهاد ، فاصبح قائداً شجاعاً خاض معارك كثيرة ، وكان له إسهام فاعل في تحرير ارض العراق ، اذ قاد احد تشكيلات الجيش العربي الإسلامي مع القائد خالد بن الوليد فشهد معركة ذات السلاسل[3] والمذار[4] والولجة[5]

---

[1] لقب القائد هاشم بن عتبة بـ " المرقال " لأنه كان يرقل في الحرب . (ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، (القاهرة ، مطابع دار المعارف ، ١٩٧٩) ، جـ ٥ ، ص ٤٠ و ٤٤ .

[2] ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، (طبعة مصر ، بلا) جـ ٤ ، ص ١٥٤٦ .

[3] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ . ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) . الكامل في التاريخ ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) جـ ٢ ، ص ٢٦٢ . ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية في التاريخ ، (القاهرة ، ١٩٣٢) جـ ٦ ، ص ٣٤٤ .

[4] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٤٥ .

[5] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٦، ص ٣٤٥ .

واليس[٦] والحيرة[٧] والانبار [٨] وعين التمر[٩] بعد ان تم القضاء على حركة المرتدين في اليمامة . وقد سجل القائد هاشم بن عتبة حضـــوراً فاعلاً مع جيش المسلمين الذي خاض خمس عشرة معركة في العـــراق سنة ١٢هـ / ٦٣٣م ولم يهزم الجيش الي كان معه في واحدة منها . إذ تشير النصوص الى ان جيش المسلمين الي تمكن من إخمـــاد حركـــة المرتدين في اليمامة تلقى امراً من الخليفة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) بـــان يتوجه نحو العراق[١٠] . وبعد ان تم اختيار الهدف السوقي " الحـــيرة " لجيش المسلمين ، وتامين الموارد المتيسرة لهذا الجيش ، اتخذت خطـــة سوقية بارعة اقتضت ان تتقدم تشكيلات ارتال جيش المسلمين بحيـــث يكون لكل تشكيل طريق يسلكه ليوهم العدو ان عدد جيـــش المســـلمين كبيراً ، ولا قبل له بهم . وعمدت قيادة جيش المسلمين الى تضليل العدو وارباكه ، فتقدم جيش المسلمين على جبهة واسعة فوجدوا جيش عدوهم

---

[٦] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٦ . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٢٦٥ .

[٧] البلاذري ، احمد بن يحيى ، (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، (مصر ، مطبعة الموسوعات) ١٩٠١) ، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ . الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٦٧ .

[٨] البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٥٥ . الطبري ، تاريخ الرسل ، جـــ ٣ ، ص ٣٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٩ .

[٩] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٧٦ . قدامة ، الخراج ، ص ٣٥٦ .

[١٠] ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ . الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٤٣ و ٣٤٧ .

مربوطين بالسلاسل لئلا يفروا من ساحة المعركة [11] . وهذا يشير الى ان قائد الجيش الساساني " هرمز " لم يكن مطمئناً الى صمود جيشه إمام جيش المسلمين ، فعمد الى أقرانهم بالسلاسل لئلا يفروا من ساحة المعركة [12]. ومهما يكن من امر ، فان جيش المسلمين الذي كان بمعيته القائد هاشم بن عتبة ، انقض على جيش الفرس والحق به هزيمة منكرة وقد سميت هذا المعركة " معركة ذات السلاسل "[13].

وبخطة محكمة ، تحرك جيش المسلمين نحو المذار ، اذ استثمر انتصاره في معركة ذات السلاسل ، فطارد العدو المندحر ، ولم يدعه يتوارى عن ناظريه ، او يلتقط أنفاسه ، فاصطدم معه في " المذار " على ضفة نهر " الثني " فدارت معركة حامية الوطيس ، هزم فيها الفرس شر هزيمة ، وقتل منهم اكثر من ثلاثين الفا[14] .

واسهم القائد هاشم بن عتبة في معركة الولجة التي دارت بين جيش المسلمين والجيش الساساني الذي أذهله انتصار المسلمين في معركة " المذار " التي لم يكن آثرها هيناً بل كان شديد الوطأة على

---

[11] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٤٤ .

[12] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ . ابن كثير البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٤٤ .

[13] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٤٩ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ .

[14] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٤٥ .

الفرس الذين استعدوا مجدداً وعبؤوا قواهـم[١٥] . وإزاء ذلـك وضـع المسلمون خطة عسكرية محكمة أفصحت عن حذقهم في فن الحـرب ، ودهائهـم في إدارة دفة المعارك الحربية وملاقاة العدو مـهما تكـاثف عدده . فدارت رحى معركة عنيفة وطاحنة بين الطرفين ، وقف فيـها الجيش الإسلامي الذي كان المقاتل هاشم بن عتبة ابن ابي وقاص احـد إفراده ، كالطود الشامخ ، مدافعاً تارة ، ومهاجماً أخرى ، ثم ما لبث ان انقض كمينان من جيش المسلمين وباغتا العدو من وراء ظهره ، فـهلع للمباغتة وذهل ، وعندئذ دارت الدائرة على جيش العدو ، وانفصمـت عراه ، ودب الفزع في نفوس جنده ، فتفتت جمعهم وولـوا مدبريـن ، ومنوا بهزيمة منكرة ، وتحقق الانتصار عليهم على الرغم مـن عـدم تكافؤ الكفتين من حيث العدد والعدة[١٦].

وابلى القائد هاشم بن عتبة بلاء حسناً في المعركة التي خاضـها المسلمون وحرروا قرية " اليس " المتاخمة للبادية[١٧] في صفـر سـنة ١٢هـ / ٦٣٣م . إذ لم يأبه جيش المسلمين لكثرة عدد الجيش الساساني الذي تجمع في " اليس " فزحف اليهم وعزم على منازلتهم ، كي لا يدع لخصمه مجالاً للتفكير ورد الفعل السريع . ودار قتـال عنيـف أبلـى المسلمون فيه بلاء حسناً الى ان أوصلوا عدوهم الى حالة يئس فيها من

---

(١٥) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٦ ، ص ٣٤٥ .

(١٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ . ابن كثير ، البداية ، جـ ٤ ، ص ٣٤ .

(١٧) عن اليس ، ينظر : ياقوت ، البلدان ، (بيروت ، دار صادر ودار بـيروت ، ١٩٥٥) جـ ١ ، ص ٣٢٨ .

إمكانية الوقوف أمام جيش المسلمين ، فحاقت بهم الهزيمة وولوا مدبرين وخسروا في هذه المعركة سبعين ألفا من جندهم[18].

وكان القائد هاشم بن عتبة قد اسهم ايضاً في تحرير " امفشيا " القريبة من الحيرة . إذ استطاع الجيش الإسلامي أن يسجل هذا النصر بسهولة ويسر لان العدو كان قد أضنته معركة " اليس " فتخاذل جنده وانهارت قواهم وهزموا شر هزيمة[19]. وذكر " الطبري "[20] : أن سهم الفارس بلغ ألفا وخمسمائة درهم سوى النفل الذي نفله القائد لأهل البلاء .

واسهم القائد هاشم بن عتبة في تحرير " الحيرة " الذي عُدَّ عملاً حربياً عظيم القيمة ، إذ كان له صدى كبير في حاضرة الخلافة [21]. كما اسهم في تحرير " الانبار " وعين التمر . إذ وضعت قيادة جيش المسلمين خطة استهدفت تقصير أمد القتال وتجنبت سفك الدماء ما أمكن ذلك ، فطلب أهل " الحيرة " الصلح على شروط المسلمين[22]. في حين مني العدو الذي تمركز في عين التمر بهزيمة منكرة ، فولى هارباً لا

---

(18) ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٦ . ابن الأثير ، الكامل ـ جـ ٢ ، ص ٢٦٥ .

(19) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ . ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(20) تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ .

(21) ابن آدم ، يحيى القرشي ، (ت ٢٠٣هـ) الخراج (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٩) ص ٥٢ . الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٦٨ . قدامة ، الخراج ، ص ٣٥٥ .

(22) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٤٩ .

يلوي على شيء [٢٣] . وفي ذلك الحين تلقى قائد جيش المسلمين " خالد بن الوليد " أمر الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بالتوجه نحو بلاد الشام مدداً لمن كان هناك ، وحثه على أن يستخلف على جيش المسلمين في العراق القائد المثنى بن حارثة الشيباني " ولا يأخذن من فيه نجدة إلا ويترك عند المثنى مثله[٢٤] . ومع ذلك قال " ابن الأثير" [٢٥] : أن القائد خالد ابن الوليد استأثر بأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وترك للمثنى عداهم .

والمهم في الأمر ، أن القائد هاشم بن عتبة كان من الذين وصفهم الخليفة بـ " أهل القوة والنجدة والصحبة "[٢٦] . لذا اثر القائد خالد بن الوليد أن يستصحبه معه الى جبهة بلاد الشام ، اذ أبلى هناك بلاء حسناً ، واسهم في تحقيق النصر المؤزر الذي سجله المسلمون في معركة اليرموك ، ذلك ان القائد خالد بن الوليد شعر بان هاشم بن عتبة قد اكتسب خبرة قتالية في ساحة العراق ، فسجل فيها مواقف بطولية رائعة . ذلك انه كان مستعداً لملاقاة العدو ومهما بلغت قوته ، إذ كان يمتلك مهارة عالية في فن القتال . وبذلك عهد إليه القائد خالد بن الوليد بقيادة كردوس من كراديس أهل العراق فجال بكردوسه مع بقية الكراديس ، فدارت معركة عنيفة طاحنة وقف فيها القائد هاشم بن عتبة كالطود الشامخ ، مدافعاً تارة ومواجهاً أخرى ، الى ان استطاع

---

[٢٣] ابو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) ، الخراج (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٩) ، ص ٢٨ . تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٧٦ . ابن الأثير . الكامل ، جـ ٢ ، ص ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

[٢٤] م . ن ، ص ٢٧٩ .

[٢٥] م. ن.

[٢٦] م. ن .

المسلمون إلحاق هزيمة منكرة بجيش العدو الذي ولى مدبراً بعد أن مني بخسائر كبيرة[٢٧] .

إسهام القائد هاشم بن عتبة في معركة القادسية

ويبدو ان أخبار استبسال القائد هاشم بن عتبة ، وبلاءه في المعارك التي خاضها وصلت الى حاضرة الخلافة ، فاعجب به الخليفة ايما إعجاب . وبذلك أوعز للقائد ابي عبيدة عامر بن الجراح ، بان يصرف جند العراق الى العراق ليلتحقوا بالقائد سعد بن ابي وقاص ، على ان يكون هاشم بن عتبة قائداً لهؤلاء الجند . وإزاء ذلك عبأ القائد هاشم بن عتبة جيشه تعبئة كاملة وجعله على أهبة الاستعداد ، بحيث وصلت استعداداته درجاتها القصوى واصبح مستعداً لملاقاة العدو وفي جبهة العراق مهما بلغت قوته . ذلك ان القائد هاشم بن عتبة وضع خطة عسكرية محكمة بارعة ، تبين حذق هذا القائد ودهاءه في إدارة دفة المعارك الحربية وملاقاة العدو . فعمد الى تضليل عدوه فقسم جيشه على مقدمة وجعل عليها القعقاع بن عمرو التميمي ، وعلى إحدى مجنبتيه قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي ، وعلى المجنبة الأخرى الهزهار بن عمرو العجلي ، وعلى الساقة انس بن عباس . وأمر القعقاع ابن عمرو بان يحث الخطأ كي يسهم جيشه في معركة القادسية التي دارت رحاها ، فوصلتها هذه القوة في صبيحة اليوم الثاني من المعركة " يوم أغواث " واشتركت فيها[٢٨].

---

[٢٧] الطبري، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٣٩٦ وما بعدها . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

[٢٨] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٥٤٣ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ وما بعدها .

لقد كان لوصول التشكيل الذي كان يقوده القعقاع بن عمرو في الوقت المناسب اثر كبير في رفع معنويات جيش المسلمين وتصاعد روح القتال لديهم ، إذ قسم قواته أعشاراً ، وهم ألف مقاتل . فكما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا في آثارهم عشرة أخرى . فأسهمت هذه الخطة في إرباك جيش العدو الذي تملكته الحيرة عندما رأى ان مدداً جديداً مستمراً بدا يصل الى جيش المسلمين ، وان من شان ذلك ان يقلب موازين القوى لمصلحة المسلمين الذين هللوا بوصول اخوان لهم ، ولاسيما بعد ان سمعوا ان القعقاع بن عمرو يقول لجند المسلمين : " أيها الناس ، اني جئتكم من قوم والله لو كانوا بمكانكم ، ثم احسّوكم حسدوكم خطوتها ، وحاولوا ان يطيروا بها دونكم "[٢٩]. ثم ما لبثت ان وصلت الإمدادات الأخرى في اليوم الثالث " يوم عماس " ، وكان القائد هاشم بن عتبة فيها ، فاشتركت في المعركة حين وصولها . وكان القائد هاشم بن عتبة قد عبا أصحابه سبعين سبعين ، حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون معه[٣٠].

ومن المؤكد ان وصول القوات التي كان يقودها القائد هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ارض المعركة على وفق الخطة التي وضعها قائدها قد اذهلت جند العدو ، فانفصمت عراهم ودب الفزع في نفوسهم ولاسيما بعد ان اذهلتهم شجاعة القائد هاشم بن عتبة واندفاعه البطولي

---

[٢٩] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٥٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ .

[٣٠] ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ص ٥٥١ ـ ٥٥٢ . المسعودي، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ص ٣٤٣ ـ ٣٣٤ .

في مقاتلتهم ، وخـــرق صفوفهم . الأمر الذي جعـــل " الطـــبري "[٣١] يقول : أن القائد هاشم بن عتبة كلف بان يقود ميمنة جيـــش المســـلمين يـــوم عماس ، وكان يقاتل على فرس أنثى ، فأصاب أذنها سهم ، فنزل عنها واخذ يقاتل راجلاً ، فجال جولته واخترق صفوف جيش العـــدو ، هو وجنده ، وعمل فيهم تمزيقاً وتقتيلا .

واسهم القائد هاشم بن عتبة في ليلة الهرير التي ختمـــت بـــها معركة القادسية وسجل المسلمون انتصاراً حاسماً على الجيش الساساني الذي امتلكه الرعب من صمود جيش المســـلمين واستبســـالهم . حيـــث دارت رحى معركة عنيفة طاحنة تبادل فيها الطرفان النصر والهزيمـــة حتى دارت الدائرة على الفرس ، وانفصمت عراهم ، فولوا مدبريـــن ، ومنوا بهزيمة منكرة [٣٢]، فالتجئوا الى " دير قرة "[٣٣] غير انهم ما لبثوا ان انسحبوا من مكانهم هذا واتجهوا نحو المدائـــن " واحتملـــوا معـــهم الذهب والفضة والديبـــاج والفرند والحرير والسلاح وثيـــاب كســـرى وبناته ، وخلوا سوى ذلك "[٣٤].

---

[٣١] تـــاريخ الرسل ، جـــ ٣ ، ص ص ٥٥٣ ـــ ٥٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٣٢ .

[٣٢] الطبـــري ، تاريخ الرسل ، جـــ ٣ ، ص ٥٦١ وما بعدهـــا . ابـــن الأثـــير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٣٦، المسعودي ، مروج الذهب، جـــ ٢، ص ص ٣٤٦ ـــ ٣٤٧ .

[٣٣] دير قرة : ياقوت ، البلدان ، جـــ ٢ ، ص ٥٢٦ .

[٣٤] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـــ ٣ ، ص ٥٧٨ . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٣٥ .

وحاول القائد سعد بن ابي وقاص ان يستثمر انتصاره في معركة القادسية ويوظفه في معارك لاحقة ، اذ أوعز لجنده ان يلحقوا بالعدو المندحر المشتت ، وعدم قطع التماس به . كي لا يجعله يلتقط أنفاسه . فجعل هاشم بن عتبة على مقدمة جيش المسلمين الذي تعقب جيش العدو ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التميمي ، وبعدئذ اتبعهم القائد سعد بن أبي وقاص بمن بقي معه من المسلمين . والمهم في الأمر ، أن القائد هاشم بن عتبة كان قد اهتدى الى مخاضة فاجتازها فتبعه جيش المسلمين[٣٥].

وتجمعت فلول جيش الفرس المنسحبة من القادسية في بابل بقيادة " الفيرزان " فبعث اليهم القائد سعد بن ابي واقاص اربعة تشكيلات من جيش المسلمين . وكان القائد زهرة بن الحوية التميمي يقود التشكيل الأول . في حين كان يقود التشكيل الثاني عبد الله بن المعتم ويقود التشكيل الثالث عبد اله بن شرحبيل بن السِّمط ، في حين كان قائدنا هاشم بن عتبة يقود التشكيل الرابع . فذكر " الطبري "[٣٦] و " ابن الأثير "[٣٧]: ان هؤلاء القادة الأربعة وضعوا خطة تقتضي ان تسهم تشكيلاتهم جميعاً في ملاقاة العدو فتنقض عليه ، وقد نفذوا هذه الخطة فهزموا عدوهم في أسرع من نفث الرداء .

---

(٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٥٧٨ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٣٦) تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٦٢٠ .

(٣٧) الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

ويستمر تشكيل القائد هاشم بن عتبة يطارد جيش العدو المتقهقر الى " ساباط "[٣٨] وفي هذا الموقف ضرب القائد هاشم بن عتبة مثلاً رائعاً في الشجاعة والإقدام ، ذلك ان جيش المسلمين توجس خيفة حين اقترب من " ساباط " فتردد الناس واشفقوا ان يكون به كمين للعدو ، فكان القائد هاشم بن عتبة أول من دخله ، ثم لوح للناس بسيفه فتبعوه فوجدوا فيه حرس كسرى الخاص الذي كان افراده " يقسمون كل يوم : لا يزول ملك فارس ما عشنا "[٣٩]. وفي موقف بطولي استطاع القائد هاشم بن عتبة ان يشتت شمل حرس كسرى الخاص " كتيبة بوران " ، الأمر الذي جعل القائد العام سعد بن ابي وقاص يقبل راس القائد هاشم بن عتبة [٤٠]. اعجاباً بشجاعته ، واعترافاً ببلائه الذي اذهل ما شاهده يقتحم تجمعات جيش العدو .

واسهم القائد هاشم بن عتبة اسهاماً فاعلاً في تحرير المدائن ، اذ أطبق جيش المسلمين على المدينة ، وضيق على العدو الخناق . فلما راى المشركون اندفاع المسلمين بهذا الزخم الهائل ، انفضت جموعهم ، وانطلقوا (وهربوا) لا يلوون على شيء ، ولحقوا بجبالهم ، لاسيما بعد ان رأوا ان " يزدجرد " نقل عياله الى حلوان ، وما لبث ان تبعهم ولحق بهم واخذوا معهم بما قدروا على حمله من حرّ متاعهم وخفيفه ما

---

[٣٨] ينظر : عن موضع المدائن : ياقوت ، البلدان ، (بيروت ، دار الفكر ، بلا) جـ ٣ ، ص ١٦٦ .

[٣٩] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٥٧٨ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ .

[٤٠] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٥٧٨ و ٦٢٢ ـ ٦٢٣ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ .

قدروا على حمله من بيت المال والنساء والذرارى . وتركوا الخزائن والثياب والمتاع والانية والالطاف والادهان ، ما لا يدري ما قيمته . وخلفوا ما كانوا اعدوه للحصار من البقر والغنم والأطعمة والاشربة فكان اول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ، ثم كتيبة الخرساء ، فتوغلوا في سككها ، ثم أحاطوا بالقصر الأبيض فاستجاب من فيه على الجزاء والذمة [٤١]. ولما دخل القائد سعد بن ابي وقاص المدائن . وانتهى الى الإيوان ، قرأ قوله تعالى : " كَمْ تَرَكوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، ونعمةٍ كانُوا فيها فاكهِيْن ، كذلك وَأَوْرَثْنَاهَا قوماً آخَرِيْنَ "[٤٢]. وصلى فيه صلاة الفتح . واتخذه مسجداً سنة ١٦هـ / ٦٣٧م[٤٣]. وبعد ان تم تحرير المدائن ولى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) القائد سعد بن أي وقاص صلاة ما غلب عليه وحربه ، اعترافاً من الخليفة بالجهد الكبير الذي اداه القائد سعد بن ابي وقاص . وغنم المسلمون بساطاً ثميناً لم يستطع العدو حمله ، وكان القائد سعد بن ابي وقاص قد فضل ان يرسله الى حاضرة الخلافة فقسمه الخليفة بين المسلمين ، فاصاب الإمام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) قطعة باعها بعشرين الف درهم ، وما هي باجود من القطع الأخرى[٤٤].

---

[٤١] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ١٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٧ .

[٤٢] سورة الدخان ، آية ٢٥ ـ ٢٨ (ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ١٦) .

[٤٣] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ١٦ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٨ .

[٤٤] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

الخليفة يعهد الى هاشم بن عتبة بالقيادة

نظراً للمواقف البطولية الكبيرة التي سجلها القائد هاشم بن عتبة بن ابي وقاص في المعارك التي خاضها المسلمون ضد الفرس ، عهد اليه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقيادة جيش المسلمين الذي كلف بمطاردة جيش العدو المتقهقر من المدائن والذي تجمع في جلولاء وعزم على مناجزة المسلمين بعد ان قالوا : هلموا فلنجتمع للعرب في هذا المكان الحصين ، ولنقاتلهم به ، فان كانت لنا فهو الذي نريد ، وان كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا ، وابلينا عذرا . فاحتفروا الخندق وكان قائدهم " مهران الرازي " الذي كان " يزدجرد " يمده بامدادات متلاحقة من حلوان[٤٥]. وبذلك يتضح ان القائد هاشم بن عتبة تولى قيادة جيش المسلمين بأمر القائد العام (الخليفة) ، وهذا يسبغ عليه صفة قيادة ميدانية خاصة ، وذلك ان الخليفة حدد بأمره المشار اليه توا عدد الجيش الذي يقوده هاشم بن عتبة باثني عشر ألف مقاتل ، منهم وجوه المهاجرين والأنصار واعلام العرب ممن ارتد ، وممن لم يرتد . وكان على مقدمتها الجيش القعقاع بن عمرو التميمي ، وعلى ميمنته بن مالك وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، وعلى ساقته عمرو بن مرة الجهني[٤٦].

والمهم في الأمر ان القائد هاشم بن عتبة بن ابي وقاص أبدى مهارة

---

[٤٥] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ٢٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ .

[٤٦] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ٢٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ .

قتالية فائقة إذ استطاع استنباط أساليب جديدة في القتال تتلائم مع الأراضي المأهولة بالسكان وفيها عوائق طبيعية لم يألفها الجيش الاسلامي . فضلاً عن ان قطعات العدو المتمركزة في جلولاء قد عين لها قائد مشهور هو " مهران " الذي رتب قطعاته للدفاع ، وتمركز جيشه في موضع دفاعي متقدم من منطقة جلولاء ، وحصنت المدينة (جلولاء) بحفر خندق حولها ، مع زرع حسك الحديد لمنع خيل المسلمين من التقدم[٤٧].

الا ان هذه التحصينات لم يقف حائلاً أمام خطط القائد هاشم بن عتبة الذي عبأ جيشه تعبئة كاملة قبيل أن يلتقي العدو وجعله على أهبة الاستعداد ، اذ بلغت استعداداته درجاتها القصوى . واقتضت خطة القائد هاشم بن عتبة ان وضع القوات التي يقودها القعقاع بن عمرو في موقع سوقي حصين ، بحيث تكون خطا عازلة بين السواد والجبل لتضييق الخناق على جيش العدو ، وتجعله في زاوية قاتلة[٤٨].

وتشير النصوص الى ان معركة جلولاء نشبت بين الطرفين في منطقة خارج المدينة سنة ١٦ هـ / ٦٣٨م . وكان القائد هاشم بن عتبة قد زاحف جيش العدو ثمانين زحفاً ، وما انفك القائد هاشم بن عتبة يخاطب جنده ، ويقول : ان هذا المنزل له ما بعده .. ابلوا الله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله[٤٩]. فاقتتل لفريقان قتالاً شديداً لم

---

[٤٧] خماس ، علاء الدين حسين مكي ، فن الحرب عند العرب (بغداد ، مطبعة اليرموك ، ١٩٩٩م) ، ص ٤٠٩ .

[٤٨] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ٢٦ . ص ٣٦٢ .

[٤٩] م . ن ، ص ٢٥ .

يقتتلوا مثلـــه الا " ليلة الهرير "[٥٠] ، الا انه كان اكمش واعجـــل[٥١] . وذكر "الطبـــري "[٥٢] ان نبل الطرفين وتشابههما فقـــدت ، وقصفــت الرماح . فاضطروا ان يقاتلوا بالسيوف والفؤوس . وازاء هذا الموقـف الصعب كان القائد هاشم بن عتبة يستخدم قواته بطريقة مـــاهرة تبيــن حذق القائد هاشم بن عتبة ودهاءه في إدارة دفة المعـــارك الحربيـــة ، وملاقاة العدو مهما بلغت قوته . ذلك ان القائد هاشم بن عتبة كان يعمـد الى تبديل مواقع قواته بين حين وآخر . فإذا رأى كتيبة متقدمة أرهقـــها القتال ، استبدل بها كتيبة أخرى كانت مريحة[٥٣].

والمهم في الأمر ، ان جيش المسلمين تغلب على جيش العـــدو والحق به هزيمة منكرة ، ثم حاصر مدينة جلولاء التي استطاع الجيـش الإسلامي تحريرها سنة ١٦هـــ / ٥ تموز ٦٣٨م ، وقد قتل عدد كبــير من جنود العدو ، إذ قدر " الطبري "[٥٤] و " ابن الأثير "[٥٥] عدد القتلـى من جيش العدو بمئة ألف قتيل ، فجللت القتلى المجال ، وما بين يديـــه وما خلفه ، فسميت " جلولاء " بما جللها من قتلاهـــم ، فـــهي جلـــولاء

---

(٥٠) م. ن ، ص ٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٥١) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـــ ٤ ، ص ٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ ٢ ـــ ٣٦٢ .

(٥٢) تاريخ الرسل ، جـــ ٤ ، ص ٢٧ . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٥٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـــ ٤ ، ص ٢٧ . ابن الأثير ، الكـامل جـــ ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٥٤) ينظر : تاريخ الرسل ، جـــ ٤ ، ص ٢٦ .

(٥٥) الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٦٢ .

الوقيعة[٥٦]. وحوى المسلمون عسكر العدو واصابوا اموالاً عظيمـــة ، وسلاحاً ودوابٍّ كثيرة ، فبلغت الغنائم ثمانية عشر الف الف درهم [٥٧]. وفي روايـــة أخـــرى " لابن خيـــاط "[٥٨]و " البلاذري "[٥٩] و " ابـــن الأثير "[٦٠] : ان غنائم المسلمين بلغت ثلاثين ألف ألف درهم ، وحصل المقاتل المسلم على ثلاثة آلاف سهم وان المعركـــة التـــي دارت بيـــن المسلمين وعدوهم في تلك المنطقة كانت من المعـــارك الحاســـمة ، اذ انتصر فيها المسلمون على الرغم من التحصينات الكثـــيرة ، وحســـك الحديد الذي وضعه جيش العدو ليكون حاجزاً عازلاً ومنيعاً أمام جيـــش المسلمين[٦١]. ان الهزيمة المنكرة التي مني بها جيش العدو وبعد وقعـــة جلولاء وكثرة الغنائم ، التي حصل عليها المسلمون ، جعلت شاكراً من المسلمين يقول :

يا ربَّ مُرٍ حَسنٍ مُطَهَّمْ ... يَحْمِلُ أثقالَ الغُلام المُسلِمْ
ينجُوا الى الرَحمن من جهنَّمْ ... يَوْمَ جَلُولاءَ ويوم رُستَمْ
ويومَ زحفِ الكوفة المُقَدَّمْ ... ويوم لاقى ضَيقَـــة مُهَزَّمْ
وخـــرَّ دبن الكافرين للفم

---

[٥٦] ابن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٠٧ . الطبري ، تاريخ الرسل ، جـــ ٤ ، ص ٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ .

[٥٧] ابن خياط ، تاريخ خليفة ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .

[٥٨] ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٠٨ .

[٥٩] فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ .

[٦٠] الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ .

[٦١] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ٢٥ . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ ٢ ، ص ٣٦٢ .

وقال القائد هاشم بن عتبة في يوم جلولاء :

يومُ جَلُولاءَ ويومُ رُستَـــم ويومُ زحفِ الكُوفةِ المُقدَّمْ
ويومُ عَرْضِ النَّهرِ المحرَّمْ ومن بَيْنِ أيامِ خَلَوْنَ صُرَّمْ
شيَّبْنَ اصْداغي فَهنَّ هُرَّمْ مِثْلُ نعامِ البلدِ المُحـــرَّمْ[٦٢]

وذكر " البلاذري "[٦٣]: ان القائد هاشم بن عتبة صالح اهل " مـــهروذ " على جريب[٦٤] من دراهم ، وان أهل " البنديجين "[٦٥] و" الدسكرة "[٦٦] طلبوا الأمان على ان يؤدوا الجزية عن رؤوسهم والخراج عن أرضـــهم فقبل منهم ذلك[٦٧]. وبإيعاز من القائد هاشم بن عتبة وصل القائد جريـــو بن عبد الله البجلي على راس تشكيل من جيش المسلميـــن الى خانقيـــن واستطـــاع ان يحررها[٦٨] . وذكر " قدامة "[٦٩] : ان المسلمين صالحوا أهل حلوان سنة ١٩ هـــ / ٦٤٠م ، ولم يذكر بنود الصلح .

(٦٢) ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٣ ، ص ٥٧٨ .

(٦٣) مهروذ : منطقة زراعية اخذت اسمها من احد مواضع نهر ديالى . (ينظـــر : ياقوت البلدان ، جـــ ٤ ، ص ٧٠) .

(٦٤) الجريب : وحد كيل وقد تاتي بمعنى وحدة قياس المساحة . ولكن هنا جـــاءت وحدة كيل سعتها سبعة اقفزة ، او ٢٢ ,٧ غراماً . (ينظر : ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤٧ . هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٦١) .

(٦٥) البنديجين : بلدة مشهورة في طرف النهروان . (ينظر : يـــاقوت ، البلـــدان ، جـــ ١ ، ٤٩٩) .

(٦٦) الدسكـــرة : مدينة كبيرة عامرة فيها قصر كبير حولـــه ســـور . قريبـــة مـــن شهربان . (ينظر : ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٦٤) .

(٦٧) ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ .

(٦٨) م. ن ص ص ٢٧٣ ــ ٧٤ .

(٦٩) الخراج ، ص ٣٧٠ .

ولم يكتف المسلمون بهذا النصر المؤزر ، وانما امـــر القــائد هاشم بن عتبة بن ابي وقاص جنده ان يطاردوا جيش العدو المتقــهقر ، وعهد بهذه المهمة الى القائد القعقاع بن عمرو التميمي ، ومعه قائد قبيلة جرير بن عبد الله البجلي ، الذي استمر يطارد جيش العدو المنهزم حتى يبلغ خانقين ، ثم حلوان كما ذكرنا تواً[٧٠].

وكاد جيش المسلمين الذي يقوله هاشم بن عتبة يواصـــل تتبــع جيش العدو المتقهقر ، الا ان الخليفة عمر بن الخطاب لم يــر ذلــك ، وقال قولته المشهورة : " لوددت ان بين السواد والجبل سداً لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم . حسبنا من الريف السواد ، اني أثـرت سـلامة المسلمين على الأنفال "[٧١].

هذا هو القائد هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الذي كان من أولئك المجاهدين الذين قال في حقهم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أولئك أعيان العرب وغررها ، هم أهل الأيام والقوادس . والله ان قومــاً أدوا هذا لذووا أمانة[٧٢]. ولا غرابة في ذلك فان القائد هاشم بن عتبة تمتــع ببصيرة قيادية فذة . وهذه البصيرة كانت ذات اثر بعيــد فــي تحقيــق انتصاراته ، وهزيمة أعدائه الفرس التي خاضها ضدهم .

---

[٧٠] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ . ص ٢٨ .

[٧١] م. ن .

[٧٢] الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٤ ، ص ٢٢ ــ ٢٣ . ابن الأثير ، الكــامل ، جـ ٢ ، ص ٣٥٨ و ٣٦١ .

أهم المصـــادر والمـــراجع

القرآن الكريم .

ابن آدم ، يحيى القرشي ، (ت ٢٠٣ هـ) .

الخراج (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٩) .

ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) .

الكامل في التاريخ ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) .

ابن خياط ، خليفة بن خياط الليثي (ت ٢٤٠هـ) .

تاريخ خليفة بن خياط ، (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٧) .

ابن رستة ، احمد بن عمر (ن ٢٩٢هـ) .

الاعلاق النفيسة ، (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩١) .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ) .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب (طبعة مصر ، بلا) .

ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) .

البداية والنهاية في التاريخ ، (القاهرة ، ١٩٣٢) .

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) .

الخراج ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٩) .

البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) .

فتوح البلدان ، (القاهرة ، مطبعة الموسوعات ، ١٩٠١) .

خماس ، علاء الدين حسين مكي .

فن الحرب عند العرب ، (بغداد ، مطبعة اليرموك ، ١٩٩٩) .

الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) .

تاريخ الرسل والملوك ، (القاهرة ، مطـــابع دار المعــارف ، ١٩٧٩) .
قدامة ، ابن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧ هــ) .
الخراج وصناعة الكتابة (بغداد ، مطابع دار الحرية ، ١٩٨١) .
الكبيسي ، حمدان عبد المجيد (الدكتور) .
" الجهد العسكري للقائد خالد بن الوليد في العــراق " ، مجلــة آداب المستنصرية ، العدد السادس عشر ، بغداد ، ١٩٨٨ .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هــ) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت ، دار الكتب العلميـة ١٩٨٦) هنتر ، فالتر .
المكاييل والأوزان الإســلامية ، ترجمة : د. خــالد العسلــي (عمان ، ١٩٧٠)
ياقوت ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هــ) .
معجم البلدان (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٥) .
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت ٢٩٢هــ) .
تاريخ اليعقوبي ، (النجف ، منشورات المكتــبة الحيــدرية ، ١٩٦٤) .

نُصوص من العين في تصحيح الفصيح
لابن درستويه المتوفى سنة / ٣٤٧ هـ

د. عبد الله الجبوري
كلية الآداب ــ الجامعة المستنصرية

الخليل بن احمد الفراهيدي
(١٠٠ ــ ١٧٥)

الخليل بن احمد الفراهيدي ، امام اهل العربية ، كان مثلاً رفيعاً في الذكاء وحب العلم، ومن جهوده البارعة الخالدة ، معجم (العين) اول معجم لغوي ظهر في اللغة العربية ، اجتهد حصر اللغة بحروف المعجم فيه ، واصبح (العين) اصلاً عند اصحاب المعاجم اللغوية ، ومرجعاً مهماً عند اهل اللغة ، استفاد منه جمهور من اللغويين على مدى تاريخ اكثر من الف وثلثمائة سنة ، وسيبقى مورداً عذباً لمن يؤلف في اللغة والمعجم اللغوي .

وممن نهل من علمه / ابن درستويه عبد الله بن جعفر (توفي سنة / ٣٤٧هـ) وله عناية خاصة بـ (العين) اخذ منه مواد كثيرة في كتابه (تصحيح الفصيح) وهي تؤلف جهداً يقوم على تصحيح النسخة المطبوعة من (العين) ولأجل هذا الغرض ، قمت باستخراج نصوصه من (تصحيح الفصيح) خدمة للعربية وللموروث اللغوي .

الملخص

يتوجب على أهل العربية السعي الى العناية بأصول اللغة ، والرعاية لدواوينها ، (والعين) من تلك الأصول ، وعملاً بمنهج التحقيق العلمي لنصوص (العين) تتبعت جمهرة منها في مؤلفات اللغويين والأدباء والبلدانيين ، وذلك لتحقيق ضبط تلك النصوص ، عسى أن تخرج في طبعة أخرى من طبعات (العين) محرَّرة محقَّقة .

وكتاب (تصحيح الفصيح) لابن درستويه المتوفى (سنة / ٣٤٧هـ) واحد من كتب أصول اللغة ، ضمن طائفة من نصوص (العين) وغيره من كتب اللغة ، فانكببْتُ على تلخيص نصوص العين واستخراجها منه . وهدفي ان تكون ذات نفع لطلاّب العربية ؟ .

المدخل

كان (العين) موضع عناية عند جمهرة علماء اللغة قديماً وحديثاً ، إذ هو عند قبيل منهم للخليل ، وعند آخرين هو للنضر أو لليث ، أو لمجهول كما ذهب الى هذا الرأي ابن جنّي (الخصائص ١٩٧/٣) . فانتصر قوم للخليل وصرحوا بنسبة (العين) له ، وانتقده آخرون . وحجة المنتقدين : (أن فيه ما لا ينبغي أنْ يؤخذ به لكثرة اضطرابه وخلله / ابن عصفور ١٩/١ ، الممتع) . فتحصل من هذا كلّه مؤلّفات تقوم على مذهبين متناقضين . وكان ممن انتَصر له عالم لغوي بغدادي ، هو (أبو محمد ، عبد الله بن جعفر الفَسَوي . المعروف بابن درستويه المتوفى ببغداد سنة / ٣٤٧هـ ، وهو أحد العلماء الذين تخرجوا في مدرسة بغداد ، شُهِر بجهوده اللغوية ، إذ كان فقيهاً مجتهداً في علوم العربية ، وأظهر مؤلفاته : (تصحيح الفصيح / شرح فصيح ثعلب) وله عناية حميدة بكتاب (العين) فانه رواه عن / علي بن مهدي الكسروي عن محمد بن منصور عن الليث بن المظفّر ، وكان قد سمعه مع ابن العلاء السجستاني (ابن النديم / ٤٣ والمزهر ٨٩/١) .

فكتب كتابين انتصر بهما لخليل ، هما :

١. الانتصار للخليل وعنوانه : (الانتصار لكتاب العين وانه للخليل) . انفرد بذكره الوزير جمال الدين القفطي ، فوصفه بقوله : (هو تصنيف مفيد) ملكه بخط / إبراهيم بن احمد بن محمد الطبري (ابن تيزون المتوفى سنة / ٣٢٥هـ) من خطّاطي بغداد (إنباه الرواة ٣٤٣/١ ، و ٢/ ١١٤، وابن درستويه/ ٥١ ــ ٥٢) وترجمة ابن تيزون في / الأنباه ١٥٨/١) .

٢. الرد على المفضّل في الردّ على الخليل : (الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال والتصحيف) .

ولهذه العناية من ابن درستويه (للعين وللخليل) أثرها في بناء حركة النقد اللغوي التي نجمت ببغداد في القرن الثالث للهجرة ، فأفاد منها لغويون ونحاة وأدباء ، كان منهم ابن درستويه ، الذي انتَخل (العين) واستَصْفى لبابه في كتابه (تصحيح الفصيح) . والخليل عنده : (هو : أقدم في اللغة ، وأثبت رواية عن العرب) فجاءت مقتبساته لئالئ زيّنت (تصحيحه) ، وبلغ عددها إحصاءً اكثر من اثنين وثلاثين ومئة نص (مادة) .

وحرصاً على سلامة نص (العين) والعمل على إخراجه للناس نقيّاً عذْب الموارد كما أراده له مؤلفه ، نهدت الى استخراج هذه المقتبسات من (لتصحيح) لتكون في مؤلف مستقل ، وكأنّها نسخة جديدة من نسخ مخطوطات (العين) حتى تحرر طبعة جديدة منه عليها وعلى نقول أخرى منه في مظان كثيرة . وقد وجدت بعض هذه النصوص متطابقة مع نصوص (نسخة الأصل / التي نشر عليها العين) وهي : نسخة السيد حسن الصدر . وهي من الأصول السليمة ، وربما كانت من أصول النسخ البغدادية . وقد قمت بجرد النقول التي صرح ابن درستويه بنسبتها الى الخليل ، بقوله : (قال الخليل ، أو ذكر الخليل ، أو حكى الخليل ، أو زعم الخليل) . وهناك نصوص أخرى فيه . هي من (العين) أثبتها ابن درستويه غفلاً من اسْم صاحبها .. وهذه النصوص لم تنشب . والنسخة التي اعتمدتها من (التصحيح) محققة مدققة ، كتبها : إسماعيل بن موهوب بن الخضر الجواليقي سنة / إحدى

وستين وخمسمائة ، وهو من أتقن وأعلم ولد ابن الجواليقي مؤلّف (المعرَّب) .

ومنهجي في صنع هذا المجموع ، هو أنني اذكر النص من (تصحيح الفصيح) الذي رمزت إليه بقولي : (نص) ثم اذكر وجوده في مطبوعة (العين) التي حققها الأستاذان الدكتوران (إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي / رحمهما الله تعالى) ..

وقد وجدت مادة (العين) في / صحيح الفصيح في ضربين الأول : نقول فيها كلم أو تفسير من (العين) يتخللها تفسير لابن درستويه امتزج بكلام الخليل .. وهو مفيد في تقويم بعض نصوص (العين) ، ولم اعمد الى استخراج هذا الضرب .

والثاني : وهو المهم ، وفيه نصوص كاملة من (العين) وهي متطابقة بين الكتابين (العين والتصحيح) وبعضها كامل في (التصحيح) ناقص في (العين) ، او فيه اختلاف في الرواية واللفظ .. وهذا هو المهم .. وحرصاً منّي على استكمال نصوص (العين) وإخراجها كاملة محررة نهدت الى تحقيق هذا الصنع ، ولي أعمال أخرى نظيرة له من مظان لغوية غير (التصحيح) أسأل ــ الله سبحانه ــ أن يعين على إخراجها لأهل العربية ومنه استمد الحوّل والطوّل .

عبد الله أحمد الجبوري

١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م

كلية الآداب ــ الجامعة المستنصرية

١ ــ حزنني الأمر يحزنني

(تص،١/١٧٠ والعين ٣/١٦٠ ــ ١٦١) : فالعامَّـة تقولـه بـألف : أحزنني ، وهو لي مُحزِن ، ولا تكاد العرب تقول للفاعل منه : حازن ، وهما لغتان معروفتان قد تداخلَتا . وزعم الخليل : انهما لغتان ، وإنـهم إذا اظهروا الصوت أو الأمر قالوا : أحزنني الأمر ، وأحزنني الصوت ونحو ذلك بالألف ، وإذا لم يظهروا ذلك قالوا : حزنني بغـير ألـف . وقال الله عزَّ وجلَّ :

((إنّي لَيَحزُنني أنْ تذهبوا به / يوسـف ١٣)) ومعـناه : يَغمّني ويُكْربني . وأمَّا قوله : ((وابيَضّت عَيْناه من الحزْن)) (يوسف ٨٤) فمعناه من البكاء . وقولـه : ((إنّما أشكو بثّـي وحُزْنـي الـى اللهِ / يوسف ٨٦)) . أي : غمّي وكربي ، وحُزانة الرجل : من يهتمُّ بـأمره ويحزُن له .

وفي العين :

٢ ــ ويقال : حـزنني الأمر يحزنني ، فأنا محزون وأحزننـي فأنـا مُحْزَن وهو محزن . لغتان أيضاً . ولا يقال : حازن . وروي عن أبـي عمرو : إذا جاء الحزَن منصوباً فتَحوه ، وإذا جاء مكسوراً او مرفوعـاً ضمّوه . قال الله عزَّ وجلَّ : ((وابيَضّت عيناهُ من الحزْن)) . قال عزَّ اسمُه : ((إنّما أشكو بثّي وحُزْني الى الله)) ..... وإذا أفرروا الصـوت والأمر قالوا : أمر محزن وصوت محـزن . ولا يقـال : حـازن ، وحُزانة الرجُل : من يتحزَّن بأمره .

٣ ــ جهد دابّته .

(تص ١/١٧٩ والعين ٣/٣٨٦) .

ألا ترى أن فاعله : جاهد ، ومفعوله : مجـــهود ، ومصـــدره الجُـــهْد والمجهود . وأنْشِدنا عن الخليل [من الرجز] :

القــلبُ منها مستـــــريحٌ سالــم

والقلـــب منّـــي جاهد مجهـــود

لم أجد الشاهد في : (العين ٣/٣٨٦ جهد) .

٤ ـــ الدَّلْجة والدُلْجة :

(تص / ١ / ٢٤٧ ، والعين ٦/٨٠) .

الدَّلجة والدُلجة ، تأتي هذه الأمثلة والحركات فيها على المعـــاني وقـد زَعَم الخليل : ان الإدلاج ، مخففاً ، سيرٌ كلُّـــه . وأنَّ الإدّلاج بالتشـديد أيضاً إذ كان قد قدم ان الإدلاج مخففاً سير الليل كلّـــه . و (١/٢٤٩) : إنَّ العرب تسمّي القُنْفُذ : مُدلجاً لانه يدرج بالليل ويتردد فيه .

وفي : (العين ٦/٨٠) :

الدَّلَج والدُلْجة : سيــرٌ وارتحال بـــالليل ، والفعــل الإدْلاج والإدّلاج . ويقال : أدلَج من آخر الليل ، وأدلج الليل كلَّـــه . والمدلج : اسمٌ للقُــنْفُذ .

٥ ـــ دَلْو ، أدلى

(تص ١/ ٢٦١ ـــ ٢٦٢ والعين ٨/٦٩) المادة كلُّها من العين ، إلاّ انه قال في (٢٦٢) : وقد زَعَم الخليل : أن بعض العرب يقـــول : دَلَـــوْت الدلو ، إذا أرْسَلها .

وفي (العين) : وأدليْتها : أرْسَلتها في البئر ، ودلوْتها ملأتُها ونزْعْتُها .

٦ ـــ خشع ، الخشّع .

(تص / ٢/٦٥٠ والعين ١/١١٢) .

في التصحيح : وزعم الخليل : ان الخُشَّع : المرتفعة ، وان الخُشْعَة : ما ارتَفع من الأرض ومن السُور من قولهم : تَسوَّر اللّص الحائط ، أي صعد عليه وتسلَّق .

وهذا النص لا يوجد في (العين) مادة : خشع .

٧ ـ الهمزة (تص ٢/٣٠٥ والعين ٤/١٧) .

قال : إن الهمزة حرف صحيح كسائر الحروف الصحاح عند عامة النحويين . وقد جعَلها الخليل من حروف العِلّة ، كالواو والياء والألف اللينة .

وفي : (العين ٤/١٧) : وإنَّما سُمّيت الهمزة في الحروف ، لأنَّها تُهْمز فتُحت فتخرج عن مصدرها . / ولا يوجد فيه قول التصحيح .

٨ ـ عبأ (تص ٢/ ٣١١ والعين ٢/ ٢٦٢) .

قال : عبأت المتاع والطيب .. فأصلهما جميعاً الهمز ، وانشد الخليل لمسافع بن خلَف :

وحمل العبء عن أعناق قومي

وفعلي في الخطوب بما عَناني

وفي (العين) قال : ولم يذكر اسم الشاعر . وقال المحققان في الهامش (٣) لم نجد الشاهد .

وفي (٣١٢) قد حكى الخليل في الجيش : عبأت بالخفيف وعبّأت بالتشديد مهموزتين كليهما ، وفي : (العين) : وعبأت الطيب / أعبؤه عبئاً ، واعبّئه تعبئة إذا هيّأته في مواضعه ، وكذلك الجيش ، إذا ألبستهم السلاح وهيّأتهم للحرب .

٩ ـ والروية (تص / ٢/٣٢٠ والعين ٨/ ٣١٤) . قال :

وأنشدونا عن الخليل :

لا خيـر في رأي بغـير رويّـة

ولا خيـر في جهل تُعاب به عيبا

وفي (العين) : والاسم الرويئة والروية . قال :

لا خير في رأي بغير رويّـة ولا خير في جهل تُعاب به غدًا

وفي تعليق التحقيق (١٣٣) : لم نهتد الى القائل ، ولا الى القول فيما توفرنا عليه من مظان) .

١٠ ـ حسب ، حسبانك :

(تص ٢/ ٣٢٧ والعين ٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .

قال : وحكى الخليل عن بعض بني أسد : حُسْبانك على الله ، مثل قولك : تكلانك ، وانشد الخليل لشاعر منهم أيضاً ؛

على الله حُسْباني إذا النفس أشْرفت

على طمع ، او خاف شيئاً ضميرُها

ولا يوجد هذا النص في (العين) مادة : حُسْبانك .

١١ ـ أمهه ، أمهات .

(تص ٢/ ٣٤٤ والعين ٨/ ٤٣٤) .

قال : قال الخليل : جمع الأم أمهات . ويقال فيه : قد تأمّه الرجُل أماً ، إذا اتخذ لنفسه اماً ، وقال تصريف الام وتفسيرها في كلّ معانيها :

أمِهَ يأمَه أمْهاً في كتب المؤلفات الصحاح ، لأن تأسيسها من حرفين صحيحين وهمزة ، والهاء فيها أصلية . ولكن العرب حذفت تلك الهاء إذا أمِنوا اللبْس .

قال : ويقول بعضهم في تصغير ام أمَيهه ، والصواب أميمهه ، وبعض يصغّرها أُمَيمه على لفظها ، وهم الذين يقولون : أمّات في الجمع .

ومن العرب من يحف ألف أم في مواضع كثيرة بمنزلة ألفات الوصل ، كما قال عدي بن زيد :

أيها العائب عند أم زيد   أنت تَفدي من أراك تعيب

قال في : (العين ٨/٤٣٣ ـ ٤٣٤ : وتفسير الام في كلّ معانيها : أمّة ، لان تأسيسه من حرفين صحيحين ، والهاء فيه أصلية ، ولكن العرب حذفت تلك الهاء ، إذا أمنوا اللبْس . ويقول بعضهم في تصغير (أم) أمَيْمة . والصواب : أميهة . ترد الى اصل تأسيسها . ومن قال : أُمَيْمَة صغّرها على لفْظها . وهم الذين يقولون في (الجمع) أُمّات .. ومن العرب من يحذف ألف (أم) كقول عديّ بن زيد ..

أيها العائب عِندمَ زيد .....)

١٢ ـ دَد حكاية لصوت اللعب .

(تص ٢/٣٤٨ والعين ٨/ ٩١) .

قال : وزعم الخليل ، ان دداً حكاية لصوت اللعب واللهو . إنما ذكر الخليل الأم في باب اللفيف من كتاب الميم وحقّها ان تكون في كتاب الهاء المعتلّ . لأن المعتلَّ عنده ما كان فيه حرفان صحيحان ، والثالث منه حرف علّة .

واللفيف عنده ، ما كان فيه حرفٌ واحد صحيح ، وحرفان منه حرفا علّة ، فبين أنه إنّما وضع (الأم) في اللفيف ، لأن لفظها لفظ اللفيف ، إذ لم يكن بها من الحروف الصحاح ، إلاّ الميم .

وفي : (العين ٨/٩١: ددّ حكاية الاستنان للطـــرب . وفـــي (العيـــن ٤٢٨/٨ ــ ٤٣٤) تفسير الام وما ورد فيها ..

ــ وفي (التصحيح ٣٦٠/٢) : ويقال لما دون العَشْر من الإمــاء (آمٍ) على وزن (أفْعِل) كما يقال : أكلب ، ولكن الواو تُقْلب ياءً ، او يكسر ما قبلها من اجلها . قال الشاعر :

كما تُهْدَى الى العرسات آمي

ويقال : قد تأمَّيْت أمة ، أي : اتخذت أو اشتريْت أمة ، .

ويقال : آميْت فلانة . أي : اعتددتها وجعلتها أمة ، وتأمَّت هـــي ، أي : أقرّت إبالأُموَّة ورضيت بها ، وقال الراجز :

يرضون بالتعبيد والتأمّي

وفي : (العين ٤٣١/٨ ــ ٤٣٢) : الأمة ، المرأة ذات العبوديّة ، وقـد أقرت بالأموَّة . قال :

كما تردي الى العرسات آمي

[وفيه نقص قارنه بنص التصحيح ، وفي الهامش (٣٣) : اللسان (اما) برواية العرشات بالشين المعجمة] .

أي : إماء . ويجمع على إموان وأموات ، ويقال ثلاث آم ، وهو علـــى (افعل) . ويقـــول : تأمّيت أمَةً ، أي : اتخذت أمة . واميت ايضـــاً . قال : يرضون ......) .

١٣ ــ مادة عرض في (العين ٢١٧/١ ــ ٢٧٢ ، واوجزهـــا فـــي التصحيح ٣٩٣/٢ ــ ٣٩٥) والزيادة فيه بعد بيت عمرو بن كلثوم :

كأسياف بأيدي مُصلّتينا

قال : وانشد الخليل :

أعرضـــت فلاحَ لنا عارضـــانِ كالبَـــرد

وهو ساقط في العين ..

١٤ ـ وعرض الرجل : حسبه .

(تص ٣٩٦/٢ والعين ٢٧٤/١) . قال : فزعم الخليل ان عرض الرجل حسَبُه . يقال : لا تَعرّض عرْض فلان ؛ أي تذكرؤه بسوء ، وهو في (العين ٢٧٤/١) :

ـ في قوله (واهاً ، و/ آه تصحيح ٤١٦/٢) قال : وأنشد الخليل :

آه مـــن تيّاك آهـــا تركـتْ قلبـــي مُتَاهـــا

وهو غير موجود في (العين ١٠٤/٤ مادة (اه) .

١٥ ـ (تص ٤٢٣/٢ شرع) قال : شرعت الرمح نحوه والسيف بغير ألف . وانشد الخليل :

اناخوا من رماح الخط لمّا رأونا قد شرعناها نِهالا

وهو في (العين ٢٥٣/١) .

١٦ ـ الخطّيَّة / الرماح (تص ٢/ ٤٥٦) وفي : وذكر الخليل انهم إذا جعلوا الخطّيَّة اسماً للرماح لازماً ولم يصفوا به ، كســروا الخـــاء فقالوا : الخَطَّية ، كما قالوا : ثيابٌ قِبطيّة بالكسر . فإذا جعلوها اســـماً قالوا : قُبْطيّة بالضمّ فغيّروا الاسم . وهذا حسَن . وفي (العين ١٣٦/٤ خط) : الخطّ أرضٌ تنسَبُ إليها الرمـــاح . يقال: رماحٌ خطّية . فـــإذا جعلت النسبة اسْـماً لازماً قلت : خَطّيّة (رســـمت بكســر الخـــاء وبفتحها) . ونص الخليل على الكسر .

١٧ ـ النُـــزْل (تص ٢ / ٤٦٠) قال : النَّزل : البركة ، والعامـــة ، تقول : النُزْل بضم النون وسكون الزاي ، وليس ذلك بخطإ . وقـد رواه

الخليل ، وهو في معنى قولهم : طعامٌ له ريَع . وفي (العين ٣٦٧/٧) : والنُزل : ريْع ما يزرع .

١٨ ــ الدخل (تص ٢/ ٤٦٢) وفيه : وقال الخليل : الدَّخل : عَيْب في الحسَب ، وانشد في ذلك :

رفْدت ذوي الأحساب منهم مَرافدي

وذا الدخل حتى عاد حُرّاً سَنيدُها

وهو في (العين ٤/ ٢٣٠) .. وراجع (هامش التحقيق /١) .

١٩ ــ القِبَل (تص ٤٦٣/٢) قال : وقد حكى الخليل وذلك ، بالكسر ، وزَعم ان القِبَل يكون بمعنى الطاقة . وفي (العين ١٦٦/٥) : القِبَل : الطاقة ، تقول : لا قِبل لهم .

وفي (التصحيح) ، يكون بمعنى التلقاء والمواجهة . وقال معنى قولك : افعل ذلك من ذي قبل ، أي : ذي استقبال وقال : إذا شربت الإبل ما في الحوض فاستُقي لها على رؤوسها لتشرب ، فذلك القِبَل وانشد :

قرّب لها سقاتها يابنَ خدبٍّ لقِبَل بعد قِراها المُنْتَهَبْ

والنص كله في (العين ١٦٦/٥و ١٦٨) .

٢٠ ــ الترقوة (تص ٤٦٦/٢) : الترقوة : وصْل عظم بين ثغْرة النحر والعاتق من الجانبين) وهي في (العين ١٢٦/٥) وفيه (العاتق في ...) .

٢١ ــ الجفْن : نوع من العنب بلغة اليمن . (العين ١٤٦/٦ والتص ٤٨٦/٢) .

٢٢ ـ الأُنْملة (تص ٢/٤٧١) : فان الأنملة فيها لغتـــان حكاهمـــا الخليل وسيبويه بفتح الميم وضمّها ..

وفي (العين ٨/٣٢٠) ، والأُنْملة [بضم الميم] المفصِل الأعلى الـــذي فيه الظفر من الإصبع) .

٢٣ ـــ الدَّجاجة (تص ٢/٤٧٣) وذكر الخليل : تن الكسر فيه لغـــة للعرب ، إلاّ ان الفتح أعرف وأكثر ، وكذلك دجاجة الغزل مثلها . وقال الخليل جستَقة الغزل . يعني الكُبَّة وما يخرج من المِغْزل ، وانشد فـــي ذلك لأبي المقدام الخزاعي :

وعجوز أتت تبيع دجاجـــاً لم يُفــرّخْن قد رأيت عُضالا

وهو في (العين ٦/١١) : الدِّجاجة لغة في الدَّجاجـــة ، والدَّجاجـــة : من الغزل ، أي : كبَّة ، قال : وعجوزاً أتت تبيع دجاجاً .....) .

٢٤ ـــ آخرة (تص ٢/٤٧٩) وقال الخليل : جاؤوا بآخَرة بفتح الخـــاء والألف ، أي : أخيراً ، وبعته بآخرة ، كذلك . أي : بتأخير .

وقال : الأبعد : الآخر . وفي (العين ٤/٣٠٣: بعد ذكر النـــص الأول . قال : وفعل الله بالآخر ، أي : الأبعد .

٢٥ ـــ الأخذ (تص ٢/٤٨٢) قال : وذكر الخليل : ان الأخاذ والأَخْذ ما اتَّخذه الرجُل لنفسه كالحوض يجتمع فيه المـــاء . ، وفـــي (العيـــن ٤/٢٩٩) .. والإخاذ والإخاذة والإخْذ : ما حفرْت لنفسك كهيئة الحوض ، ويُجْمع على أُخْذان ، وهو ان تمسك الماء أياماً .

٢٦ ـــ كسرى / كساسرة (تص ٢/٤٨٥) قال : وقال الخليل ايضاً عنهم : كساسرة ، على غير قياسه ، وإنَّما قياسه : كِسْـــرَون ، مثـــلُ : عيسُون ، وموسَوْن) .

٢٧ ــ جاري ، مجاوري (تص ٤٨٧/٢) قال : ويقال : هو جاري أي : مجاوري ، وجمعه : الجِيرة على (فِعْلَة) ، والأجوار على (أفعال) وجِيران على (فعلان) وانشد الخليل في الأجوار :

ورسْم دار دارس أجوار

وقال : الجار ، مَنْ جاورك في المسكن ، ومَنِ استَجار بك في الأمو ، وهو جارك ، وأنت جارٌ . لأن الجار بمعنى : المجاور . وفي : (العين ١٧٦/٦) : والجوار مصدر من المجاورة ، والجوار : الاسم . والجميع : الأجْوار . قال :

ورسم دار دارس الاجوار

والجيران : جماعة كل ذلك ، أي : الجيرة والاجوار .

٢٨ ــ العِلْو (تص ٢ / ٤٩٠) : وقال الخليل : ويقال ذهب في السماء عُلْواً ، وفي الأرض سُفْلاً ، بالضمّ . وقال السُّفْل : اسفل كلّ شيء ، والعُلْو : أعلى كلّ شيء . (العين ٢٤٦/٢ و ٧ / ٢٦٠ مادة علو ، وسفل) .

٢٩ ــ عَشْوة (تص ٤٩٤/٢) : وذكر الخليل : ان الفتح لغة فيها على ما تقوله العامَّة . وفي (العين ٢/ ١٨٧) : عَشْوة وعِشْوة وعُشْوة ، ثلاث لغات . وفي (التصحيح ايضاً) : وقال الخليل : العشوة من أول الى ثُلُثه . منها : العشاء بالكسر ، والعشاء بالفتح . (العين ١٨٨/٢) .

٣٠ ــ الجنازة (تص ٤٩٥/٢) وفيه : قال الخليل : الجِنازة بكسر الجيم ، خشب الشَّرْجع (سرير الموت) . العين ٧٠/٦ .

٣١ ـ كِفّة الميزان (تص ٢/٤٩٦) كِفّة الميزان ، وحكاه الخليل : كُفّة بالضمّ . وكذلك : كفّة الصيّاد ونحوه . ما يجعله كالطوق . وامّا كِفّة بالكسر . فحكاها في كِفّة اللّثة ، وهي ما انْحَدر منها على أصول الثّغر . وكذلك : كِفّة السحاب بالكسر ، وكِفافه ، أي نواحيه .

وفي (العين ٥/٢٨٢) : وكُفّة اللثة : ما انْحدر منها على أصول الثغر (قيدت كُفّه / بالضمّ) . ومثلها : كُفّة السحاب (بالضم) وكِفافه : نواحيه .

٣٢ ـ أنفحة (تص ٢/٥٠٢) وانشد الخليل في تخفيفها :

كم قد تمشت من قصّ وأنْفحة

جاءت بهن إليك الأضؤن السُّودُ

وقد سقط من (العين ٣/٢٤٩ مادة نفح / إنفحة) ويبدو ان نص آخر من مادة (نفحة) سقطت مع الشاهد ..

٣٣ ـ إوز (تص ٢ / ٥٠٦) وزعم الخليل أن الإوز طير من طيور الماء ، والواحدة : إوزة وينبغي أن يكون (مفعلة) منها : مأوزة وهي قبيحة .

وفي (العين ٧/٣٩٨) : الإوز : من طير الماء ، والواحدة بهاء ..... وإوزّة على (فِعلّة) ، ومأوزة على (مَفْعلة) ، وكان ينبغي أن تقول : مأوزّة ، ولكنه قبيح .

وقال ايضاً (٢ / ٥٠٧ تص) : قال الخليل ايضاً : رجُل إوز ، وامرأة إوزّة ، أي : عظيمة لحيمة في غير طُول . ولا يحذف ألفِهَا . يعني : لا يقال في الوصف وزّ ولا وزّة . وفي (العين ٧ / ٣٩٨) : أي :

غليظة لحيمة في غير طول ، لا يحذف ألفِها .... ومن العرب من يحذف الف إوزةً ويقول : وزّة . ويقال في ذلك : موزّة .

٣٤ ــ بكر (تص ٢/٥٢٢) : فزعم الخليل : انه يقال أشد الناس بِكر ابن بكريْن ، وزعم أن هذا الشعر قيل في قيس بن زهير البكري . وفي (العين ٥/٣٦٤) : ويقال : اشدُّ الناس بكر ابن بكرين . / وسقط منه بقيّة النص . وفي (التصحيح) : وقال الخليل : والبكر من كلّ امر : أوّله ، وأنشد :

وتلكم غير ما ثني ولا بكر

قال الخليل : والثنْي ما يكون بعد البكر ، يقال : ما هذا الأمر منك بكر ولا بثني . وفي (العين ٥/٣٦٤) . ما ذا الأمر منك بكراً ولا ثنياً ، والبكر من كل شيء أوله . وجزء آخر منه في (٨ / ٢٤٣) .

٣٥ ــ الخيط (تص ٢/٥٢٥) : وقال الخليل : ويقال : خاط فلان خيطة واحدة ، إذا سار ولم يقطع سيره . وانشد الخليل :

وبينهما ملقى رمام كأنه تخيط شجاع آخر الليل ثائر

وهو في (العين ٤/٢٩٣ ــ ٢٩٤) .

٣٦ ــ وفيه ايضاً (٢ / ٥٢٦) وقال الخليل : أمّا خيْطها ، فطول قصبتها وعنقها . قال : ويقال : بل خيطها ما فيها من اختلاط السواد والبياض اللازم لها . كالعيَس في الإبل العراب ، وهما خيطان ، وانشد (الخليل) في الخيط للبيد :

وخيطاً من خواصب مؤلفات كأنَّ رئالها ارق الإفال

وهو في (العين ٤/٢٩٣) .

٣٧ ـــ الصدق (تص ٢/٥٢٨) : ولذلك قال الخليل : الصدق هــو الكامل من كلّ شيء . وقال : تقول : هو الرجل الصـــدق ، والمـرأة الصدقة ، وقوم صدقون ، ونساء صدقات . وقال الخليـل ايضـاً : إذا أضفت الرجل أو المرأة ، أو غيرهما الى الصدق ، المكسـور ، وفـي (العين ٥/٥٦) : وهذا رجُل صدقٍ، مضاف ، بمعنى : نعم الرجُل هو ، وامرأة صدق ، وقومٌ صِدْقٍ . فإذا نعتّه قلت : هو الرجـل الصـدق ، وهي الصدقة ، وقوم صدقون ، ونساء صدقات . والصدق : الكامل من كل شيء .

٣٨ ـــ السرب (تص ٢/٥٣٠) : وقد قال الخليل : رأيت فلاناً فسـاح السرب ، يريد : سَعَة الرزق والبلد . وفي (العين ٧/٢٤٩) . وفــلان مُنْساح السِّرب ، يراد به شعر صدره وبدنه . وقال ايضاً : السَّـرْب : مالُ القوم ، والجميع السُّرُب . وفي (التصحيح ٢/٥٣٠) : لأن الخليل قد ذكر : ان السرْب مال القوم ، والجميع على السروب . وقال ايضاً : فلان آمِن السرب ، أي : لا تُغْزى نَعَمه من عزّه . وهو في (العين ٧ / ٢٤٨) .

٣٩ ـــ الشف (تص ٢/ ٥٣٣) : وقال الخليل : الشَّف بـالفتح مـن المهنأ . يقال : شف لك يا فلان ، إذا غبطته بشيء ، قلت ذلـك لـه . وفي (العين ٦/٢٢١) : والشِّف [قيّدت بكسر الشين / وهو غير مـراد الخليل] من المهنإ .... قلت له ذلك .

٤٠ ـــ حمل (تص ٢/٥٣٤) وقد حكى الخليل : أن قوماً يقولـون : ما كان مفارقاً للشيء بائناً فهو حمل بالكسر . ومـا كـان متصـلاً أو باطناً ، فهو حِمْل بالفتح ، كحمْل الإناث في بطونها أولادهـا . وفـي

(العين ٢٤١/٣) : والحمْل : ما في البطن . والحِمل ما على الظهر . فيقال : ما ظهر فهو حِمل وما بطن فهو حَمل .. فيقولون : ما كان لازماً فهو حَمل ، وما كان بائناً فهو حِمل .

٤١ ــ (تص ٥٣٥/٢) : وقال الخليل ، ويقال : سقاءٌ مسيك ، أي : كثير الأخذ بالماء . ويقال : في فلان إمساك ومَساك ، أي : بُخْل ومُسْكة . والمسكة من الطعام والشراب ، ما يمسك الرمق ، والمَسَكة : ضربٌ من حُلي الأعراب يجعل في اليدين ، أمّا من القرن وإمّا من العاج ونحو ذلك . وفي (العين ٣١٨/٥) اختلاف في رواية بعض النص وسقط منه (الأخذ بالماء .....) .

٤٢ ــ (تص ٥٣٦/٢) : وامَّا الخليل ، فذكر ان القرن بالكسر ، الذي هو في السِّن مثلك او لِدَتُك ، وهو القياس الصحيح بمنزلة التِّرْب . وهو في (العين ١٤١/٥) .

٤٣ ــ الشكل (تص ٥٣٧/٢) : وروى الخليل الشكل بالفتح في الدل على بناء الدَّل ، وهما من أصل واحد ، وهو اختلاط الشيء بالشيء ، لان المشكلة : حُمْرة مخالطة البياض ، وكذلك الشكل مخالطة لشكله في الأخلاق ، او غير ذلك . وهو في (العين ٢٩٥/٥) . وفيه : الشَّكل [بكسر الشين] غنج المرأة وحسن دلّها . وبقية النص يختلف عن نص (التصحيح) .

٤٤ ــ إدم (تص ٥٣٧/٢) : وحكى الخليل : انه يقال : ما بها إدَم بكسر الأول وفتح الثاني ، فكأن المعنى : ما بها علم . وهو في : (العين ٢٩٦/٨) : ما بها إدم .

٤٥ ـــ المرفق (تص ٢/ ٥٤٢) وامّا الخليل فذكر ان المِرْفق مكسور في كل شيء من المُتكأ واليد والأمر . كقوله تعالى : (ويهيئ لكم من أمركم مِرْفَقاً / الكهف ١٦) . أي : رفقاً بكم في أمركم . وان المرفق بفتح الميم . مرفق الدار كالمَغتسل والكنيف ونحو ذلك .

وفي (العين ٥ /١٤٩) أي : رفقاً وصلاحاً لكم من أمركم ... ومرفق الدار ، من المِغتسل والكنيف .

٤٦ ـــ الجن (تص ٢/٥٤٣) : والجن : جماعة ولد الجن ، والجِنّة جميعهم ، والجان أبو الجن . وهو في (العين ٦ / ٢٠ ـــ ٢١) وفيه : ..... وجمعهم الجنّة والجنّان .

وقال في (التصحيح) : وقال الخليل : المجنّة : الجنون بالميم ، وفيه يقول الشاعر :

وإن من القوم الذي دماؤهم

شفاء من الدار المجنّة والخبل

وفي (العين ٦ / ٢١) : والمجنّة : الجنون ، وجن الرجل ، واجنه الله فهو مجنون وهم مجانين ...... قال :

من الدارميين الذين دماؤهم

شفاء من الداء المجنّة والخبل

٤٧ ـــ علاقة (تص ٢/٥٤٥) : وقال الخليل : يقال :

عِلَقت بقلبي علاقة [جني] وفي نفسي منها عَلاقة بالفتح ، وجمعها : العلائق . وانشد لجرير :

او ليتها لم تعلقْنا علاقتها

ولم يكن داخل الحب الذي كانا

قال : وتقول : عَلِّق فلان بفلانة ، إذا أحبَّها ، علَقاً وعلاقـة ، وعُلِّقـها تعليقاً ، كما قال الاعشى :

علِقْتها عَرضاً ، وعُلِّقت رجلاً

غيري ، وعلق أخرى غيرَها الرُجلُ

وانشد في العلق لجميل :

ألا أيها الحب المبرّح هل ترى

أخا علق يَفْري بحب كما افْري

وقـال أيضاً . وهما العشـق . ومن أمثال العرب : / نظرة مـن ذي علَق / . وقال الخليل : العلاقة ، ما تعلق به الرجل مـن صناعـة أو ضيعة أو معيشة تقيمه ، أو ما ضرب إليه يده من الأمور التي يحاولـها من الخصومات ونحوها .

وشيء من هذا النص في : (العين ١ / ١٦١) وفيه نقص يكمله نـص (التصحيح) ..

٤٨ ـ بضع (تص ٢ / ٥٤٨) : قال الخليل : يقال : بضعْت اللحـم ابضَعُه بضْعاً ، وبضَّعْته تبضيعاً ، اذا جعلتها قطعاً .

والبضْعة : القطعة الواحدة ، وهي الهَبْرة ، وان فلاناً لشـديد البَضْـع والبَضْعة : حَسُنها ، اذا كان ذا جسْم حسَن وسَـمِن . والنـص فـي : (العين ١ / ٢٨٥) .

٤٩ ـ وفيه ايضاً (٢ / ٥٤٨) قال الخليل : وهذا يفسِّر قول الله عـزَّ ذكرُه : / في بِضْع سنين / يوسـف ٤٢ ، أي : سبع سـنين . قـال : ويقال : هو ما بين الثلاثة الى العشرة ، وإنَّما صار منهما ، لانه بمعنى

القطعة ليست محدودة . والنص مجزأ في : (العيـن ١/٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) .

٥٠ ــ العدل (تص ٢ / ٥٥١) . قال الخليل : العدل مثل الشـيء ، سواء بعينه لا يخالف في قليل ولا كثير ، هما معتدلان ، واما العـدل الذي هو قيمه الشيء ، فيسمّى بالمصدر من قولك : عدلّته أعدله عدلاً ، إذا ساويته به . وقال : ومنه قولهم : قد عدلْت الشيء ، أي : اقمتـه ، لئلاّ يميل ، عدلاً حتى اعتدل . وانشد قول الشاعر

صبحت بها القوم حتى امسكـ ـت بالارض ، اعدلها ان تميلا

ومنه قولهم : عدلت فلاناً ، عن طريقه ، وعدلْت الدابة الى مكان كـذا وكذا عدلاً ، أي : عطفْته وصرفْته فانْعَدل . وهو في (العين ٢ / ٣٩ ــ ٤٠) مع خلاف النص .

٥١ ــ قلف (تص ٢ / ٥٥٥) .

والقَلْف : بفتح القاف وسكون اللام : اقتلاع الظفر من أصله ، والقلفـة من اصلها . وانشد الخليل :

يقْتلف الأظفار عن بَنانِه

والقلَف ، فتح اللام ، مصدر الأقلَف ، وهو الذي لم يختن . وهـو فـي (العين ٥ / ١٦٤) وفيه خلاف وتقديم وتأخير في النسق .

٥٢ ــ ضغط (تص ٢ / ٥٥٥) : وقال الخليل : الضُغْطـة : غمـز الخلق ، والضّغاط : تضاغط الناس في الزحام ونحوه . وقال الراجز :

ان النَّدى حيث ترى الضغاطا

ويقال : فعل ذلك ضُغْطة ، أي : ضرورة . وضُغطته ضَغْطة بـالفتح . في (العين ٤ / ٣٦٣) جزء من هذا النص .

٥٣ ــ قشعر (تص ٢ / ٥٥٦) : قال الخليل : كل شيء تغيَّر ، فهو مُقْشَعِرّ ، واقْشَعرَّت السنة من شدّة الشتاء والمحْل ، واقْشعرَّ النبات ، إذا لم يحز ريّـاً فذبل او جفَّ ، وانشد (الخليل) :

اصبح البيت بيت آل بيان

مقشعرَّاً ، والحيّ حيٌّ خلوفُ

والنص في (العيـن ٢ / ٢٨٧ ــ ٢٨٨) وفيـه خـلاف مـع نـص (التصحيح) .

٥٤ ــ الرفقة . (تص ٢ / ٥٦٤) : وقال الخليـل : الرُّفْقـة اسْـم لجماعة المنضمّين في مجلس واحد ، وسَيْر واحد ، ما داموا كذلـك ، فإذا تفرّقوا زال عنهم اسم الرُّفقة . ولم يزل عن كل واحد منـهم اسْـم الرفيق ، وهو الذي يرافقك في السَّفر . والنص في (العين ٥ / ١٤٩) وفيه نقص واختلاف .

٥٥ ــ الحجزة (تص ٢ / ٥٦٧) وقال الخليل : الحُجْزة حيث يثنـى طرَف الإزار في لَوْث الإزار . وقال النابغة :

رِقاق النِّعال طِيِّب حُجُزاتُهم يُحيّوْن بالريحان يوم السباسب

قال : والحجْز بسكون الجيم ، اصلُ الرجل ومنبتُه ، وهو أيضاً ما بيـن فَخِذه والفخِذ الأخرى من عشيرته وانشد في ذلك :

وامْدَح كريم المنْتمى والحجْز

وهو في (العين ٣ / ٧١) وفيه اختلاف .

٥٦ ــ أُفُرّة (تص ٢ / ٥٦٨) وقال الخليل : يقال : جاء فلان فـي أُفُرّة من قومه ، أي : في جماعة لهم جلبة وضجّة .

لم أجده في (العين ٨ / ٢٨٢) مادة (افر) وهو في (لسان لعرب ٤ / ٢٦) .

٥٦ ــ لقطة (تص٢ / ٥٧١) : اما الخليل : فذكر ان اللّقْطة ساكنة القاف اسْم لما يوجد ملْقى فيؤخذ من صبي أو غير ذلك ، وان اللّقَطة بفتح القاف ، هو الرجل اللقّاطة للأشياء ، البيّاع لُلقاطات لملتقطها . وهو في : (العين ٥ / ١٠٠) وفيه خلاف مع هذا النص .

٥٧ ــ اللجَّة (تص ٢ / ٥٧٩) : وقال الخليل : (اللجَّة) : هو أكثر الماء واوسعه وابعده من الأرض ، لا يرى فيه إلاّ الماء والسماء . وفي (العين ١٩/٦) : ولجَّة البحر حيث لا تُرى ارضٌ ولا جبل .

٥٩ ــ الحمولة (تص ٢ / ٥٨٠) : وقال الخليل : الحُمول ، بالضمّ : الإبل بأثقالها . وهو في : (العين ٣ / ٢٤٣) .

٦٠ ــ المقام (تص ٢ / ٥٨٠) : فإنَّ الُمقامة بالضمّ ، الجماعة من الناس ، والمقام : الإقامة / هكذا قاله الخليل بن احمد وانشد فيه لسلامة بن جندل :

يومان ، يوم مُقَامات واندية

ويوم مسير الى الأعداء تأويب

وفي (العين ٥ / ٢٣٢) : والُمقام والُمقامة : الموضع الذي تقيم فيه ./ فقط .

٦١ ــ خلَّة (تص ٢ / ٥٨٤) وقال الخليل : كل ما لم يكن بحمض فهو خُلَّة ، ويقال : الخلّة خبز الإبل ، والحمض فاكهتُها . وفي (العين ٤ / ١٤١) والخلَّة من النبات ، ما ليس بحمض لا غير .

٦٢ ـــ الشفْر (تص ٢ / ٥٨٥) : فإنَّ الشَّفْر بالفتح ، على قول الخليل ، جَمْع الشَفْرة ، وهي السكِّين العريضة . وفي (العين ٦/٢٥٤) : والشفْرة : السكِّين ، والجمع : الشفْر والشِّفار .

٦٣ ـــ عقب (تص ٢ / ٥٨٧) : الأعقاب ، مأخوذ من عقب الإنسان ، وهو مؤخَّر قدميه . قال ذلك الخليل ، وقال أيضاً : عَقَب الرجُل : ولَدُه ، وولدُ ولَده الباقون من بعده وفلان لا عَقِب له ، أي : لا ولد له من بعد موته . وعقب يجمع على الأعقاب . وهذا النص مختصر في (العين ١ / ١٧٨) .

٦٤ ـــ الرجلة (تص ٢ / ٥٩٣) : وقال الخليل : الرِجْلة مَنْبِت العَرْفج الكثير في روضة واحدة . والتراجيل : الكرفس ، و / الحرَّة : الرجلة المستوية من الأرض الكثيرة الحجارة . وهو في (العين ٦ / ١٠٢ ـــ ١٠٣) وفيه نقص وزيادة .

٦٥ ـــ المحاورة (تص ٢ / ٥٩٨) : وقال الخليل : المحاورة ، الحوار والحوير والمحورة على (مَفْعلة) كالمشورة من المشاورة وانشد في ذلك .

بحاجة ذي بَثّ ومحورة له

كفى رجْعها من قصّة المتكلّم

(العين ٣ / ٢٨٧) .

٦٦ ـــ الجمام (تص ٢ / ٥٩٩) وروى الخليل : الجمام بالكسر في غير المكيال ، بل في جموم الدواب ، وكل شيء ، كانه جمع الجمة . وهي مجتمع الشيء ، وفعله : جَمَّ يجمّ وأجممته أنا إجماماً ، أي : أرحته من الكدّ ، وتركته لترجع قوته إليه وجمومه .

وبعض هذا النص في : (العين ٦ / ٢٧ ـ ٢٨) .

٦٧ ـ الحسب (تص ٣ / ٦٠١) وقال الخليل : والحسَب بالفتح الشرف في الآباء . يقال : رجُل حسيب ، وكريم الحسَب . وفي الحديث عن النبي (ﷺ) : (الحَسُب المالِ والكرم والتقوى) ـ والنص في (العين ٣ / ١٤٨) .

٦٨ ـ واسط (تص ٣ / ٦٠٣) : وقال الخليل : إنّما سُمّي واسط الرحْل ، لأنَّه بين القادمة والآخرة ، وكذلك واسط القِلادة وواسطتها ، وهي الجوهرة التي تكون في وسط الكِرْس المنْظوم . (العين ٧ / ٢٧٩) وفيه اختلاف مع نص (التصحيح) .

٦٩ ـ اليَبَس (تص ٣ / ٦٠٦) : وقال الخليل : طريق يبس ، أي : لا نُدُّوة فيه ولا بلَل ، وفَسَّر به الآية فقال ايضاً : اليَبَسُ : الكلأ الكثير اليابس . (العين ٧ / ٣١٤) والآية المذكورة (هي الآية ٧٧ من سورة طه / فاضْرب لهم طريقاً في البحر يَبَساً) . وهي من شواهد (العين) وفيه اختلاف مع نص (التصحيح) .

٧٠ ـ وزن (فَعالّة) . (تص ٣ / ٦٠٨) وقال الخليل : كلمتان لا نظير لهما جاءتا في العربية على : (فَعالّة) بتشديد اللام وهما : زعارّة الرجُل ، وحمارّة القيْظ . قال : ولم يشتقوا لهما فعلاً ولا فاعلاً ولا مفعولاً ولا مُصَرَّفاً في الوجوه . ولكنه يقال ، انه لزعِر الخلق ، وفي خلقه زعارّة ، أي : شِدَّة . (يريد : انهم لم يصرفوهما) . وقال ايضاً في الحمارّة : وهي الحمرَّة ، ايضاً ، والحمَّر / بتشديد الميم / قال : وحمَّر الغيث معظمه ، وانشد في ذلك :

وحمَّر غيْث زمزم جرجار

فهذا يدل على ان تشديد حمارة ، انما جاء من تشديد الحمّرة (العين ٣/ ٢٢٨) وفيه نقص واختلاف في النص .

٧١ ـ اترج (تص ٣ / ٦١٥) : وقال الخليل : يقال : اتْرُجّ ، وتُرُنج ، وان ترنجاً لغة من قول في الأرزّ : الرُنْز .

وقال : في الضحّ : هو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض . ويقال : الضيح ايضاً بالياء . كأنَّها لغة ، والعامَّة عليها . وهو في (العين ٦ / ٩١ و ٣ / ١٣) وفيه ائتلاف .

٧٢ ـ الفوّهة (تص ٣ / ٦١٦) . وقال الخليل : الفُوَّهة : فم الطريق والنهر والوادي ، ووَزْنها على (فوة بوزن فُعّل) / هو في (العين ٤ / ٩٥) .

٧٣ ـ ضاوي (تص ٣ / ٦١٦) . وانشد الخليل لذي الرّمة في صفة زند :

أبوها أخوها ، والضوى لا يضيرها
وساق أبيها أمّها عُقِرت عقْرا

وأنشد أيضاً في تشديد الضاوي للراجز :

من نَسَب الضّاوي ضاويّ غنى

(العين ٧ / ٧٣) وليس فيه الشاهد .

وقال الخليل : يقال : أضويت الأمر إذا أفسدته . وهو من الضُّواة ، وهي : ورَمٌ تخرج في راس البعير ، او في عُنُقه تغلِبُ على عَيْنيه ، ويَصنْغُر لذلك خطْمه . (العين ٧ / ٧٤) وفيه اختلاف .

٧٤ ـ العارية (تص ٣ / ٦١٨) وقال الخليل : اختلف الناس في اشتقاق العارية من الفعل ، فقيا إنما سُمّيت عاريّة ، لانها عارٌ على مُنْ

طَلبها . وقال : إنما هو من المعاورة : أي المناولة ، يأخذون ويُعْطون . وانشد لذي الرِمّة :

وسَقْط كعين الديك عاورْتُ صاحبي

أباها ، وهيأنا لموضعها وكْرَا

وانشد لغيره :

إذا ردَّ المعاور ما استَعارا

(العين ٢ / ٢٣٩) وفيه اختلاف ونقص ..

٧٥ ــ المُهْر (تص ٣ / ٩١٦) . وقال الخليل : هو الجحش والمُهْر . يقال : افلَيْنا الفِلْو، أي : اتخذناه لأنفسنا ، ويقولون : فَلوْناه ، أي فصلناه . (العين ٨ / ٣٣٣) وفيه اختلاف كثير .

٧٦ ــ الحوّارى (تص ٣ / ٦٢٠) . وقال الخليل : الُحوّارى أجْوَد الدقيق وأخلصه . يقال فيه : قد حوَّرْتُ الدقيق تحويرا ، إذا بيّضْتَه . ويقال لكلّ شيء بيّضْته فقد حوَّرْته . (العين ٣ / ٢٨٨) وفيه النص مختلف . وقال : المِحْور : الخشبة يبسط بها العجين تحويرا . وفي (العين : ...... بسط بها العجين يحوّر به الخبز تحويرا).

٧٧ ــ الباقلّى (تص ٣ / ٦٢٢) . ذكره الخليل ، وأنه اسْم سُوادي . (العين ٥ / ١٧٠) .

٧٨ ــ المِرْعزّى (تص ٣ / ٦٢٢) . قال الخليل : هو (فِعْللى) على تقدير (مَفْعِلّى) ولكنَّها مثل : شفصلّى وهو اسْم الباطل . (العين ٦ / ٣٠٠) وليس فيه هذا النص .

٧٩ ــ التعهد (تص ٣ / ٦٢٣) . وقال الخليل : التَّعاهد والتعهُّد في الاحتفاظ بالشيء ، وإحداث العهْد به واحد . (العين ١ / ١٠٣)

٨٠ ـ وعز (تص ٣ / ٦٢٤) وأنشد الخليل في التشديد وهو من كلام الشعراء :

قد كنت وعزت الى غلاء

في السر والاعلان والنجاء

بان يحق ودم الدلاء

(العين ٢ / ٢٠٦) وفيه نقص ..

٨١ ـ رفه (تص ٣ / ٦٢٨) وقال الخليل : لا يقال : أرفَهْنا الإبل ، ولكن يقال : القوم مُرْفِهون ، وقد أرفهنا إرفاهاً . وفي الحديث ، ان النبي (ﷺ) / نهى عن الإرْفاه / . وفسر ذلك على التَّدهُّن كل يوم . واذا كان الرجُل في ضيق وشدّة ، فنفسّت عنه ، قلت : رفَّهتَ عنه ترفيها ، على وزن (فعّلْت) بالتشديد (تفعيلا) .

وهو في : (العين ٤ / ٤٦) .

٨٢ ـ دخن (تص ٣ / ٦٣٣) : وقال الخليل : ويقال : يوم دَخْنان سَخْنان . (العين ٤ / ٢٣٣) .

٨٣ ـ رتج (تص ٣ / ٦٣٤) : وقال الخليل : يقال في كلامه رَتَج ، على وزن (فَعَل) أي : تتعْتُع ، هو رتِج . (العين ٦ / ٦١) وفيه نقص .

٨٤ ـ الباقل (تص ٣ / ٦٣٥) وقال الخليل : الباقل : ما يخرج في أعراض الشجر ، إذا دنا أيام الربيع وجرى فيها الماء ، فرأيت أعراضها شبه أعْين الجراد قبل ان يتيبس ورَقُه ، فذلك الباقل . والنص في (العين ٥ / ١٧٠) وهو مما نقله (التهذيب عن العين) وفيه (إذا دَنَت أيام الربيع) .

٨٥ ـ الخشّع (تص ٣ / ٦٥٠) وزعم الخليل ان الخُشّع : المرتفعة ، وان الخُشْعة : ما ارتفع من الأرض ومن السُور ، من قولهم : تسوَّر اللّصُّ الحائط ، أي : صَعِد عليه وتسلَّق .. (العين ١ / ١١٢) وليس فيه هذا التفسير .

٨٦ ـ معزابة (تص ٣ / ٦٧٣) . وذكر الخليل ، أنَّ هذا البناء لا تدخله علامة التأنيث لأنه للمبالغة ، وانه لم يجيء العرب منه الا : مِعْزابة . (العين ١ / ٣٦١) .

٨٧ ـ دنيا (تص ٣ / ٧٢٠) وقال الخليل : سُمْيت دُنْياً ، لأنها دنَت ، والآخرة لانَّها أخّرِت ، وفي (العين ٨ / ٧٥) : لأنها دنت وتأخَّرت الآخرة .

٨٨ ـ رذم (تص ٣ / ٧٢٢) وقال الخليل : الفعل منه : رذَمت ترذِم رَذْماً ، وقلّ ما يستعمل إلاّ بفعل مجاوز (أي متعدٍ) نحو : أرْذَمت ، وأنشد :

لا تملأ الدلو صُبابات الوذُم

إلاّ سجال رذَم على رَذَمْ

قال : والرَّذَم ههنا : الامتلاء . والرذم : الاسم ، الرَّذْم المصدر . (العين ٨ / ١٨٤ ـ ١٨٥) وفيه تقديم وتأخير .

٨٩ ـ التمام (تص ٣ / ٧٢٤) : وقال الخليل : ليلة التَّمام أطْول ليلة في السنة . قال : ويقال : بل ليل التِّمام ثلاث ليال ، لا يُستبان منها نقصانُها في زيادتها . ويقال : أربع عشَرة ، وهي التي يتم فيها القمر فيصير بذراً ، وقال حملتّه أمّه لِتمام وللتمام . والتَّمام : في لغة تميم ، هو التمام . كقول رؤبة :

جرَّت تِماماً لم تُخنَق جهْضماً .

(العين ٨ / ١١٢) وفيه : نقصانها من زيادتها ، وخلاف اخر في النص .

٩٠ ــ الخصية (تص ٣ / ٧٢٥) : وقال الخليل : إذا ثنَّيت فذكّر إن شئت ، وان شئت فأنث . (العين ٤ / ٢٨٦) .

وفيه : الخصية : تؤنث ما دامت مفردة ، فاذا ثنّوا ذكّروا .

٩١ ــ النّقاية . (تص ٣ / ٧٢٨) النّقْو : وهو كل عظم من قَصَب اليدين والرِجْلين ، / ذكر ذلك الخليل / ومعناه في (العين ٥ / ٢١٩) .

وقال الخليل : النقاوة : افضل ما انْتقيت من الشيء . والجميع : الأنقاء . ويقال : رجُل انقى ، وامرأة نَقْواء ، أي : دقيق عظم اليدين والرجْلين والفخذ وفخذ نقواه ، اذا كانت دقيقة القصب ، ظاهرة العصب ، نحيفة الجسم ، قليلة اللحم . (العين ٥ / ٢١٩) .

٩٢ ــ الوفز (تص ٣ / ٧٢٩) وقال الخليل : الوفز ان ترى الانسان مستوفزاً قد استقلّ على رجله للقيام . ولما يَستو قائماً ، وقد تهيّأ للوفز والوثوب / وهو في (العين ٧ / ٣٩٠) مع خلاف .

٩٣ ــ الأس (تص ٣ / ٧٣٠) . وقال الخليل : الأُس لغة في الاسس ، وأُس الرماد ، ما بقي منه في المستوقد . قال : ويقال : أسست الدار ، إذا بنيت حدودها، او رفعت من قواعدها ، وتقول : هذا تأسيس حسَن . (العين ٧ / ٣٣٤) وفيه اختلاف . وقال : وكذلك استعمله أصحاب القوافي في تأسيس الشعر . (العين ، نسخة الأصل : كلام في تأسيس الشعر) .

٩٤ ــ الظل (تص ٣ / ٧٣٣ و ٧٨١ وقال الخليل : الظل : ضِدُّ الصبح ونقيضه ، وسواد الليل يسمّى ظلاً ، ومَنه قول الله عزَّ وجلَّ :

(أَلمْ تَرَ الى ربّك كيف مدَّ الظلّ) / الفرقـــان ٤٦) .. وبعـــض هـــذا النص في (العين ٨ / ١٤٨) ..

٩٥ ــ الفيء (تص ٣ / ٧٣٤) : وقال الخليل : تقول فاء الفـــيء ، اذا تحوّل عن جهة الغداة (العين ٨ / ٤٠٦) .

٩٦ ــ الثندوة (تص ٣ / ٧٣٦) وقال الخليل : الثندوة من الرجـــال ، كالثدي من المرأة . (العين ٨ / ١٩) .

٩٧ ــ الأثر (تص ٣ / ٧٣٧) وقال الخليل : الاثر : بقيّة ما يرى مـــن كلّ شيء ، وما لا يرى بعد ان يبقى منه علْقة . (العيـــن ٨ / ٢٣٦) . وقال : والأثر ايضاً الاستقفاء والاتباع ، هذان بفتحتين ./ وهو بلغتين : الأَثَر والإِثْر . / ولا يشتق من حروفهما فِعْل في هذا المعنى . ويجمعان كلاهما على الآثار . لا يقال تبعت آثارهم ، ولكن يقال : ذهب في اثـــر فلان ، وكان هذا في ثر ذاك ، وإذا أوقَعْت عليه الفعل ولم تَفْصله بصلة او نحوها قلت : اتَّبعت أثره ونحوه . وقد يقع عليه النعت إذا كان معناه بعد . تقول :

اقْتل فلاناً إثر فلان ، وانشد :

متيم إثر من لم يَجْـــزِ مكبولُ

وقال : أثْر السيف ، ضربته . ويقال : أثرت الحديث آثره أثـــراً ، أي : تحدَّث به قوم عن قوم في آثارهم من بعدهم ، ومصدره : الاثارة ، بفتح أوله ، كما قال الله تعالى : (أو أثارة من علم / الأحقاف ٤) . وهـــذه النصوص مجتزأ بعضها في (العين ٨ / ٢٣٦ ــ ٢٣٧) .

٩٨ـــ وانشد الخليل شعراً لبشّار :

يا قـــوم من يعـــذر من عَجْـــرد القائـــل المرء على الدّانِـــق

(العين ٥ / ١١٨ وليس فيه البيت) .

٩٩ ــ الخنفساء (تص ٣ / ٨٦١) وذكر الخليل : الخنفساء بفتح الفاء ، وجمعها : الخنافس والخُنفَس . وفي لغة : خنفساءة واحـــدة ، وثـــلاث خنفساوات. (العين ٤ / ٣٣١) .

١٠٠ ــ الطست (تص ٣ / ٧٤٥) وقال الخليل : الطسْت في الأصل : الطسَّة ، بالتأنيث والتضعيف ، لكن حذفت السين الثانيـــة للتخفيـــف ، فأظهروا تاء التأنيث بسكون ما قبلها ، (لأن الهاء انما تبدل مـــن تـــاء التأنيث إذا كان ما قبلها متحركاً ، ولو لم يظـــهروا التـــاء ويعربوهـــا لاجتمع ساكنان السين والهاء ، فصارت : طست ، بمنزلة / بنت واخت كان تاء التانيث اصلية في الكلمة ، فاذا جمعوا قالوا : طساس فعـــادوا الى التضعيف وحذفوا التاء . وقد قالوا في الجمـــع : اطســـاس علـــى (افعال) قال الشاعر :

كأنَّ الحميم على متنها إذا اغترفته بأطساسها

جمان يجول على فضة جلته مذوار دواسها

وصانع الطِساس : الطَسّاس بالتشديد . وصناعته : الطساسة . (العين ٧ / ١٨٢) وفيه شيء من النص المذكور .

١٠١ ــ الجدَر (تص ٣ / ٧٤٨) وقال الخليل : الجَدَر : انْتبـــار فـــي عُنُق الحمار ، ومن آثار الكدم او غيره . (العين ٦ / ٧٤) .

١٠٢ ــ الآخر (تص ٣ / ٧٥٤) قوله : أبْعَد الله الأخـــر ، قصـــيرة الألف ، فمعناه : الغالب ، أي : المتأخر ، هكذا فسَّره الخليل (العيـــن ٤/ ٣٠٣) . .

١٠٣ ــ الحلَق (تص ٣ / ٧٥٦) : وزعم الخليل أنها تُجْمع على الحلق بفتح اللام ، وان الحلْقة بالتخفيف والتثقيل جائزان مقبـــولان ، وأدْنـــى العدد : حلَقات . (العين ٣ / ٤٨) .

١٠٤ ــ الخاتم (تص ٣ / ٧٥٦) : وزعم الخليل : ان الخاتم الـذي لا فَصَّ له ، يقال له : الحلق بكسر الحاء وسكون اللام ، وانشد في ذلـــك للمخبّل في رجل أعطاه النّعمان خاتمه :

وناول منها الحلْق أبيض ماجداً

ردِيفَ ملوك ما تُغِبّ نوافِلُه

(العين ٣ / ٤٩) .

١٠٥ ــ دِرْع (تص ٧٥٩/٣) وقال الخليل : كان بعضهم يذكّــر دِرْع الحديد ــ ايضاً ــ واذا صغّروهما لم يؤنّثوا واحداً منهما ، رواية عــن العرب ، يقولون فيهما : ذُرَيْع ، وأنشد في تذكير دِرْع الحديد لأوس بن حجر :

وأبيض صوليّاً كنهْي قرارة ... أحس بقاع نفْح ريح فأجْفلا

(العين ٣٤/٢) وفيه شيء من النص المذكور آنفاً ..

١٠٦ ــ قارية / الطير . (تص ٣ / ٧٦٠) وزعم الخليل : انّ بعضهم يقول : هي طير سودٌ كأنّها السودانيّات ، سُمّيت قارية لســوادها ، وان بعضهم قال : هي خُضْرٌ ، وانشد لدريد في خضرتها :

سوابِقها يَخْرجن من مُنتَصَّب

خروج القواري الخضْر من سبل الرعْد

وقال : اكثر ما يأكل هذا الطير العنب والزيتون / سقط هذا النص مــن (العين ٥ / ٢٠٥) .

١٠٧ ــ توْأم (تص ٣ / ٧٦١) : أجاز الخليل ان يقـــال همـــا تـــوْأم للولدين .. (العين ٨ / ١٣٩) وفيه : التوْأمان ، ولَدان في بطَن واحد .

١٠٨ ــ القزاقيز (تص ٣ / ٧٦٦) : وقال الخليل : وهي مشـربة دون القزقازة ، وهي اعجميَّة ، ولا تكون في العربية كلمة فصل الألف بيـــن

حرفين مَثَلين منها ترجع الى بناء مثل (قفز) إلاّ (بابل) . وهي بلـد يجْرَى مَجْرى سائر الأسماء . (العين ٥ / ١٣) وفيه خلاف في بعض كلمات النص .

١٠٩ ــ أربعاء (تص ٣ / ٧٧٠) : وقد حكى الخليل فيها فتح البـاء فقال : أربعاء وأربعاوات بفتح الباء في جميع هذا . كأنه اسـم واحـد مؤنَّث مثل : قصباء . (العين ٢ / ١٠٣) وفيه : أربعاوان وأربعاوات .

١١٠ ــ أجنك (تص ٣ / ٧٧٤) : وقال الخليل : وهو بمنزلة قول الله عزَّ ذِكْرُه : (لكنَّا هو الله ربّي / الكهف ٣٨) أي : لكن أنا . ويروى في الحديث : (أجنَّك من أصحاب محمَّد) أي : أجل أنك . (العين ٦ / ١٧٨ ــ ١٧٩) مع خلاف في بعض كلماته .

١١١ ــ اللكع (تص ٣/ ٧٨١) وأصل اللكع واللكاع ، ما ذكره الخليل . ان اللكع : وَسَخ القُلْفة (العين ١ / ٢٠٢ــ ٢٠٣) وقد سقط منه هذا النص . وفيه : ورجل الكع . وامرأة لكعاء ، والرجل ملكعان ، والمرأة ملكعانة . وقال بعضهم : لا تقل : ملكعان إلاّ في النِّداء (العين ١ / ٢٠٣) .

١١٢ ــ الحير (تص ٣ / ٧٨٨) وذكر الخليل : ان الحير بغير الـف (تخفيف وحذف) فانه لغة فيه ، وفي عيشة ونحوهما . (العين ٣ / ٢٨٩) .

١١٣ ــ شوّلت (تص ٣ / ٧٩١) وقال الخليل : تقول شولت الإبـل ، إذا لَزقت بطونها بظهورها . (العين ٦ / ٢٨٥) .

١١٤ ــ المصدّق (تص ٣ / ٧٩٦) : وزعم الخليل ، انه يقال للسائل والمُعْطي الصدقة جميعاً : مُتَصدّق على لفظ واحد . (العين ٥ / ٥٧) وفيه : المتصدق : لمعطي للصدقة .

١١٥ ـ أشلَيْت (تص ٣ / ٧٩٧) : وقال الخليل : تقول : أشلَيْت الكلب ، واستشلَيْته ، اذا دعوته ، وكل من دعوته حتى تنحيه من الضيق او الهلاك ، فقد استشلَيْته . / هو في (العين ٦ / ٢٨٥) .

١١٦ ـ البرذون (تص ٣ / ٨٠٠) أجازه الخليل ، فقال : تقول : هذا البِرْذَون لا يُرْدِف ولا يُرادِف ، أي : لا يدع رديفاً يركبه . وقال : الرادف : موضع مركب الرديف . (العين ٨ / ٤٣) . وفيه (أي : يدع رديفاً) . ورديفك الذي تردفه خلْفك ، أي : تُرْكِبَه . وكل شيء يتبع شيئاً فهو رِدْفه ، واذا تتابع القوم بعضهم خلْف بعض قلت : قد ترادفوا ترادفاً ، والجميع : ردافى . ومنه قولهم في القوافي التي تتابع حركاتها : المترداف . والذي تركبه خلفك : يرتدفك ويردفك . وفِعْله : رَدَف يردف ، وقال : يقال للقوم إذا نزل بهم أمر قد ردِف لهم أعظم منه . (العين ٨ / ٢٣) وفيه النص مجتزأ ، وهو كامل في (التصحيح ٣/ ٨٠٠ ـ ٨٠١) .

١١٧ ـ ندى / أندى (تص ٣ / ٨٠٢ ـ ٨٠٣) وفيه نصوص كثيرة مقتبسة نصاً من العين (العين ٨ / ٧٧) وهي ناقصة فيه . منها : وفلان أندى يداً من فلان ، أي : اسمح يداً ، وقد ندى يندى ندًى . وقد أندى علينا فلان ندىً كثيراً، وان يده لندية (خفيفة على فعيلة) . وقال : الندى له وجوه منها : ندى الماء ، وندى الخير ، وندى الشر ، وندى الصوت ، وندى الحضْر ، وندى الدُخْنة . وكذلك ندى الأرض ، يبعد مذهبه فيها ، وهكذا الخير والشر ، وكذلك الصوت ، قيل له : ندى ، لبُعْد مذهبه ، وكذلك الجود وكذلك البخور . (العين ٨ / ٧٧ ـ ٧٨) .

١١٨ ـ كسفت الشمس (تص ٣ / ٨٠٤) قليل منه في (العين ٥ / ٣١٤) وفيه نقص .

...

١١٩ ــ البخص (تص ٣ / ٨١٠) وقال الخليل : البَخَص ، ما ولي الأرض مت تحت أصابع الرجْلين ، وتحت مناسم البعير والنعامة ، وربما أصاب الدابَّة داءٌ في خُفِّها ، فيقال : هي : مبخوصة تظلع من ذلك . قال : وبَخصُ اليد : لحم أصول الأصابع ، مما يلي الراحة ، والبخَص في العين عند الجفْن الأعلى . والبَخُص : لحم الذراع ايضاً . وقال : وتقول : بخصت عين فلان ابخصها ، إذا أدخلْت يدك فيها . (العين ٤ / ١٩٠) .

١٢٠ ــ الخطم (تص ٣ / ٨٢١) : وذكر الخليل : ان الخطم من البازي ومن كلِّ طائر : مِنْقاره ومن كلِّ دابّة مقدّم أنْفه وفمه ، نحو الكلب والبعير . قال : ويقال : ابل مخطَّمة ، أي : موسومة على أنوفها . والسمة على الأنف تسمّى الخِطام . واذا طُعِن الرجل في أنْفه أو ضُرِب بالسيف قيل : قد خُطِم ، أي : أصيب خطْمه او قُطِع خطْمه . وكذلك سمّيت خطم الإبل خطماً . وواحدها : خطام . لأنَّها تجعل في أُنوفها . (العين ٤ / ٢٢٦) .

١٢١ــ الخرطوم (تص ٣ / ٨٢١) وقال الخليل : يقال : خرطمته ، إذا ضربت خرطومه فعوجته . وقال : المخرنطم : الغضبان . (العين ٤ / ٣٣٣) وفيه نقص واختلاف .

١٢٢ ــ الظفر (تص ٣ / ٨٢٦) فان الخليل ذكر ان الظُّفْر ظفر الإصبع وظفر الطائر ، ويقال لضرب من العطْر الأظفار ، وهو نبات يشبه ثمره أظافر الناس . ولا يفرد لها واحد ، وقال بعضهم : يقال لواحدها ، اظفارة وأظفار ايضاً . والظفْرة : داء يغشى حدقة الإنسان ، شبيهة بالظُّفْر ينبت من ناحية موق العين ، ويزداد حتى تغطى الناظر ، ويعالج بالقطْع (العين ٨ / ١٥٧) وفيه نقص كثير .

١٢٣ ـ المنسم (تص ٣ / ٨٢٧) وقد ذكر الخليل أنَّ المنْسِمِ من الفيل ايضاً ، وانشد في ذلك :

من كل جانب لهنَّ مَنْسِمُ

(العين ٧ / ٢٧٥) .

١٢٤ ـ الخلب (تص ٣ / ٨٣٠) قال الخليل : الخلْب : مَزْق الجلد بالنّاب . والسَّبُع يخلب الفريسة إذا شقَّ جلْدها بناب أو مِخْلب ، ولكلّ طائر من الجوارح مخلب ، ولكلّ شبع وهو أظافره . والمخلب : المِنْجل وقال النابغة :

قد أفْناهم الدهر قبل الوفا ... ة كهذّ الإشاعة بالمخلب

وقال : الخلْب : ورَق الكرَم والعَرْمص ونحوه . والخلْب : حَبْلٌ دقيق شديد الفتْل من ليف او قُنَّب او شيْء صُلْب . وقال الراجز :

كالمسَد اللّدْن أمِرَّ خُلُبه

والمخالبة : المخادعة في كلّ شيء ، وهي الخلابة ايضاً ورجل خلاّب وامراة خلاّبة وخلوب . أي : خدوع ، وفي حديث أنَّ النبي (ﷺ) / قال لرجُل كان يُخْدع في تجارته : (قُلْ لا خِلابة إذا بعْت) ومنه ، برْقٌ خُلَّب ، وهو الذي يُومض ولا يُمْطر . والخَلْباء : المرأة الحمقاء ، وهي : الخَلْبَن ايضاً . بزيادة النون ، وقال رؤبة :

وخلّطت كل دلات علْجن

تخليط خرْقاء اليدين خلْبن

والمخلب من الثياب ، الكثير الوشي ، كما قال لبيد :

بغيث بدكداك يزين وهادهُ

نبات كوشي العبقري المخلَّب

(العين ٤ / ٢٦٩ ــ ٢٧١) مع اختلاف في النص والرواية . وكذلك فيه نقص ..

١٢٥ ــ الخلف (تص ٣ / ٨٣٥) ذكر الخليل : انّه المؤخّر من الأطْباء ، وان القادم هو المقدّم . و / الخِلْف هو الضّرْع نفْسه ، وقادماه المتقدمان والمتأخران ، والجميع : الاخلاف . والدليل على ان الخِلْفَين هما المتأخران من الضرع ، قول الراجز :

كأنَّ خِلفيّتها اذا ما دَرّا   جِرْوا خِراش هُورِشا فَهرّا

(العين ٤ / ٢٦٥) وفيه اختلاف ونقص .

١٢٦ ــ ضرع (تص ٣ / ٨٣٦) ذكر الخليل : (الضرع) انه للشاة والبقرة ونحوهما من ذوات الاظلاف ، وان منهم من يجعل الدّوابّ كلّها الضّرْع ، ولذلك قيل : / ماله زَرْع ولا ضَرْع / وتفسيره : وماله ذوات ضرْع تحلب ، يعني : الإبل والبقر والغنَم . وقال : أضْرعت الناقة ، فهي مُضْرِع عند اللبن لقرب عند اللّبن لقرب النتاج . وشاة ضريع ، أي : حَسَنة الضرْع . (العين ١ / ٢٧٠) .

١٢٧ ــ الحرمى (تص ٣ / ٨٤٠) فإنّ الخليل قال : الَحرْمى من الشّاء والبقر هي : المُستحرمة ، يقال : استحرمت حِرْمة ، أي : أرادت السّفاد ، وهنّ : حرامى ، ومُستحرمات (العين ٣ / ٢٢٣) وقال : إن امكنت النعْجة الكبْش ، يقال : قد حَنَت ، وهي حانية من شِدّة صِرافها (العين ٣ / ٣٠٢) .

١٢٨ ــ الصرف (تص ٣ / ٨٤١) وذكر الخليل ايضاً : ان صرف الدهر : حِدَّته . (العين ٧ / ١١٠) وفيه : والعرب تقول : الصرفة ناب الدهر .

١٢٩ ـ مجعل (تص ٣ / ٨٤٢) وقال الخليل ايضاً : كَلْبة مُجْعِل ، فقد اجعلت إذا أرادت السِّفاد ، وهي تجعل إجعالاً . وقال : يقول أهل الحجاز : ماءٌ مجعل ، وماءٌ جَعَل ، إذا مات فيه الجِعْلان والخَنافِس . مادة النص في (العين ١ / ٢٢٩) وليس فيه الكلام المذكور آنفاً .

١٣٠ ـ الموت (تص ٣ / ٨٤٣) قال الخليل : الموتُ خَلْق من خلق الله .. / وفي (العين ٨ / ١٤٠ ـ ١٤١) مادة (م / و / ت) وليس فيه النص المذكور . وهو في (لسان العرب ٢ / ٩٠ ، وفيه قول الليث) .

١٣١ ـ الصفن (تص ٣ / ٨٤٨) وقد قال الخليل : الصَّفَن : ما تَنْضِدُه الزَّنابير ونحوهما من حشيش أو غيره ، ثم تبني في وسطه بيوتَها . (العين ٧ / ١٣٤) مادة (ص / ف / ن) وفيه : وكل دابَّة وخلق شِبه زنبور ينضّد ما حول مدخله ورَقاً أو حشيشاً أو نحو ذلك) . / فضمير (نحوهما) يعود الى الزَّنابير والدَّواب .

وقال ايضاً (العين ٧ / ١٣٤) وفِعْله التَّصفين ، ومنه : صُفُن الخيل ، وهو : نصبُها سَنابكها وقيامها . يقال : صَفَنت صفوناً ، وهي صافِنة ، وصَوَافِن . ومنه قول الله تعالى : (إذْ عُرِضَ عليه بالعشيِّ الصَّافنات الجِياد / ص / ٣١) . التصحيح ٣ / ٨٤٨) وفيه النص الكامل .

١٣٢. الثيل (تص ٣ / ٨٤٩) وقال الخليل : الثِّيل جرابُ قُنُب البعير ، ويقال : بل هو قَضيبُه ، ولا يكون القُنُب إلاّ للفرس . والثِّيل مأخوذ من الثَّيِّل ، وهو نباتٌ يشُكّ الأرض ولا ينفصل منها . وذكر الخليل : لـن القُنُب جراب قضيب الدابَّة ، وانه إذا كنِيَ عمّا يخفض من المرأة قيل : قُنُبها . والقُنُب : شِراعٌ ضَخْم للسفينة ، وهو اعظم ما يكون من الشُرُع . ومنه : المِقْنَب وهو الجَيْش زُهاء ثلثمائة . والقِنَّب : ضَرْبٌ

من الكتان غليظ تعمل منه الحبال وغيرها . (العيــن ٨ / ٢٤٠ و ٥ / ١٧٤) . وفيه (الجيش : زهاء ثلاثمائة من الخيل) . وسقط فيه شـــيء من نص (التصحيح) .

١٣٢ ــ العقي . (تص ٣ / ٨٥٠) فقد ذكر الخليل (الروج): انه مـــا يخرج من بطن السخلة أول ما توضع . / هو في : (العين ٦ / ٧٧) .

١٣٣ ــ السخت (تص ٣ / ٨٥١) قال : السخت ، فارسية معربـــــة . وهي : السختة ، أي : المحترقة من كل شيء . (العين ٤ / ١٩٤) .

مضامين البحث

المعجــــم

إبراهيم السّامرائيّ

بين المنهجين التاريخيّ والمقارن

أ . د . نعمـة رحيم العزاوي

كلية التربية ـ جامعة بغداد

الملخص :

إبراهيم السامرائيّ المولود في مدينة العمارة عام ١٩٢٣ والمتوفى في عمّان عام ٢٠٠١ ، لغويّ عراقيّ كبير ، ذاعت شهرته في البلاد العربية ، وترك عشرات الكتب وعشرات البحوث .

يعد السامرائيّ أول لغوي عربيّ طبق في دراساته وكتبه المنهجين التاريخي والمقارن ، وسجّل نتائج تعد جديدة في البحث اللغويّ الحديث .

وسبب شغف السامرائيّ بهذين المنهجين ، وسعيه الحثيث لتطبيقها في أعماله أنه درس في السوربون ، ووقف هناك على ما عند الغربيين عامة والفرنسيين خاصة من دراسات وبحوث أقيمت على المنهج التاريخي او المقارن ، فرغب في أن يفيد في دراسته للغة العربية من هذين المنهجين ، وأن يكشف عن كثير من الظواهر اللغوية ، التي وقف اللغويون العرب القدماء شبه عاجزين عن تفسيرها ، أو أنهم فسرّوها تفسيراً يقوم على الحدس والتخمين ، فابتعدوا بذلك عن الصواب .

ومما زاد معرفة ابراهيم السامرائيّ بالمنهجين التاريخيّ والمقارن أنه درس اللغات الجزرية كالعبرية والآرامية والأكدية ، وتعد معرفة هذه اللغات أو بعضها مهمة للذي يريد أن يدرس اللغة العربية دراسة تاريخية أو مقارنة .

وقد عرض هذا البحث أمثلة من تطبيق السّامرائيّ المنهجين المذكورين على اللغة العربية ، وتعد هذه الأمثلة وغيرها مما أغنى به السامرائيّ البحث اللغويّ الحديث ، كما تعد اضافة الى الفكر اللغويّ العربيّ القديم ، وتصحيحا لبعض وما وقع فيه اللغويون العرب من أوهام ، أو ما جانبهم التوفيق في تفسيره .

مدخـــل :

ولد ابراهيم السامرائي في مدينة العمارة سنة ١٩٢٣ ، وتلقى فيها علومه الأولية ، ثم دخل دار المعلمين الابتدائية في بغداد ، وتخرج بها معلما في المدارس الابتدائية ، ودخل دار المعلمين العالية ، وبعد التخرج مارس تدريس العربية في المدارس الثانوية ، وشاء له تفوقه أن ينتظم ببعثة وزارة المعارف آنذاك الى السوبورن ، فحصل منها على شهادة الدكتوراه ، وعاد الى الوطن عام ١٩٥٦ ليعين في كلية الاداب .

لقد ظل يعمل في التدريس الجامعيّ ، وفي البحث والتأليف والتحقيق حتى وافاه الأجل عام ٢٠٠١ ، فكان له تراث غزير ، يشهد له بالتدقيق والتحقيق ، ويفصح عن أصالة تفكيره ، وتطلعه الى التجديد والاضافة في مضمار دراسة العربية .

(١)

المنهج التاريخي والمنهج المقارن

يعرف المنهج التاريخي في دراسة اللغة بأنه المنهج الذي يبحث لغةً ما في مكان محدد ، في مداخل زمنية مختلفة لبيان التغيرات التي لحقتها في اثناء تلك المراحل .[١]

ومعنى ذلك أن المنهج التاريخي يُعنى بدراسة التغيرات التي تقترى لغة ما ، أو مجموعة من اللغات عبر مسيرتها ، ومظاهر هذا التغير وأسبابه ونتائجه . ومعنى ذلك أن هذا المنهج ينطلق من المفهوم القائل بحركة اللغات ، وفاعلية العوامل المؤثرة في بنيتها والعناصر المكونة لها ، من أصوات ومفردات وتراكيب ودلالة . ومن هنا تكون وظيفة عالم اللغة الذي يتبع المنهج التاريخي ، هي الكشف عن طبيعة

---

[١] مدخل الى علم اللغة (د. محمد حسن عبد العزيز) : ١٤٦ ، القاهرة د . ت .

هذا التغير ، والقوانين التي تكمن وراءه ، أو تؤدي اليه[٢]. وان التغير اللغوي من أهم الافكار التي تمخض عنها علم اللغة الحديث ، وان ظهور المنهج التاريخي مرتبط بظهور هذا المفهوم في الدراسة اللغوية ، إذ هو منهج قائم على تتبع مظاهر هذا التغير في لغة ما ، ومحاولة تفسيرها ، والكشف عن العوامل المؤدية لها .

أما المنهج المقارن فيعد جزءاً من المناهج التاريخي في دراسة اللغة ، ((وهو يتميز من المنهج التاريخي في عمومه بأنه يركز على بحث الظاهرة اللغوية في اكثر من لغة ، ويركز بشكل خاص على بحث الظاهرة في اللغات التي تنتمي الى أصل واحد ، كاللغات السامية ، أو الحامية أو الهندية الاوربية))[٣] .

والهدف من المنهج المقارن ((التأصيل التاريخي كأن يستدل على قدم الظاهرة بالتماسها في أخواتها ، أو حداثتها بتفرد اللغة المعنية بها ، من بين أخواتها بحسب تأريخ حياة تلك اللغة))[٤] .

فالمنهج المقارن اذن يشترط اتحاد الأرومة في اللغتين الموازن بينهما . وكما يتناول المنهج التاريخي عناصر اللغة كافة ، كذلك يفعل المنهج المقارن ، اذ يبحث عن الاصوات والمفردات والتراكيب والدلالة ، ويفسر ما عرض لهذه العناصر من ظواهر مختلفة في لغة معينة ، في ضوء ما حصل لها في أخواتها اللائى ينتمين معا الى أصل واحد .

---

(٢) مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة (د . نعمة رحيم العزاويّ) : ١٥١ ، منشورات المجمع العلميّ (بغداد) ٢٠٠١ .

(٣) المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة (د . اسماعيل عمايرة) : ٤١ الزرقاء ١٩٩٢.

(٤) نفسه .

لقد كان لدراسة ابراهيم السامرائي في جامعة غربية هي السوربون ، فضل الاطلاع على هذين المنهجين وسواهما من مناهج البحث اللغوي الحديثة التي تعد من ثمار الدرس اللغوي الغربي في هذا العصر . وكان لمعرفته باللغات السامية أثر كبير أيضا في ميله الى تبني المناهج الحديثة ، ودراسة العربية في ضوئها .

لقد أدرك السامرائي أن المنهج التاريخي يستطيع أن يفسر لنا كثيراً من الظواهر اللغوية التي ظل بعضها غامضاً على اللغويين العرب ، وأما بعضها الآخر فقد وصلوا في تفسيره الى آراء ليست مقنعة . وأدرك السامرائي أيضاً أن حاجة دراسة العربية الى المنهج المقارن أمسّ واكثر إلحاحاً ، اذ كان يرى أن دراسة أي لغة في إطار ذاتها ، أو بمعزل عن أفراد فصيلتها ، يورث تلك الدراسة قصوراً ، ويقعد بها عن الوصول الى التفسير العلمي لكثير من ظواهرها . ولذا كان السامرائيّ دائم الحث للغويين العرب المعاصرين على الافادة من هذين المنهجين ، ولا سيما المنهج المقارن ، اذ قال : ((ولفهم العربية الفهم الصحيح ، وحل كثير من غامضها ، ينبغي أن يستفيد هذا الحل من المقارنات بغيرها من اللغات التي تكون مع العربية مجموعة أو أسوة ، لها صفاتها المعينة التي تميزها عن (كذا) غيرها من المجاميع اللغوية))[٥] . وقال أيضا : ((ولعلنا نفيد فائدة عظيمة في فهم العربية اذا اتبعنا هذا الطريقة المقارنة التاريخية ، وذلك بدراستها بالنظر الى غيرها من اللغات التي تضمها المجموعة السامية للغات ، وبهذه الطريقة نستطيع فهم كثير مما استغلق على علماء العربية الأوائل ، وما وقعوا فيه من أوهام . أقول الأوائل لأن لغتنا ما زالت تدرس على المنهج الذي

---

[٥] دراسات في اللغة (د . ابراهيم السامرائي) : ١٥٨ ، بغداد ١٩٦١ .

سنه هؤلاء العلماء من لغويين ونحاة ، ومازلنا نعوّل عليهم في دراستنا الحديثة))[٦] .

وكان ابراهيم السامرائي يعد معرفة اللغوي العربي المعاصر باللغات السامية شرطاً مهما في ثقافته ، وأداة لا يستغني عنها لفهم العربية ، ومعرفة كثير من الظواهر التي أعزتها ، وسجلتها كتب النحو واللغة . قال : ((ومن أجل هذا فالعلم بالساميات وسيلة مفيدة لفهم العربية ، ولا يمكن فهم الصفات التي تميز العربية عن (كذا) غيرها من اللغات ، إلا بالرجوع الى تلك اللغات التي تتصل بالعربية اتصال النسب))[٧] .

لقد كان ابراهيم السامرائي إذن من أوائل اللغويين العرب المعاصرين الذين أفادوا من مناهج البحث اللغوي الحديث ، ودرسوا العربية في ضوئها ، فوصلوا من دراساتهم الى آراء ناضجة ، صححت بعض أوهام القدماء ، وحلت كثيراً مما كان مستغلقا من ظواهر العربية في الأصوات والمفردات والتراكيب .

فالذي يطلّع على كتابه (دراسات في اللغة) الذي صدر عام ١٩١٦ ، يجد أنه كتاب رائد في هذا المضمار ، وأنه حافل بكثير من المعالجات العلمية القائمة على أساس المنهجين التاريخي والمقارن . ولابد لي من الاشارة هنا الى أن اهتمام السامرائي بالمنهج التاريخي جعله من أوائل اللغويين العرب الذين نبهوا على ما طرأ على العربية في هذا العصر من ظواهر ، كان سببها مواجهة الحضارة الحديثة ، والاحتكاك باللغات الأجنبية ، فخص جانبا من دراساته بنتائج رصده مسيرة العربية في هذا العصر ، والتنبيه على ما جدّ فيها من الفاظ

---

(٦) نفسه : ١٦٠ .

(٧) نفسه .

وتراكيب ، اعتمدت في ابتداع بعضها على وسائلها الذاتية في النمــو ، واعتمدت في الوصول الى بعضها الآخر على وسائل من خارج ذاتــه ، قوامها النقل والترجمة والتعريب .

وصفوة القول أنه كان لعناية ابراهيم السامرائي فـــي دراســاته اللغوية بالمنهجين التاريخي والمقارن فضل كبير على العربيـــة ، وقــد تجلى هذا الفضل في ثلاثة اتجاهات : الأول تصحيح أوهام الدارســين القدماء في تفسير بعض الظواهر اللغوية التي لم تحسن مصادرنا اللغوية والنحوية معالجتها ، ولم تصل بشأنها الى الرأي العلمي السديد . والثاني رصد حركة العربية المعاصرة ، ومراقبة ما طرأ عليها ، أوجدّ فيــها بفضل وسائلها الذاتية في النمو حيناً ، وبفضل استعانتها باللغات الأخرى حيناً آخر ، اذ لم تحجم عن أن تقترض من غيرها ما يسد فيها نقصــاً ، أو يلبي لها حاجة جديدة . والثالث تتبع ما عرض للمفــردات العربيــة خلال الزمن من تغير في المبنى والمعنى ، وذلك من خـــلال معجميــن كبيرين سجل فيهما طائفة كبيرة من المفردات التي استعملها المتنبي فــي شعره ، وطائفة اخرى من المفردات التي استعملها الجاحظ في نــثره . فقد تابع أصول هذه المفردات ، والمعاني التي استعملت فيها أول مـرة ، وما آلت اليه في شعر المتنبي ونثر الجاحظ ، وما انتهت إليه في العصر الحديث .

(٢)

بعض تطبيقات المنهجين عند السامرائيّ

سأحاول في هذا المقال الموجز أن ابيّن بعض ما قدره السامرائيّ من آراء في بعض مسائل اللغة ، اعتماداً على المنهجين التاريخي والمقارن .

لقد عالج ابراهيم السامرائيّ ظاهرة التثنية في العربية ، ووجد أنها من الظواهر اللغوية التي ينبغي الوقوف عندها ، والاستعانة على تفسيرها بالمنهجين المقارن والتاريخي ، وقد فعل السامرائي ذلك منذ وقت مبكر من النصف الثاني من القرن المنصرم .

فحين نظر السامرائي في كتب النحو واللغة ، لم يجد فيها من موضوع التثنية الا الشيء اليسير ، الذي لا يكشف عن حقيقة هذه الظاهرة ، ولا يوصل منه الى رأي علميّ قيمّ .

وبعد أن بحث السامرائي ظاهرة التثنية في العربية بحثا مقارناً ، قرر أنها ((ظاهرة لغوية وجدت من اللغات السامية واللغة اليونانية والسنكريتية ، ولها آثار في اللغات الجرمانية))[٨]. بل انه ذهب الى أن هذه الظاهرة عربية قبل أن تكون سامية.[٩]

فكلمة (اثنان) من حيث هي اسم لعدد ، واسم لأحد أيام الأسبوع ، من الكلمات السامية المشتركة ثم أشار السامرائي الى أن لهذه الكلمة مفرداً تخلى عنه الاستعمال هو (ثن) ، وهو كما ترى

---

[٨] دراسات في اللغة : ٦١ .

[٩] نفسه .

ثنائي ، وربما استعين على نطقه بألف الوصل ليكون على ثلاثة أحرف ، وحمل عليه لفظ المؤنث فقيل (ثنتان) . ويبدو أن العربية استغنت بالواحد والأحد عن (ثن) او (اثن)[١٠] .

وذهب السامرائيّ الى أن هذه اللفظة في العبرية (شنا يم) للمذكر ، و (شتايم) للمؤنث ، وفي الأكدية (شين) للمذكر و (شتين) للمؤنث ، وفي الحبشية (سنوي) و (سانيت) ، أما في الآرامية فيكون اللفظ (ترين) للمذكر و (ترتين) للمؤنث .[١١]

وتابع السامرائي منهجه المقارن في بحث ظاهرة التثنية في العربية ، فقال إن هذه الظاهرة لم تبرز البروز الواضح إلا في العربية، فقد زالت تماماً من اللغة السريانية ، ولم يبق منها إلا خمس كلمات منها العدد (ترين) و (ترتين) وهما اثنان واثنتان اللذان صارا يوضعان قبل الاسم المراد تثنية فيقال مثلاً tremmam أي (رجلان) .[١٢]

ومما بقيت فيه التثنية في اللغات السامية أعضاء الجسم المزدوجة كما في (يدان) و (رجلان) ، وهناك في العبرية مثلا كلمات دلت على الجمع وجاءت على صيغة المثنى كما في (شمايم) : سماوات ، و(مايم) مياه ، وفيها كلمات دلت على المفرد وهي بصيغة المثنى كما في (صهورايم) أي الظهيرة [١٣].

ومعنى ما تقدم أن العربية من بين أخواتها الساميات قد احتفظت بالتثنية منذ أقدم عصورها حتى الآن .

---

(١٠) نفسه : ٦٢

(١١) نفسه : ٦٢ ، ٦٣ .

(١٢) نفسه : ٦٤ .

(١٣) نفسه : ٦٥ .

وبعد أن عالج السامرائي ظاهرة التثنية في ضوء المنهج المقارن عاد ليعالجها في ضوء المنهج التاريخي ، فرأى أن المثنى لم يكن ثابت القواعد في العصور التي سبقت نزول القرآن الكريم ، وفي عصر نزوله ((فهناك تردد وترجحٌ في صيغة المثنى نفسه وفي صيغة الفعل الذي اسند اليه))[١٤]. فمن الآيات التي طابق فيها الفعل المثنى الذي سبقه قوله تعالى : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا)) (آل عمران ١٣) ، وقوله تعالى (فارتدا على آثارها قصصا) (الكهف : ٦٤) . ومن الآيات التي حزمت فيها المطابقة بين الفعل والمثنى الذي سبقه قوله تعالى : (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفع أبويه وخروا له سُجَّدا) (يوسف : ١٠٠) . ففي هذه الآية عقب على المثنى بالفعل (خروا) وهو مسند الى الجمع ، ولم تأت الآية (وخراً) على التثنية ، ولأن الفعل مسند لضمير الجمع جاءت الحال جمعاً (سُجّدا) . وقوله تعالى : (وكلتا الجنتين آتت أكلها) (الكهف ٣٣) لم تحصل فيه المطابقة ، إلا أن النحويين يتأولون (كلا) و (كلتا) مفرد وقد حمل على اللفظ ، والحمل على اللفظ اكثر وأصح .[١٥]

ومن الآيات التي لم تحصل فيها المطابقة قوله تعالى : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) (الحج : ١٩) فقد أسند الفعل الى ضمير الجمع ولم يسند الى ضمير الاثنين ، ومثل ذلك قوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) (الحجرات : ٩) أي ان المطابقة غير حاصلة فقد أسند الفعل الى ضمير الجمع المذكر ولكن الضمير في الظرف هو ضمير المثنى .

---

[١٤] دراسات في اللغة : ٦٥ .

[١٥] نفسه : ٦٦ .

وقد خلص ابراهيم السامرائي بعد أن عرض النصوص السابقة وغيرها ((الى أن العربية القديمة حتى زمن القرآن وما بعد ذلك بقليل لم تكن تراعي المثنى من حيث ما يسمى في نظام تأليف الجمل Syntex وعدم المراعاة ربما جاءت من أن المثنى داخل في حيز الجمع ، وبذلك عومل في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم كما ظهر من عرضنا للآيات ، غير أن العربية الفصيحة قد حافظت على المثنى في الفترة التي تبعت الفترة الاسلامية .

وحين تقدم النثر العربي ، ونشأ ما اصطلح عليه النقاد المحدثون بالنثر الفني ومن اجل ذلك قلّ أن نجد هذا التردد في الاساليب الكلامية في هذه الفترة بين التثنية والجمع))[١٦] .

وحاول السامرائي بعد ذلك أن يفسر المراب المثنى بالألف والنون في حالة الرفع وبالياء والنون في حالتي النصب والجر فاستعان على ذلك بالمنهج التاريخي ، فذهب الى أن بعض القبائل استعملت المثنى بصورة الالف في جميع حالات اعرابه ، وان قبائل اخرى التزمت الياء في جميع حالات الاعراب أيضاً ، ولعل الصورة الأخرى ــ كما يرى السامرائي ــ مما عرفته اللغات السامية في بعض ما أثر فيها من كلمات مثناة ، جاءت بالياء والميم أو الياء والنون .[١٧]

وقال السامرائي بعد ذلك : ((ثم لما أن درجت العربية في طريقها التطوري ، وآن لها أن تنسجم في لغة هي لغة القرآن والحديث ، اختص الاستعمال المثنى بالألف لحال الرفع والمثنى بالياء لحال النصب والجر)).[١٨]

---

[١٦] دراسات في اللغة : ٦٨.

[١٧] نفسه : ٧٠ .

[١٨] نفسه : ٧٢.

ولا نريد أن نناقش السامرائي في رأيه هذا ، فالهدف من هذا البحث مجرد عرض آرائه التي انتهى اليها نتيجة لاتباعه المنهج المقارن والمنهج التاريخي في معالجة بعض الظواهر اللغوية ، ومنها التثنية .

وحين عرض ابراهيم السامرائي لظاهرة (الجمع في العربية) قال : ((الجموع في العربية من المسائل الصعبة ، والاكتفاء في شرح وبسط (كذا) هذه المسألة بما جاء في كتب اللغة والنحو غير محقق للغرض العلمي الذي تصبوا اليه الدراسات اللغوية الحديثة ، ذلك أن وضع علوم اللغة العربية وتدوينها وصيرورتها على هذه الصورة من النضج ، لم يتيسر إلا في عصور متأخرة ،بالقياس الى تاريخها الطويل))[١٩].

ومعنى ذلك أن هذا الموضوع لا يفهم على حقيقته ما لم ينظر اليه في ضوء المنهج المقارن والتاريخي ، وهذا ما فعله السامرائي في بحث موضوع (الجمع في العربية) ، اذ قرر أن العربية تميزت بما يعرف بجمع التكسير ، وخلت من ذلك اللغات السامية الأخرى ، عدا الحبشية التي ورد فيها شئ من هذا الجمع ، ذلك لأن ((قرابة الحبشية من العربية واضحة جلية بحيث يميل بعض الباحثين الى اعتبار الحبشية فرعاً من العربية))[٢٠].

وقد ذهب السامرائي أيضا الى أن جموع التكسير تمثل مرحلة بدائية من مراحل العربية ، ودليل ذلك أن تذكير هذا الجمع وتأنيثه ظل أمراً غير ثابت حتى عصر القرآن ، فالفُلْك عومل معاملة المفرد حينا فقال تعالى (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) (الشعراء:١١٩) وعومل معاملة الجمع حينا آخر فقال تعالى : (وترى الفلك مواخر فيه)

---

(١٩) نفسه : ٧٦ .

(٢٠) دراسات في اللغة : ٧٨ .

(النحل : ١٤) ، ولذا قال اللغويون انها تقع على الواحد وعلى الجمع [٢١] .

والنخل عومل معاملة المذكر في قوله تعالى : (كأنهم أعجاز نخل منقعر) (القمر : ٢٠) ، وعومل معاملة المؤنث في قوله تعالى : (والنخل باسقان لها طلع نضيد) (ق : ٢٠) . وقد انتهى السامرائيّ بعد عرض أمثلته لبعض صيغ جمع التكسير في العربية الى القول : ((ان جموع التكسير في عصر النبوة لم تصل حد القواعد المقررة التي تتبع نظاماً مضبوطا))[٢٢] . والقول : ((ان هذه الصيغ ـ في عصر القرآن ـ لم تكن مقررة مبنية على قواعد ثابتة فهي سماعية تخضع لمألوف المتكلم في الاستعمال المحلي))[٢٣] .

وقد علل السامرائي تعدد صيغ الجمع للاسم الواحد في العربية باختلاف اللهجات ، فكلمة (أسَد) تجمع على (أُسْد) بضم واسكان ، أو (أُسُد) بضمتين فاذا اشبع الضم في بعض اللهجات نشأ جمع جديد هو (أُسُود) . ومن أثر اللهجات كذلك في نشوء صيغة جمع جديدة للمفردة كلمة (صحراء) التي تجمع على (صحارَى) بالألف ، وقد تنطق بعض القبائل هذا الجمع بامالة الألف فيه ، فينشأ عن ذلك جمع آخر هو (صحاري) بالياء . ومن ذلك كلمة (درهم) التي جمعت على (دراهم) واشبعت الكسرة في نطق قبيلة أخرى ، فأدى هذا النطق الى نشوء جمع آخر للمفردة هو (دراهيم) ، وقل مثل ذلك جمع (مُطْفِل) على (مطافِل) و (مطافيل)[٢٤] .

---

[٢١] نفسه : ٨١ وينظر مصدره .

[٢٢] نفسه : ٨٢ .

[٢٣] نفسه : ٨٣ .

[٢٤] نفسه : ٨٢ ، ٨٦ .

ونتيجة للنظر التاريخي في ظاهرة (الجمع في العربية) ذهب السامرائي الى أن جمع التصحيح للمؤنث والمذكر ((أحدث عهداً من جمع التكسير وذلك لأنه يشير الى أن اللغة بدأت مرحلة جديدة تخضع فيها للقواعد المقررة متخلصة من الشذوذ وتعدد الألسنة))[٢٥].

ولا يسلم ابراهيم السامرائي بما يقرره النحويون من أن جمع المؤنث السالم هو ما زيد في آخره ألف وتاء فيرى أن ((ملاك الأمر فيه يحصل من الزيادة في طول الكلمة أو قل من المقطع الذي يضاف بإشباع الفتحة كما في (فاطمة) فنقول (فاطمات) اذ ليس للتاء في (فاطمات) وظيفة في صيغة الجمع مطلقا (كذا) كما جاء في قوله تعالى : (كأنه جمالة صفر) (المرسلات : ٣٣) وقد قرئت (جمالات) ، ومثله قوله تعالى : (وألقوه في غيابة الجب) (يوسف : ١٠) وقد قرئت (غيابات)))[٢٦].

ويمضي ابراهيم السامرائي في نظره التاريخي لظاهره الجمع في العربية فيرى أن جمع التصحيح للمذكر اختص بالعاقل في مرحلة لاحقة من تاريخ نشأته ، وانه قبل ذلك ، أي في بدء نشأته كان يستعمل للعاقل وغيره ، ومن بقايا مرحلة استعماله لغير العاقل احتفظت العربية بالفاظ العقود التي صيغت على جمع المذكر السالم وبضع الفاظ أخرى عدها النحويون ملحقة بجمع المذكر السالم هي (أرضون) و (أهلون) و (عالمون) . وجاء فيه كلمات ذات أصول ثنائية مثل (بنون) و (مئون) و (سنون) و (عضون)[٢٧].

---

[٢٥] دراسات في اللغة : ٩١ .

[٢٦] نفسه . وينظر مصدره .

[٢٧] نفسه : ٩٢ .

ومن نتائج المنهج التاريخي الذي طبقه السامرائي على ظاهرة الجمع بحثه مجيء جمع تصحيح المذكر بالواو والنون مرة والياء والنون أخرى وكان النحاة قيدوا الصورة الأولى بالرفع وقيدوا الصورة الثانية بالنصب والجر . ويبدو أن السامرائي مال الى القول بان صورة الياء والنون اقدم من صورة الواو والنون ، لمجيئها في العبرية بصورة الياء والميم ، مثل (شراشيم) بمعنى الجذور والاصول التي تلفظ في العربية (جراثيم) .

ولكن العربية افترضت لها ـ على عادتها ـ مفرداً هي (جرثومة)، كما في الأسطورة والأساطير . ومما جاء في العبرية من جمع بصيغة الياء والميم كلمة (سرافيم) التي هي جمع (سرف) وهم ملائكة . وجاءت صورة الياء والنون في الارامية مثل (دارين) وهي جمع (دارا) بمعنى (الدار) و (عبرين) جمع (عبرا) وهو الساحل والمعبر ، و(عترين) ومعناه الثروات .[٢٨]

لما تقدم يرى السامرائي أن صيغة الواو والنون في جمع تصحيح المذكر قد نشأت في العربية في حقبة لاحقة ، وكان سبب ذلك ان بعض القبائل نطقت هذا الجمع بالصيغة الجديدة ، فنشأت صورتان لهذا الجمع ، بسبب اختلاف اللهجات ، ومن شواهد ذلك الاسم الموصول (الذين) . الذي تحول من لهجة هذيل الى (الذون) بالواو والنون في حالة الرفع ، ومن شواهد هذه اللهجة ما روته كتب اللغة من قول الشاعر :

نحن الذون صبحوا الصباحا   يوم النخيل غارة ملحاحا[٢٩]

---

[٢٨] دراسات في اللغة : ٩٢ ، ٩٥ .

[٢٩] نفسه : ٩٤ .

واستظهر السامرائي لرأيه هذا بقوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) (المائدة : ٦٦) فقال : ((ان من العرب من كان يلتزم الواو والنون في الجمع في جميع الأحوال كما التزمت (الذين) في كل الأحوال)) .[٣٠]

وهكذا وجدنا ابراهيم السامرائي يعالج ظاهرة الجمع بنوعيه (التكسير والتصحيح) في ضوء المنهجين المقارن والتاريخي فينتهي الى آراء قيمة وجديدة لم يعهدها البحث اللغوي القديم .

ومن نتائج تطبيقه المنهجي المقارن والتاريخي في دراساته اللغوية أنه نظر في عدد من مواد المعجم العربي في ضوء المنهج المقارن ، فوجد أن عدد من المفردات وضعت تحت جذور لا علاقة لها بتلك المفردات ، وما ذلك الا لعدم معرفة اللغويين ولا سيما اصحاب المعجمات منهم باللغات السامية . فكلمة (ترجم) مثلا جاءت تحت جذر (ر ج م) في حين أن (الترجمة جاءت من (ترجوم) ((وهذه تعني في العبرية الشروح والحواشي في أسفار العهد القديم باللغة الآرامية في القرن السادس قبل الميلاد وهو الوقت الذي حلت فيه الآرامية محل العبرية ، ونقلة الكلمة الى العربية فاكتسبت معنى النقل من لغة الى أخرى))[٣١]. وقال السامرائي أيضا عن كلمة (ترجم) : ((وبهذا فحشرها في مادة (رجم) العربية من باب الجهل بالأصول والسهولة المخلة ، ولو أن أصحاب المعجمات عرفوا اللغات السامية الأخرى لأفادوا ولوجدوا لهم مخرجا ، وقربوا بين الفعل الدخيل

---

[٣٠] نفسه .

[٣١] دراسات في اللغة : ١٦٢

وبين (كذا) مادة (رقم) التي تقرب منها في المعنى ، والتي تشير الى الكلمات المرقومة)) .[٣٢]

ومن نتائج نظر السامرائي في الموروث النحوي في ضوء النهج المقارن أنه ذهب الى ترجيح الرأي القائل إن أداة التعريف في العربية (الـ) هي الهمزة ، وليس الهمزة واللام وهو قول الخليل ، وليس اللام وحدها وهو قول سيبويه . واعتمد السامرائي في هذا الترجيح على أن أداة التعريف في العبرية هي الهاء ، ثم قال : ((ولنا أن نقول ربما حصل التعريف في الالف ويدلنا على ذلك ان اللام ل تنطق مع الحروف الشمسية ، وأن الهمزة تقترب من الاداة العبرية وهي الهاء . والهمزة والهاء سواء في العربية ف (أيا) و (هَيا) في النداء بمعنى ، وألا وهلا تخفيفاً وتشديداً كذلك))[٣٣] .

ومن نتائج نظر السامرائي في الموروث اللغوي في ضوء المنهج التاريخي تفسيره ما يسمى بلغة (الاستنطاء) عند تميم وقيس وأسد ومن جاورهم وهي لغة تقوم على ابدال (العين) في كلمة (أعطى) نوناً ، فقد قرر السامرائي أن أصل (أعطى) هو (أتّى) بتشديد التاء ، وفك الادغام في العربية وسواها من اللغات السامية يستدعي تعويض أحد الحرفين المتجانسين بالنون كثيراً وربما كان بحرف آخر كالياء والراء ، فيحصل من ذلك (أنتى) ثم تبدل التاء طاءاً فتصير (أنطى) [٣٤] .

وقد فسّر بعض الباحثين (الاستنطاء) في ضوء المنهج المقارن فرأوا أن الفعل (أعطى) في اللغات الجزرية بالنون ، فأعطى في

---

[٣٢] نفسه .

[٣٣] نفسه : ١٦٣.

[٣٤] نفسه : ٧٧ هـ (٨) .

العبرية (نتن) وفي السريانية (نتن) ويلفظ كالفعل العبري تقريباً . وفي العبرية الفعل (نطا) يستعمل في مثل قولهم (نطا يدو إلى) بمعنى : مدّيدة الى ، أي أخذ ، وهو المعنى المضاد لـ (أعطى) العربي ، والموافق لـ (عطا يعطو) أي أخذ وتناول . ومن هذا تبيّن لهؤلاء الباحثين أن النون أصلية في الفعل (أنطى) وهو الفعل الجزري القديم .(٣٥)

خاتمة

تلك هي لمحة من فكر إبراهيم السامرائي اللغويّ ، توخيت منها أن أشير الى تعويله في بحث العربية على المناهج الحديثة بوجه عام ، وعلى المنهجين التاريخي والمقارن بوجه خاص ، وأن طريقة بحثه هذه قد أعنت الدرس اللغوي الحديث بآراء علمية سديدة ، عُدت مظهراً من مظاهر تجديد الدراسة اللغوية ، وعُدّت كذلك إضافة الى البحث اللغويّ القديم ، وتصحيحا لبعض ما وقع فيه اللغويون العرب من أوهام ، أو ما جانبهم التوفيق فيه من تفسير الكثير من الظواهر اللغوية .

وما قدمت من أمثلة على تطبيق السامرائي للمنهجين التاريخي والمقارن في دراساته اللغوية ليس إلا شعاعاً من شمس ، أو صبابة من كأس ، ففي آثاره وكتبه المزيد الذي يمكن أن يجرد منه كتاب .

ولا يزال في فكر إبراهيم السامرائي اللغوي متسع لمزيد من الدراسات والبحوث التي تجلو قيمته العلمية ، وتنوّه بسبق صاحبه ، وأصالة آرائه في هذا الضرب من النشاط العلميّ في العصر الحديث .

---

(٣٥) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٨٢

في المنهج النقدي

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي
استاذ في جامعة بغداد

الملخص :

يتعرض البحث لمناهج النقد الأدبي التي سادت في القرن العشرين ، وتطبيقها على الأدب العربي . وقد أظهر بعضها روعة الأدب ، وأخفق بعضها الآخر في تجلية آفاقه .

انبثق من خلال متابعتي المستمرة للنقد القديم والحديث منهج لدراسة الأدب يقوم على الوقوف على جوانب النص كلها ، ودراستها دراسة متكاملة لتظهر روعته وجماله وتأثيره في النفوس .

ويتطلب هذا المنهج ناقداً مثقفاً ، ومتقناً علوم اللغة العربية وآدابها ، ومطلعاً على الثقافات الأجنبية . وفي ضوء ذلك يكون النقد نافعاً للمتلقين كما يتضح في مجالي هذا البحث : النظري والتطبيقي . .

(١)

كان النقد الأدبي في مطلع القرن العشرين يستمد أصوله من النقد العربي القديم ، وكانت علوم البلاغة الرافد الذي يستقي منه الادباء والنقاد أصول النقد . وهبت على العرب ريح النهضة الحديثة فاتصلوا بالثقافات الأجنبية ، وأخذوا يستفيدون مما شاع في الغرب ، وأخذت ملامح جديدة تظهر في النقد ، وتبرز مناهج نقدية منها : التأثيرية ، والتأريخية ، والنفسية ، والماركسية ، والبنيوية ، والبنيوية التكوينية ، والرمزية ، والأسطورية ، والوجودية ، والشكلانية والتكاملية ، وقد ذكر الدكتور عز الدين المناصرة ستة وعشرين منهجا نقديا .[١] ولكن أكثر المناهج شيوعا في أواخر القرن العشرين النقد الشكلاني ، والنقد الماركسي ، والنقد البنيوي ، وما بعد البنيوية كالظاهراتية ، والتفكيكية . وتراجع بعض هذه المناهج ، وأعاد تزفيتان تودوروف النظر في حركة النقد الجديد والموروث الشكلاني ناقدا ومشككا ومقوّما ، واضعا ما أسماه (النقد الحواري).[٢]

وكانت البنيوية أكثر المناهج سيطرة على الدراسات النقدية على الرغم من أنها لا تعالج النص من جميع نواحيه الصوتية والتركيبية والدلالية ، ولا تنظر في صلته بالمبدع ، وأثر البيئة ، وما يسعى اليه الأديب . وقد وجهت الى البنيوية ستة اعتراضات هي :

١ ــ أنّ البنيوية لم تعد شيئا يساير العصر ، وأنها ليست أحدث المدارس النقدية في الأدب ، وقد فات وقتها .

٢ ــ أن التحليل البنيوي للنص يشبه وضع جناح الفراشة تحت المجهر فَيُضيع النصُ الأدبي كلا من جماله وكماله .

---

(١) ينظر جمرة النص الشعري ص ٤٦٨ ، ٤٧١ .

(٢) ينظر تقديم كتاب الشعرية ص ٦ ، ونقد النقد ص ١٤٣ ــ ١٥٤ .

٣ ــ أن البنيوية تعالج الأعمال الأدبية كأنها مؤسسة كلها على النماذج البسيطة نفسها ، وبذلك يبدو العمل الجيد على المستوى نفسه كالعمل السيئ ، فأين جمال العمل الأدبي وفنيته ؟ وأين فرديته بين أشباهه ؟ .

٤ ــ أن من الواجب دراسة الأدب باستخدام مبادئ الأدب نفسه ، ويجب على النقد الأدبي أنْ يكون موضوعا مستقلا ــ لذلك تخطئ البنيوية بأخذها أساليبَ من مجالات أُخرى كاالالسُنية التي هي بالتالي غير ملائمة للأدب .

٥ ــ أن البنيوية تعزل العمل الأدبي عن بيئته الكاملة ، أي عن تراثه الأدبي ، وحياة مؤلفه ، والمجتمع الذي أُلّف فيه ، والمنعكس في العمل نفسه .

٦ ــ أن تطبيق البنيوية على النصوص التراثية يمثل مفارقة تأريخية ، فضلا عن أنها تكون من حضارة أخرى [٣] .

ويتحفظ الماركسيون في قبول البنيوية ، وسمّى روجيه جارودي[٤] أحد كتبه (البنيوية فلسفة موت الانسان) ، ووقف جان بول سارترموقفا معاديا وقال : إنّ ليفي شتراوس يدرس الانسان كما يدرس عالمُ الكائنات الحية دنيا النمل ، وما البنيوية ((إلاّ خديعة قامت بها البرجوازية ، ومحاولة لاستبدال الرؤية الماركسية في التطور بنظام داخلي مغلق حيث يسود القانون على حساب الغير))[٥] .

---

[٣] ينظر بناء النص التراثي ص ١٤ ــ ١٨ .

[٤] كان أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم اسلم وسمى نفسه (رجاء جارودي) وهو الان زميلي في المجمع الملكي (مؤسسة آل البيت للفكر الاسلامي) في الأردن .

[٥] تنظر البنيوية في الأدب ص ٨١ ، ونظرية البنائية في النقد الأدبي ص ٢١٥ .

(٢)

كان طوافي في هذه المناهج طويلا ، وقد اتضح لي منهج في النقد هو حصيلة متابعة النقد العربي القديم والحديث ، والنقد الأجنبي المعاصر، ومما دعاني الى الجهرية ما يسود النقد الأدبي اليوم من شتات وابتعاد عن روح النص ، وإهمال قيمة الجمالية والمعنوية والفكرية والانسانية .

ولا بدّ للناقد قبل أن يخوض في النقد من :

أولا : تعمق في علوم اللغة العربية وآدابها القديمة والحديثة ، وثقافة عامة ، ومتابعة لما يظهر من دراسات أدبية ونقدية وفكرية عربية وعالمية ، وإلمام بالفنون المختلفة ولا سيما التشكيلية التي تربطها بالأدب أكثر من رابطة فكرية وفنية .

ثانيا : الذوق المهذّب ، والحس المرهف ليدرك الناقد ما في النص من عروق نابضة بالحياة ، ومعالجته بشفافية ، ونزعة فنية ، وروح أدبية ، لكي لا يصبح النقد معادلات جبرية ، ورسوما هندسية ، وخطوطا بيانية.

ثالثا : الموضوعية التي لا تجعل الناقد يميل كلّ الميل الى مَنْ يهوى فيظهر محاسنه وحدها ، ولا يتعصب على من يقلو فينكر فضله ، ويطمس محاسنه ، وإنما يزن بالقسطاط المستقيم ، ويعطي كل ذي حق حقه ، مفسرا ، ومحللا ، وكاشفا عن خصائص النص ، ومظهرا ما فيه من تفرد وإبداع ، أو تقليد واتباع .

رابعا : اختيار النصوص التي تستحق الدراسة ، إذ كثرت النصوص الرديئة في الدراسات الأدبية والنقدية ، لأن أصحابها أصحاب النقاد ، أو تربطهما فكرة واحدة ، أو اتجاه سياسي معين . إن النصوص الرديئة لا تستحق بذل الجهد وإضاعة الوقت فيما لا يجدي ، إلا إذا أُريد بها

المقارنة بينها وبين النصوص الجيدة ، وإظهار الفرق بين الجيد والردئ ، إذ أن ((الضد يُظهر حُسْنَه الضدُّ)) وأن ((بضدها تتبين الأشياء)) كما قال أبو الطيب المتنبي .

خامسا : قراءة النص قراءة نقدية واعية ، والنظر فيه نظرة عميقة ، وإعادة قراءته للوقوف على ما يرمي اليه المبدع . ولا يراد بإعادة القراءة (تعدد القراءات) أي قراءة النص مئات المرات ، وفي كل قراءة يبدو معنى جديد مزية جديدة ، وهذا نوع من العبث لأن المبدع لابدَّ من أنه يقصد معنى معينا ، ويسعى الى هدف ، وإلاّ كان كلامه هذرا ليس فيه معنى ولا يستحق النظر فيه ، إذ أن الفن متعة ومنفعة فإن انتفتا فقد شرعيته .

إن إعادة قراءة النص والنظر فيه تفتح مغاليقه ، وتوضح معانيه، لأن النظرة الأولى حمقاء ، كما يقول عبد القاهر الجرجاني وأن ((معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل))[٦] . أي أن النقد ليس نظرة عابرة في النص ، أو كلاما مجملا ، وإنما هو إعمال الروية والفكر والتأمل فيه ، والوقوف على مكمن إبداعه . يقول عبد القاهر : ((إنك لا تشفي العلة ، ولا تنتهي الى ثلج اليقين حتى تتجاوز حدَّ العلم بالشيء مجملا الى العلم به مفصلا ، وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه والتغلغل في مكامنه ، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه الى أن يعرف منبته ، ومجرى عروق الشجر الذي هو منه))[٧] . وهذا بعض ما يُشترط في الناقد ، أما المنهج النقدي الذي دعوت اليه فيتمثل في :

---

[٦] أسرار البلاغة ص ١٤٣ .

[٧] دلائل الإعجاز ص ٢٦٠ .

(٣)

أولا : دراسة ما حول النص على أنْ لا تنقطـــع الصلـــة بيـــن داخلـــه وخارجه ، والوقوف على العصر الذي كُتب فيـــه ، ومعرفـــةُ أحوالـــه السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، وسماته وما ساد فيه من ثقافـــة وتيارات فكرية وأدبية ، والتعمق في دراسة ســـيرة المبـــدع ، ومنـــابع ثقافته ، وليس صحيحـــا مـــا دعـــا اليـــه رولان بـــارت فـــي مقالـــة ((موت المؤلف)) من أنَّ ((ميلاد القارئ يجب أنْ يكون على حســـاب موت المؤلف))[٨] .

لقد أدَّى إهمال هذه الجوانب الى نقد لا يمس جوهر النص ، ولا يكشف عن معناه ومغزاه ، وقد أدى هـــذا ـ أيضـــا ـ الـــى تفســـير النصوص تفسيرا غير صحيح ، بل يثير السخرية من الناقد وما يقول .

ثانيا : العودة الى البلاغة العربية ومقاييسها التي تُفصح عن النـــص ، وتلقي الضوء عليه . وقد بدأ البلاغيون الجدد بتحليل مستويات التغييـــر على عدة محاور هي :

التغيير اللفظي ، والتغيير التركيبي ، والتغيير الدلالي[٩]. وأشار ســـتيفن أولمان الى هذه المستويات ، وقال : ((وإذا سلَّمنا بأن ثمـــة مســـتويات ثلاثة : التحليل اللغوي والمعجمي والتركيبي ، فيكون على علم الأسلوب أن يميز بين هذه المستويات الثلاثة نفسها))[١٠] .

وهذه هي البلاغة العربية : الفصاحة ، والمعـــاني ، والبيـــان ، والبديع ، وهي ما لا يستغنى عنه ، قال بيريلمان : ((لا يوجد أدب بـــلا

---

[٨] عصر البيوية من ليفي شتراوس الى فوكو ص ٢٨٥ .

[٩] ينظر بلاغة الخطاب ص ٤٩ ، ومدخل الى مناهج النقد الأدبي ص ٢٢٠ .

[١٠] اتجاهات البحث الأسلوبي ص ٩٦ ، الألسنية والنقد الأدبي ص ٨ ـ ٩ ، ٢١ .

بلاغة))[11] ويريد به فن التعبير ، وذهب جيزيل فالانسي الى ان علم البلاغة أصبح نظرية في الأدب ، أي أصبح شعرية .[12]

وكان هذا دور البلاغة في النقد العربي القديم ، إذ هي وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن الكريم ، وتعليم فن القول ، ونقد الأدب ، واختيار النصوص .[13]

ثالثا : الكشف عن جوانب النص المختلفة كالوقوف على لغته وأسلوبه ، ومعناه وهدفه ، وأصالته وتقليده ، لأن النقد سَبْرُ أغوار النص ، وليس مسّ بنيته فقط .

رابعا : عدم الفصل بين الشكل والمضمون ، لأنهما وجهان للنص لا يوجد أحدهما دون الآخر ، وهذا ما أكده النقاد العرب ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني الذي أرسى (نظرية النظم) التي كشفت عن العلاقة بين اللفظ والمعنى وتوحدهما .

خامسا : التحليل الدقيق للنص من خلال أصول اللغة العربية ، وتبيان خصائصه الأسلوبية .

سادسا : موازنته بالنصوص الأخرى لتتضح مزيته وقيمته ، ومدى انتفاعه بها فيما سمي (أخذا) في القديم و (تناصا) في الحديث .

سابعا : النظر في النص نظرة تكاملية ، وعدم تجزئته ، ليأخذ أشكالا هندسية وبيانية يحار المتلقي في فهمها .

ثامنا : الحكم على النص ، وتحديد موقعه بين النصوص لتتضح خصائصه ، وتظهر براعة المبدع .

---

[11] بلاغة الخطاب ص ٨٠ .

[12] مدخل الى مناهج النقد الأدبي ص ٢٣٢ .

[13] تنظر مقدمة كتاب الصناعتين ص ١ ــ ٣ ففيها إيضاح لأهداف البلاغة عند العرب .

هذا هو المنهج الذي دعوت اليه[١٤] ، ولا أزال اؤمن بــه لأنــه يعطي النص قيمة كبيرة ، ويعرض ما فيه من جمال وإبداع ، ويشــير الى أهدافه ، لأن الأدب ليس كلاما من غير معنى وهــدف ، وبعـض المناهج النقدية لا تحقق ذلك كالأسلوبية التي اتخذها الدكتور عبد السلام المسدي منهجا في تحليل (الهمزية النبوية) لأحمد شوقي ، إذ اســتعمل المعادلات الرياضية ، والمصطلحات البعيدة عن نقد الشعر ، وانتهى الى القول : ((لقد رأينا كيف انبتت قصيدة (ولد الــهدى) علــى نمـوذج أسلوبي مداره ظاهرة التظافر ، تحققت فــي المفـاصل والمضـامين ، وأجريت في القنوات الأدائية ، ثم تشكلت في البناء التركيبي فجاء النص نسيجا لحمته الائتلاف وسداه الاختلاف ، فلا التكثيــف بمغـضٍ الــى الإشباع ، ولا الاطراد ببالغ حد الرتابة ، فاذا بالتظافر صورة للتعدد في صلب الوحدة ، وإذا به مفتاح تتكشف به إبداعية الشــعر فــي إحـدى اللوحات الروائع التي خطتها ريشة أمير الشعر . ومَنْ شــاء التوسـل بالتشكيل الصوري تراءت له (ولد الهدى) هرما واجهاته الأربع هي : المفاصل والمداليل والقنوات والبنى النحوية ، وهو زجــاجي المــادة ، بلوري التركيب ، يدور على (رَكح)[١٥]محــوره البنــاء الشــعري ، يخترقه فيجمع قمته الى مركز قاعدته ، فمن أي الواجهات نظرت بـدت لك البلورات متعاكسة الإشعاع ، فإذا أدرت الهرم على قطبــه الرأســي تبدلت إنكسارات الأشعة ، وتحولت صور البلورات عند انعكاسها علــى سطح الواجهات . أما مركز ثقله فهو نقطة الكثافة المولدة للأشعة توليـد

---

(١٤) ينظر آفاق النقد الادبي العربي في القرن الحادي والعشرين (مجلة المجمــع العلمي ــ المجلد السابع والاربعون ــ الجزء الثاني (١٤٢ هــ ــ ٢٠٠٠ م).

(١٥) الركح : القطب ، والأساس .

التضافر للطاقة الإبداعية عند تمازج المكونات)) .[١٦] وختم دراسته بقوله : ((أفكنت ترى (ولد الهدى) لو لم يكن بعض السحر من الحلال ؟)) .

هذا لون من التحليل الأسلوبي لا يحقق هدفا ، ولا يظهر قيمة النص ، وإنما هو قدرة إنشائية انطلق فيها الباحث من تصوره لمنهج يريد فرضه على الدراسات النقدية ، وإن كانت دراسة النص من الداخل مفيدة ، غير أن تحليل قصيدة (ولد الهدى) بهذه الطريقة أفقدها قيمتها وتأثيرها في المتلقي ، وجعلها أسيرة فرضيات قسرية ، ومصطلحات متشابكة (المفاصل ـ المضامين ـ القنوات ـ التداخل ـ التضافر) ومعادلات رياضية لا يحتملها النص ، وفي ذلك قضاء على روح القصيدة التي تعد من أجمل الشعر الغنائي في العصر الحديث .

(٤)

ان المنهج الذي دعوت اليه لابدَّ من أن يُشير الى المناسبة التي قيلت القصيدة فيها ، والى شخصية مبدعها ، وأول ما يتبادر الذهن عند تحليل قصيدة (الهمزية النبوية) عقيدة أحمد شوقي الذي كان إسلامي النزعة ، حاملا هموم المسلمين ، وداعيا الى نهضتهم وإعادة مجدهم التليد ، وبناء حاضرهم الطريف .

لقد كان ـ رحمه الله ـ يتابع الاحداث الإسلامية والعربية ، وينظم القصائد في مدح الرسول محمد (ﷺ) وفي (دول العرب وعظماء الاسلام) ويشارك العرب والمسلمين في أفراحهم وأتراحهم ، وهذه قضايا يجب أن لا تغيب عن الناقد قبل البدء بقراءة النص ،

---

[١٦] النقد والحداثة ص ١٠١ .

تفسيره ، وتحليله ، لان غيابها يفضي به الى مسارب لا يحتملها ، وان كانت تعجب بعض المبدعين .

كانت قصيدة (الهمزية النبوية) خفقة من خفقات قلب أحمد شوقي المؤمن بالله ونبيه ورسالة الإسلام ، ولذلك جاءت معبرة عن مشاعره الصادقة وأحاسيس المسلمين ، فضلا عن تعبيرها عن واقع شخصية الرسول (ﷺ) ومعجزة القرآن الكريم ، وحال المسلمين حينما نزل الوحي ، وحين مرت القرون والاسلام يعم مشارق الأرض ومغاربها .

إن عرض القصيدة في ضوء ما دعوت اليه قد يكون أقرب الى روحها ومعناها ومغزاها ، ولا يعني ذلك أن تحليلها بهذه الصورة خير من تحليل غيري على وفق المنهج الذي ارتضيته ، لا منهج الدكتور عبد السلام المسدي وغيره من الذين لا ينظرون في القصيدة نظرة متكاملة ، ويعجبهم زخرف القول .

(٥)

قصيدة احمد شوقي الهمزية في مائة وواحد وثلاثين بيتا ، وهي من الكامل ، والكامل من البحور الصافية ، وبناؤه على ((متفاعلن)) ست مرات :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن   متفاعلن متفاعلن متفاعلن

هذا هو الأساس ، وقد تحدث فيه بعض التغيرات التي تخفف من ايقاعه ، وقصيدة شوقي لاتخرج عن هذا ، فمطلعها

ولد الهدى فالكائنات ضياء   وفم الزمان تبسم وثناء

وتقطيعه :

ولد لهدى / فلكائنا / تضياء   وفمز زما / نتبسسمن / وثناء

متفاعلن / متفاعلن / فعلاتن   متفاعلن / متفاعلن / فعلاتن

وهذا التلون في أبيات القصيدة يكسر حدة الايقاع فيها :

وقد أشار حازم القرطاجني الى أن مجال الشاعر في الكامل أفسح من غيره ،[17] ولذا كثر استعماله في الشعر ، وقد أقام عليه شوقي مائة وخمس عشرة قصيدة من ثلثمائة وسبعين[18] ، وذكر الدكتور عبد الله الطيب المجذوب أنه ((بحر كأنما خُلِقَ للتغنّي المحض ، سواء أُريدَ به جد ، أم هَزَل ، ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لايمكن فصله عنها بحال من الأحوال))[19] .

(٦)

تبدأ القصيدة بعبارة ((وُلِدَ الهُدَى))[20] وهي نداء الى البشرية جمعاء تخبر العالمين بمولود جديد ، وكان حسان بن ثابت قد قال : ((والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أغفل كل ما سمِعْتُ ، إذ سَمِعْتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب : ((يا معشر يهود)) ، حتى إذا اجتمعوا اليه قالوا له : ويلك مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلِدَ فيه))[21]. وهو ما بشر به المسيح ـ عليه السلام ـ إذ قال : ((يابني إسرائيلَ ، إني رسولُ اللهِ اليكم مُصَدِّقًا لما بين يَدَيَّ من التوارة ، ومُبَشِّراً برسولٍ يأتي من بَعْدي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فلما جاءهم بالبياناتِ قالوا : هذا سِحْرٌ مُبين))[22].

---

[17] ينظر منهاج البلغاء ص ٢٦٨ .

[18] ينظر خصائص الاسلوب في الشوقيات ص ٢١ ، ٣١ .

[19] المرشد الى فهم أشعار العرب ج ١ ص ٢٦٤ .

[20] تنظر الشوقيات ج ١ ص ٢١ .

[21] السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٥٩ .

[22] سورة الصف ، الآية ٦ .

قال أحمد شوقي : ((وُلِدَ الهُدَى)) فهل أراد النور الذي يمحو الدجى ، ويخرج الناس من الظلمات الى النور ؟ هذا وارد ، إذ أسند الشاعر الولادة الى (الهدى) إسناديا مجازيا ، وأراد النبي محمدا (ﷺ) وهو الهدى الذي أرسله الله ــ سبحانه وتعالى ــ الى البشرية جمعاء .

ويتوقف النداء قليلا ليسترجع السامع نَفَسَهُ وقد ذهل لهذا النداء الذي هز نفسه ، ويفتح عينيه ليرى الضياءَ وقد عمّ الكائنات ، ويشهد ما لم يشهده من قبل إذ يفترُّ ثغر الزمان عن بسمة وثناء فرحا بمولد النبي العظيم . وجاءت عبارة ((وفم الزمان تبسم وثناء)) للدلالة على خلود الرسالة الجديدة التي بُشّر بها عند مولد صاحبها الكريم .

ثم ماذا بعد هذا ؟ كل شيء فَرِحٌ طرب :

الروحُ والمـلأُ الملائِـك حَولَه   للدين والدنيا بـه بُشَـراءُ
والعرشُ يزهو والحظيرةُ تَزْدهي   والمنتهى والسِّدْرَةَ العَصماءُ
وحديقةُ الفُرقان ضاحكةُ الربى   بالتَّرجمـان شَذيّـةٌ غَنَّـاءُ
والوحْيُ يقطُر سلسَلاً عن سَلْسَلٍ   والروح والقلـمُ البديعُ رواءُ
نُظمِتْ أسامي الرسْل فهي صحيفة   في اللوح واسْمُ محمدٍ طُغَراءُ
اسْمُ الجلالـةِ في بديـعِ حروفـهِ   أَلِفٌ هنالِكَ واسْمُ طه البـاءُ

كلُّ شيءٍ فَرِحٌ مسرور بمولد طه ، العرش والحظيرة والمنتهى والسدرة وحديقة الفرقان ، والوحي يقطر سلسلا من سلسل ، واللوح والقلم رواء ، واسم الله ــ جل جلاله ــ واسم نبيه نظما كما ينتظم الألف والباء ، فاسم الله ألف ، واسم طه الباء ، وفي هذا الكلام تكريم لنبي الاسلام وخاتم النبيين .

كانت هذه اللوحة معزوفة موسيقية مَهَّدَ الشاعر بها للقصيدة ، وهي تُوحي بما سيأتي بعدها ، فاسم محمد طغراء ، وباء ، وليس

أوضح من هذا فيما سيقول الشاعر . وهذا بخلاف ما بدأ بــه قصيــدة ((نهج البردة))[٢٣] إذ اتبع محمد بن سعيد البوصيري (ــ ٦٩٧ هــ) في قصيدة ((البردة)) التي أولها :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلــة بــدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمه وأومض البرق في الظلماء من إضم
يا لائمي في الهوى العذري معذرة منــي اليك ولو أنصفــت لم تلــم

لقد بدأ البوصيري بردته بالغزل وهو مــا فعلــه أصحــاب البديعيــات ــ أيضا ــ وما كان لشوقي أن يخرج عما رسمه البوصيري فقال :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجــم
لما رنا حدثتني النفــس قائلــة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي
جحدتها وكتمت السهم في كبدي جرح الأحبة عندي غير ذي ألــم
رزقت أسمح مافي الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر في الشيم
يا لائمي في هواه والهــوى قــدر لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلــم
لقــد أنلتك أذنــا غــير واعيــة ورب منتصت والقلب في صمــم
يا ناعس الطرف لاذقت الهوى أبدا
أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم

وبعد اثنين واربعين بيتا قال :

لزمت باب أمير المؤمنــين ومــن يمسك بمفتاح باب الله يغتــنم
فكل فضل واحسان واحسان وعارفة ما بين مستلم منــه وملتــزم
علقت من مدحه حبــلا أعــز به في يوم لا عز بالانساب واللحم

---

[٢٣] تنظر في الشوقيات ج ١ ص ٢٤٠ .

يُزْرِي قَرِيضي زُهيراً حين أمدحه ... ولا يُقاس الى جُودي نَدَى هَرِمِ
محمدٌ صَفْوةُ البـاري ورحمـتُه ... وبُغيةُ اللهِ من خَلْقٍ ومن نَسَمِ

وهنا ظهر أنَّ القصيدة في مدح الرسول (ﷺ) ولم يتجـه هـذا الاتجاه لولا أنَّ ((نهج البردة)) معارضة لبردة البوصيري في حيـن أنَّ الهمزية كانت انطلاقة جديدة ، ولذلك يلتحم بها المتلقي منـذ أول عبـارة ((وُلِد الهدى)) ويعرِف أنها في مولد الرسول الأعظم . ويأخذ بـالكلام على النبي المختار ، فهو صفوة الباري ورحمته ، وصاحب الحـوض ، ونبي الهدى ويستمر في عرض صفاتـه ، ومعجـزة القـرآن وبلاغتـه وفصاحته ، ويتحدث عن البشرى التي عمت الكون يوم مولده :

سَرَتْ بشائرُ بالهادي ومولدهِ ... في الشَّرقِ والغَرْب مَسْرى النور في الظُّلَمِ

إنَّ اللوحة الأولى من الهمزية كانت حديثا عن أمر وقع في حيـن كـانت عشرات الأبيات في ((نهج البردة)) غزلا وحكمة . وبعد هذه اللوحـة أو العزف الموسيقي الرائع ينتقل الشاعر في الهمزية من أسلوب الغائب الـى أسلوب المخاطب على سبيل الالتفات ، ليعبر عن معنـى جديـد ، هـو الحديث عن معجزات ولادته ــ عليه السلام ــ :

يا خيرَ مَنْ جاءَ الوجودَ تحيةً ... من مُرْسَلينَ الى الهدى بكَ جاءوا

مَنْ هؤلاء ؟ إنهم الأحناف أبناء ابراهيمَ ــ عليه السلام ــ :

بيتُ النبيينَ الـذي لا يلتقي ... إلاّ الحنائـفُ فيـه والحُنفـاءُ
خيرُ الأبوة حازَهم لـك آدَمُ ... دونَ الأنام وأحْـرزتْ حَـوّاءُ

وكأن أحمد شوقي يشير الى الحقيقة المحمدية التي وُجـدت منـذ الأزل ، ولما خلق اللهُ آدمَ ــ عليه السلام ــ من تراب حلَّت فيـه تلـك الحقيقيـة

المحمدية ، ثم بدأت تتنقل الى أن وصلت الى آخر الأنبياء محمد (ﷺ)[٢٤] ..

ويستمر الشاعر في هذه السبيل متحدثا عن صفات النبي غير مقتضب[٢٥]، لانتقاله من المقطع الأول الى المقطع الجديد انتقالا سلسا ، ولذلك كان الانتقال الى اللوحة الثالثة يسيرا ، فمعجزات ولادة محمد تُفضي الى الكلام على خصاله وصفاته الشريفة ، فهو في المهد يُستَسقَى المطر برجائه ، وهو الصادق الأمين ، الجميل الجواد ، العفو الرحيم ، وهو الخطيب الذي تهتز لخطبته المنابر , ويستمر الشاعر في سرد صفاته – عليه أفضل الصلاة والسلام – مما ذكرته كتب التأريخ والسيرة النبوية ، وفي هذا المقطع ينتقل من الغائب الى المخاطب :

زَانتك في الخُلقُ العظيم شمائلٌ ... يُغرَى بهنَّ ويُولَعُ الكرماءُ
أما الجَمالُ فأنت شمسُ سمائهِ ... وملاحةُ الصِّدِّيق منك أياءُ

ويعد صفاته في أربعة عشر بيتا التزم فيها التركيب الواحد من حيث الشرط والجواب ، مستعملا أداة الشرط (إذا) في أول كل بيت ، ومُنَوِّعا في جواب الشرط ، ويتجلى ذلك في :

أولا : الفعل الماضي من غير فاء رابطة ، وهو قوله :

وإذا سخوتَ بلغت بالجودِ المدى ... وفعلْتَ ما لاتفعل الأَنْواءُ

وقوله :

وإذا ملكتَ النفسَ قُمتَ ببرِها ... ولو انَّ ما ملكتْ يداك الشَّاءُ

وقوله :

---

(٢٤) ينظر العارف عبد الغني النابلسي ص ٢٥٣ وما بعدها .

(٢٥) الاقتضاب هو الانتقال من كلام الى آخر من غير أن تكون بينهما رابطة جلية ، وهو بخلاف حسن الانتقال (ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص ١٦٥ .

وإذا أصبحت رأى الوفاءَ مجسَّما في بُرْدِكَ الأصحاب والخُلَطاءُ

ثانيا : الفعل المضارع المنفي في قوله :

وإذا حَميتَ الماءَ لم يُوردْ ولو أنَّ القياصرَ والملوكَ ظِماءُ

ثالثا : الحال المقترن بالفاء في قوله :

وإذا عَفوتَ فقادِرا ومُقَدَّر لا يستهينُ بعفوِك الجُهَلاءُ

رابعا : الجملة المرتبطة بالفاء في قوله :

وإذا رَحمْتَ فأنت أمٌّ أو أبُ هذانِ في الدنيا هما الرُّحَماءُ

وقوله :

وإذا غَضِبْتَ فانما هي غَضْبَةٌ في الحقِّ لا ضِغْنٌ ولا بَغْضاءُ

وقوله :

وأذا رضيتَ فذاك في مرضاته ورضى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ

وقوله :

وإذا خَطَبْتَ فللمنابِر هِزَّةٌ تعرو النَّديَّ وللقلوبِ بُكاءُ

وقوله :

وإذا أجرتَ فأنت بيتُ اللهِ لم يَدْخلْ عليه المستجيرَ عِداءُ

وقوله :

وإذا بنيتَ فخيرُ زَوُجٍ عِشْرَةِ وإذا ابتنيتَ فدونَكَ الآباء

وقوله :

وإذا أخذت العهدَ أو أعطيته فجميعُ عهدِك ذِمَّةٌ ووَفاءُ

وقوله :

وإذا مَشيتَ الى العِدا فَغَضَنْفَرٌ وإذا جَرَيْتَ فإنَّك النَّكْباءُ

خامسا : لا النافية المرتبطة بالفاء في قوله :

وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ كأنما جاءَ الخصومَ من السماءِ قَضاءُ

وهذا التلوين في جواب الشرط اقتضته المعاني المختلفة التي عَبَّر عنها الشاعر وهو يكرر أداة الشرط (إذا) . ولم يكن تكرارها عجزا منه أو ضرورة ، وإنما هي تأكيد صفاتِ نبي الله بأسلوب الخطاب ، ولو استغنى عنها لغيَّر أسلوبه وجاء بأسلوب الغائب الذي يَدُلُّ على وقوع الحادثة لا الحضور ، في حين أنَّ الالتفات من الغائب الى المخاطب يُبْرز المشهد ويضعه أمام المتلقي لينظر اليه حاضرا متجسدا . وقد أدرك البلاغيون سِرَّ هذا التغيير ، فقال ضياء الدين بن الأثير: ((الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب))[٢٦] ، ومثل هذا يقال عن الانتقال من المخاطب الى الغائب .

والنبي محمد (ﷺ) مُرْسَلٌ الى البشرية كافةً ، ومعجزته القرآن الكريم ، وهو النبي الأميّ الذي بعثه الله في الأميين رسولا :

يا أيُّها الأميُّ حَسْبُكَ رُتْبَةً ... في العِلْم أنْ دانَتْ بكَ العُلَماءُ
الذِّكرُ آيةُ ربك لكبرى التي ... فيها لباغي المعجزاتِ عناءُ
صَدْرُ البيان له إذا التقتِ اللُّغَى ... وتقدَّمَ البُلَغاءُ والفصحاءُ
نُسِجَتْ به التوراةُ وهي وَضيئةٌ ... وتخلَّفَ الإنجيلُ وهو ذُكاءُ

إنه كتاب الله الخالد :

أتت الدهورُ على سُلافته ولم ... تَفْنَ السُّلافُ ولا سَلا النُّدَماءُ

وينتقل الشاعر من الغائب ليخاطب الرسول ــ عليه السلام ــ

بكَ يا ابنَ عبد الله قامتْ سَمْحَةٌ ... بالحق من مِلَلِ الهُدَى غَرَّاءُ
بُنيتْ على التوحيد وهي حقيقةٌ ... نادَى بها سقراطُ والقدماءُ

لقد دعا ــ عليه السلام ــ الى الدين الجديد فلبَّى دعوته العقلاءُ من الناس ، وأصمَّ عنها الجهلاء آذانهم ، ولكن دعوته أخذت طريقها ، ورسم بعده حكومة للعباد :

---

[٢٦] المثل السائر ج ٢ ص ٥ .

فَرَسَمْتَ بَعْدَك للعبادِ حكومـــةً   لا سُوقةٌ فيهــا ولا أُمـــراءُ

وكان الدين يُسْرا ، والخلافة بيعةً ، والحكم شورى ، وهنا خطر في ذهن الشاعر المذهبُ الجديد وهو الاشتراكية الفابية والاشتراكية الماركسية ، فاندفع يقول :

الاشتراكيون أَنْتَ إمامُهـــم   لولا دَعاوَى القومِ والغُلَواءُ

وعاد الى الإسراء من مكة الى بيت المقدس ، وهو ما أكده القرآن الكريم: ((سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلا من المسجدِ الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركْنا حَوْلَه لِنُرِيَهُ من آياتنا ، إنّه هو السَميعُ البصير))[٢٧] :

يا أيُّها المُسْرى به شَرفا الــى   ما لاتنال الشمسُ والجَــوْزاءُ

يَتساءَلون وأنتَ أطْهَرُ هيكــلٍ   بالروح أم بالهيكلِ الإسْــراءُ

بهما سَمَوْتَ مُطَهرين كلاهمــا   نُـــورٌ ورَوْحانيَّـــةٌ وبَهـــاءُ

وما كان للرسالة المحمدية أن تنتصر لولا الجهاد الذي كُتبَ على المسلمين، ولولا أن قاد الجيوش بنفسه :

الخيلُ تأبى غيرَ أحمدَ حاميــا   وبها إذا ذُكر اسْمُـــهُ خُيــلاءُ

كم من غَزاة للرسولِ كريمـــةٍ   فيها رِضىً للحق أو إعـــلاءُ

كانت لجنــدِ الله فيهـــا شِــدَّةً   في إثْرِها للعالميــنَ رَخــاءُ

ضربوا الضَّلالةَ ضَرْبَةً ذهبتْ بها   فعلى الجهالةِ والضَلالِ عَفاءُ

دَعموا على الحرب السلامَ وطالما   حَضَّتْ دماءً في الزمان دِماءُ

وما أن تشرف القصيدةُ على الانتهاء حتى يتوسل أحمد شوقي بالرسول الأعظم ، مُسْتَنجِدا به ، وشاكيا ما حاق بالبشرية من ظلم :

يا مَنْ له عِزُّ الشفاعةِ وَحْــدَهُ   وهو المنزَّه ما لـــه شُفَعـــاءُ

ثم يقول :

---

[٢٧] سورة الإسراء ، الآية ١ .

ما جئتَ بابَكَ مادِحاً بــل داعيــا ومن المديح تَضرُّعٌ ودُعاءُ
أدعوك عن قومي الضعاف لأزْمةٍ في مِثْلها يُلقى عليك رجاءُ

والشاعر في خاتمة الهمزية لم يخرج عن بردة البوصيري الذي قال :

يا أكرمَ الخَلْق مالي مَنْ ألوذُ بهِ سواك عند حلولِ الحادثِ العَمَمِ
ولن يضيقَ رسولَ الله جاهُكَ بي إذا الكريمُ تحلَّى باسْـمِ مُنتقـمِ
فانَّ من جودِك الدنيا وضرَّتها ومن علومِك عِلْم الغيب والعلَمِ

وخاطب نفسه ودعا الله فقال :

يا نفس لا تقنطي من زلَّةٍ عَظُمَتْ إن الكبائرَ فــي الغُفْــران كاللَّمَــمِ
لعلَّ رحمةَ ربي حين يَقْسِمُهـــا تأتي على حَسَبِ العِصْيان في القَسَمِ
ياربِّ واجْعلْ رجائي غيرَ منعكسٍ لديك واجْعَلْ حِسابي غير مُنْخَــرِمِ

وهذا ما ختم به شوقي ((نهج البردة)) حيث قال :

ياربِّ صلِّ وسلِّم ما أردتَ على نزيلِ عرشك خيرِ الرسْـل كلهــمِ
فالطفْ لأجْلِ رسولِ العالمينَ بنا ولا تَزِدْ فوقــه خَسْفــا ولا تَسُــمِ
ياربِّ أحسنتَ بَدْءَ المسلمينَ به فتمِمِ الفضلَ وامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَتَــمِ

(٧)

لقد التحمت أجزاء القصيدة الهمزية ، وما كان لها أنْ تتحد لــولا قدرة أحمد شوقي على التعبير ، وتدفق شاعريته التي لا تترك فراغا بيـن بيت وبيت ، ومقطع ومقطع . ومما جعل القصيدة ملتحمـــة الأجـزاء أنَّ سيرة الرسول ــ عليه أفضل الصلاة والسلام ــ ماثلـــة أمـام الشـاعر وراسخة في قلبه ، فضلا عن تعمقه في التأريخ الاسلامي ، وتشبعه بالدين الحنيف .

كان الشاعر ينتقل على وفق ما يقتضيه الموقف والمعنـــى مــن أسلوب الى أسلوب ، ومن الجمل الاسمية الى الجمل الفعلية ، ومن الجمل

الخيرية الى الجمل الإنشائية ، ولم يخرج في تعبيره عن الأسلوب العربي القويم ، فكان يقدم ويؤخر ، ومن ذلك :

واستقبلَ الرضوان في غُرفاتهم   بجنانِ عَدْنٍ آلُــكَ السُّمحـــاءُ

حيث قَدَّم المفعول به (الرضوانَ) وأخرَّ الفاعل (آلُكَ) .

وقد يحذف المبتدأ لتقدم الإشارة اليه كما في قوله :

مُتَفككِون فما تضمُّ نفوسُهم   ثقة ولا جَمَع القلوبَ صَفــاءُ

أي : (هم مُتفككون) وهذا كثير في الشعر العربي ، ويريد بـــهم القــوم الذين ذكرهم قي قوله :

واستقبلَ الرضوانَ في غُرفاتهِم   بجنانِ عَدْنٍ آلكَ السُّمحـــاءُ

حيث قَدَّم المفعول به (الرضوانَ) وأخَّر الفاعل (آلُكَ) .

وقد يحذف المبتدأ لتقدم الإشارة اليه كما في قوله :

مُتَفككِونَ فما تضمُّ نفوسهُم   ثقـــةَ ولا جَمَـــعَ صَفَـــاءُ

أي : (هم متفككون) وهذا كثير في الشعر العربي ، ويريد بــهم القــوم الذين ذكرهم في قوله :

أدعوكَ عن قَومي الضِّعافِ لأزمةٍ   في مِثلِها يُلْقَى عليك رَجاءُ

وحذف المبتدأ في البيتين :

رَقدوا وغَرَّهُمُ نعيمٌ باطـــلٌ   ونعيمُ قومٍ في القيود بـــلاءُ

ظلموا شريعتك التي نلنا بها   ما لم يَنَلْ في رُومةَ الفُقهاءُ

لأنهما قد أشير اليهما في (قومي) أي (هم رقدوا) و (هم ظلموا)

وقد يأتي بالجمل الاعتراضية للإيضاح :

يتساءلون ــ وأنت أطهرُ هيكلٍ ــ   بالروحِ أَمْ بالهيكلِ الإسراءُ ؟

فجملة ((وأنت أطهرُ هيكل)) الاعتراضية ليست حشوا ، وانما هي تعبير عن صفة من صفات رسول الله وهي الطهارة والنقاء .

واستعمل أسلوب النداء بصور مختلفة ، فينادي النبي الأكرم بقوله:

يا خيرِ مَنْ جاءَ الوجودَ تحيةً　　من مُرْسَلِينَ الى الهُدَى بك جاءوا

لأنّ وجوده ـ عليه السلام ـ قائم في نفس الشاعر ونفس كل مؤمن ، ويعود الى النداء بالأسلوب نفسه ، فيقول :

يامَنْ له الأخلاقُ ما تَهوَى العُلا　　منها وما يَتَعَشّقُ الكُبراءُ

ويقول بالأسلوب نفسه :

يامَنْ له عِزُّ الشفاعةِ وَحْدَهُ　　وهو المَنَزه ماله شُفَعاءُ

ويقول بالأسلوب نفسه :

يا مَنْ له عِزُّ الشفاعةِ وَحدَهُ　　وهو المَنَزه ما لـه شُفَعَاءُ

ويخاطبه بأسلوب آخر فيقول :

يا أيها الأميُّ حَسْبُكَ رُتْبَةً　　في العِلْمِ أنْ دانَتْ بك العُلَمَاءُ

ويقول :

يا أيُّها المُسْرَى به شَرَفَا الى　　ما لاتَنالُ الشمسُ والجَوزاءُ

ويُناديه بالاسم ، فيقول :

بك يا ابنَ عبدِ اللهِ قامتْ سَمْحَةٌ　　بالحقِّ من مِلَلِ الهُدى غرَّاءُ

وكلُّ هذه الصيغ خرجت عن معنى النداء الحقيقي الى تعظيم الرسول الكريم ، وجاءت تأدبا وإجلالا له ـ عليه السلام ـ .

وجاءت صيغة الاستفهام في القصيدة بالأداة (هل) للتقرير :

هل كانَ حَوْلَ محمدٍ من قَوْمِهِ　　إلاّ صَبيٌّ واحِدٌ ونِساءٌ

وجاء الاستفهام بالهمزة لهذا الغرض في قوله :

تَروي وتَسقي الصالحينَ ثوابهم　　والصالحات ذخائرٌ وجزاءُ

ألمثل هذا ذُقتَ في الدنيا الطوى　　وانشقَّ من خَلَقٍ عليك رِداءُ

ويصبح الاستفهام إنكارا ونفيا في قوله :

أنت الذي نظمَ البرية دينــهُ ماذا يقولُ وينظمُ الشُعَــراءُ

وفي هذا إنكار لكل قول بعد نزول القرآن الكريم ونفي له . وقــد يكــون قوله :

أدَرَى رسولُ الله أنَّ نفوسَهم رَكِبَتْ هَواها والقلوبُ هَواءُ

نفيا ، لأنَّ رسول الله لم يطلع على حال المسلمين بعد أنْ تفككوا ورقدوا ، وظلموا الشريعة الغراء التي نال بها المسلمون أعظم ما نالوا في الوجود.

واعتمد الشاعر على التّصنوير ، ومن ذلك التشبيه في قوله :

وإذا مشيتَ الى العِدا فَغَضنَنْفَرٌ وإذا جَرَيْتَ فإنّك النَّكْبــاءُ

إذ شبهه ــ عليه السلام ــ بالأسد في بأسه ، وبالريح الشديدة في قوتــه ، وهذا تشبيه مؤكد إذ حذفَ أداة التشبيه وأبقى المشبه وهو الرسول (ﷺ) والمشبه به الأسد والريح النكباء ، ووجه الشبه محذوف ، وهو في الشطر الأول الشجاعة ، وفي الشطر الثاني القوة والبأس .

ومثله قوله :

أمّا الجَمال فأنت شمسُ ضيائه ومَلاحةُ الصِّدّيق منك أيــاءُ

وقد يأتي بالتشبيه مرسلا فيذكر الأداة كما في قوله :

والرأيُ لم يُنْضَ المهندُ دُونَه كالسّيفِ لم تَضربْ بَه الآراءُ

وقوله :

وجَدَ الزعُافَ من السموم لأَجْلها كالشُهْدِ ثم تتابــع الشُهــداء

فالأداة هي الكاف ، وقد دخلت على المشبه به ، أما الأداة (كأن) فتدخــل على المشبه ، كما في قول أحمد شوقي :

أمسى كأنك من جلالــكِ أمُــةٌ وكأنــه من إنســةِ بَيــداءُ

وعكس التشبيه فقال :

واذا رَجَمْتَ فأنــت أمٌ أو أَبٌ هذانِ في الدنيا هُما الرُحماءُ

وكان لأسلوب المجاز حضور في الهمزية ، وقد تجلى منذ مطلع القصيدة ذلك في ((ولد الهدى)) ، و ((غم الزمان)) ، و ((العرش يزهو)) ، و ((الحظيرة تزدهي)) ، و ((حديقة الفرقان ضاحكة)) و ((الوحي يقطر سلسلا)) .

لقد اكتسبت هذه العبارات صورا جديدة ، فالهوى يولد كما يولد الكائن الحيّ ، وقد يراد به مولد الرسول ــ عليه السلام ــ ولم تسند الولادة اليه وانما الى (الهدى) على سبيل المجاز . وجعل الشاعر للزمان فما يبتسم ويُثني على مولد النبي العظيم ، وفي ذلك إشارة الى خلود الرسالة الاسلامية ، وكلا (العرش) ، و (الحظيرة) يزدهي ، والإزدهاء من صفات الأشياء الحية ولكن الشاعر أسنده اليهما ، وكيف لا يزدهيان وقد ((ولدى الهدى)) .

وأسندَ الشاعر (الضحك) الى (الحديقة) ، وهي ضاحكة كما قال البحتري :

أتاك الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحِكا من الحُسْنِ حتى كادَ أنْ يتكلما

ولكن حديقةَ الفرقان ازدادت إشراقا بمولد النبي العظيم . وكان الوحي ينزل برخاء سلْسَلا عن سلْسلٍ ، وفي ذلك وَصَف له بالعذوبة والصفاء .

وتتوالى الى الصور المجازية ، ومن ذلك قول الشاعر :

يَوْمٌ يتيهِ على الزّمانِ صباحُه ومساؤه بمحمدٍ وضّاءُ

ذُعِرَتْ عروشُ الظالمينَ وزلزِلتْ وَعَلَتْ على تيجانهم أصْداءُ

والنارُ خاويَةُ الجوانب حَوْلهم خَمَدَتْ ذوائبُها وغاضَ الماءُ

أنَّ اليومَ لا يتيه على الزمان بصباحه ، ولكنه تعبير عن الفرحة التي عمَّت الكون بمولد محمد ، فاذا بمساء ذلك اليوم بمحمد وضاء . والعروش لا تذعر وانما يذعر أصحابها من الملوك والرؤساء ، وهي لا تُزلزل وإنما زَلْزَلَها مولدُ الرسول ــ عليه السلام ــ وليس للنار ذوائب

ولكنّ الشاعر استعملها على المجاز للهب النار الذي حينما يشب يتـــوزع فكأنه ذوائب .

والمنابر لا تهتز ، ولكنَّ عظمة خُطَب الرسول تجعلها تهتز :

وإذا خَطَبْتَ فللمنابـِـرِ هِــزَّةٌ تعرو الندِيَّ وللقلوب بُكـــاءُ

والضَّلالة من المدركات العقلية ، ولكنَّ الشاعر شخَّصها ، وجعلها شخصا يُضرب :

ضَرَبوا الضَّلالةَ ضَرْبَةً ذهبت بها فعلى الجهالةِ والضَّلال عَفاءُ

ومثل (الضّلالة) الشِّرك لا يُدرك إلاّ عن طريق المعقول ، ولكن الشاعر جعل له بيتا فقال :

نَسفوا بِناءَ الشِّركِ فهو خرائِــبٌ واستأصلوا الأصنامَ فهي هَباءُ

لقد فعل ذلك جُنْدَ الله الذين صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه ، وكانت لــــهم ــ فضلا عن شجاعتهم وإيمانهم ــ هيبة بحيث تغضي الأرض منهم :

يَمشونَ تُغضي الأرضُ منهم هَيْبَةً وبهم حيالَ نعيمها إغضـــاءُ

حتى إذا فُتِحــت لهــم أطرافهــا لم يطغهم تَرَفٌ ولا نَعْمــاءُ

ما أكرم هذه الصورة لجند الله الذين تُغضي الأرضَ مهابة لهم وتبجيلا .

وماذا كان بعد أنْ توطدت أركان الإســــلام ؟ لقــد انبثـق فجــر الحضارة وسرَتْ في العالمين هدى :

مَشَتِ الحضارةُ في سَناها واهتدى في الدين والدنيا بها السُّعداءُ

وكَنَّى عن قصائده في النبي العظيم بالعرائس :

لي في مديحك يا رسول عرائِسٌ تُيمْنَ فيكَ وشاقَهــنَّ جَــلاءُ

هُنَّ الحِسان فإنْ قَبِلْتَ تكرمــوا فمهورُهُنَّ شَفاعــةٌ حَسْنـــاءُ

وقد تكون (العرائس) استعارة تصريحية ، أي أن قصائد احمد شـــوقي كالعرائس ، ومثل ذلك الكناية عن الشريعة بالسمحة :

بك يا ابنَ عبدِ الله قامَتْ سَمْحَةٌ   بالحقِّ من مِلَلِ الهُدى غرّاءُ

ولا تخلو الهمزية مما أدخله البلاغيون في علم البديع ، ومن ذلك الجناس في البيت :

وَجَدَ الزُّعافَ من السُّموم لأجْلها   كالشُّهد ثم تتابَعَ الشُّهداءُ

ففي (الشّهد) و (الشهداء) جناس ناقص ، ومثل ذلك (الداء) و(الدواء) في البيت :

داء الجراعةِ من ارسطا ليسَ لم   يُوصَفْ له حتى أتيتَ دَواءُ

والبيت :

داويتَ مُتَئِدا وداووا طَفْرَةً   وأخَفُّ من بَعْضِ الدَّواء الداءُ

وقد يكون (الدواء) و (الداء) من الاضداد .

ومن الجناس قول الشاعر :

الخيلُ تأبَى غيرَ أحمدَ حامِيا   وبها اذا ذُكرَ اسمُهَا الخُيَلاء

وفي القصيدة طباق أو تضاد ، ومن ذلك قول أحمد شوقي :

فرسَمْتَ بعدك للعِبادِ حكومةً   لا سُوقةٌ فيها ولا أُمَراءُ

فطابق بين (سُوقة) و (أُمراء).

وقوله :

اللهُ فَوقَ الخلْق فيها وحْدَهُ   والناسُ تحت لوائِها أكْفاءُ

ففي (فوق) و (تحت) تضاد .

وقوله :

جاءت فَوَحَّدَتِ الزكاةُ سبيلَه   حتى التقى الكرماءُ والبخُلاءُ

فكلمة (الكرماء) ضد كلمة (البخلاء) .

وقوله :

أنصفت أهْلَ الفَقْر من أهل الغِنى   فالكلُّ في حَقِّ الحياةِ سَواءُ

فكلمة (الفَقْر) بخلاف كلمة (الغنى) .

وقوله :

إنَّ الشجاعةِ في الرجال غَلاظةٌ ما لم تَزِنْها رأفةٌ وسَخـاءُ

فكلمة (الغلاظة) بخلاف (الرأفة) .

وقوله :

والحربُ يَبعثها القويُّ تجبرا وينوءُ تحت بلائِها الضُّعَفاءُ

ففي البيت كلمتا (القويّ) و (الضعفاء) ـ جمع الضعيف ، وهما متخالفتان .

وقوله :

كانت لجندِ الله فيها شِـدَّةٌ في إثْرِها للعالمينَ رَخـاءُ

فكلمة (الشدة) تطابق (الرخاء) .

وقوله :

دَعموا على الحربِ السّلامَ وطالما حَقَنَتْ دماءً في الزمانِ دِماءُ

فكلمتا (الحرب) و (السلام) متضادتان .

وفي هذا التضاد والتقابل إبراز المعنى بصورة جليـة ، إذ أنَّ ((الضد يظهر حسنه الضد)) .

(٨)

هذه الصورة التركيبية والمجازية واضحة الدلالة ليس فيها لَبْسٌ أو غموض ، لأنَّ كان يُخاطب عامة الناس ، ولذلك كانت (الهمزيةُ) قريبةً الى الجمهور حين غُنيت[٢٨]، ولا يزال متذوقة الشعر ومحبوه يطربون لسماعها ، ويرددون كثيرا من أبياتها ، ويرجع الى قراءتها المؤمنون ليستروحوا في ظِلالها ، ويتأملوا في معانيها وما فيها من نفحات إيمانية ، وأقباس نورانية .

---

[٢٨] غنتها أم كلثوم في منتصف الاربعينيات بمقام الرست

لقد أبدع أحمد شوقي في (الهمزية) كما أبدع في (نهج البردة) وقصائده الإسلامية الأخرى . ولعل النظر فيها من خلال المنـــهج الــذي ارتضيته لنفسي يظهر روعتها ، ويبرز قيمتها بعد أن تحدث عنها الدكتور عبد السلام المسدي متخذا من الأسلوبية منهجا أفقدها رونقها وجمالـــها ، وأضاع معانيها وتأثيرها ، وما النقد إلا الكشف عن العمل الفني ، وتقديمه للمتلقين بأجمل أسلوب ، وأدق عبارةٍ ، وأوضح بيان ، وليـس الخـوض فيما لا يُغني كثيرا .

المصادر

١ ــ اتجاهات البحث الأسلوبي ــ اختارها وترجمها الدكتور شكري عياد ــ الرياض ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

٢ ــ أسرار البلاغة ــ عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق هـ . ريتر استانبول١٩٥٤ م .

٣ ــ الألسنة والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ــ الدكتور موريس أبو ناضر ــ بيروت ١٩٧٩ م .

٤ ــ بلاغة الخطاب وعلم النص ــ الدكتور صلاح فضل (عالم المعرفة ١٦٤) ــ الكويت ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢ م .

٥ ــ بناء النص التراثي ــ الدكتورة فدوى مالطي دوجلاس ــ بغداد ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

٦ ــ البنيوية في الأدب ــ روبرت شولز ــ ترجمة حنا عبود ــ دمشق ١٩٨٤ م .

٧ ــ جمرة النص الشعري ــ الدكتور عز الدين المناصرة ــ عمان ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

٨ ــ خصائص الاسلوب في الشوقيات ــ محمد الهادي الطرابلسي ــ تونس ١٩٨١ م .

٩ ــ دلائل الإعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق محمد محمود شاكر ــ القاهرة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

١٠ــ السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ــ الطبقة الثانية ــ القاهرة ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٥ م .

١١ــ الشعرية ــ تزفيتان تودوروف ــ ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ــ الدار البيضاء ــ المغرب .

١٢ــ الشوقيات ــ أحمد شوقي . القاهرة .

١٣ــ العارف عبد الغني النابلسي ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بيروت ١٤٢٥ هــ ٢٠٠٤ م .

١٤ ــ عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو ــ أديث كيرزويل ــ ترجمة الدكتور جابر عصفور ــ بغداد ١٩٨٥ م .

١٥ــ كتاب الصناعتين ــ أبو هلال العسكري ــ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١ هــ ١٩٥٢ م .

١٦ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ــ ضياء الدين بن الأثير ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨ هــ ــ ١٩٣٩ م .

١٧ــ مجلة المجمع العلمي ــ بحث الدكتور أحمد مطلوب (آفاق النقد الأدبي العربي في القرن الحادي والعشرين) ــ المجلد (٤٧) ــ الجزء الثاني سنة ١٤٢١ هــ ــ ٢٠٠٠ م .

١٨ــ مدخل الى مناهج النقد الأدبي ــ ترجمة الدكتور رضوان ظاظا ، ومراجعة الدكتور المنصف الشنوفي (عالم المعرفة ٢٢١) الكويت ١٤١٧ هــ ــ ١٩٩٧ م .

١٩ــ المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ــ الدكتور عبد الله الطيب المجذوب القاهرة ١٣٧٤ هــ ــ ١٩٥٥ م .

٢٠ــ معجم مصطلحات البلاغة وتطورها (الطبعة الثانية) ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بيروت ١٩٩٦ م .

٢١ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ــ حازم القرطاجني . تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ــ تونس ١٩٦٦ م .

٢٢ــ نظرية البنائية في النقد الأدبي ــ الدكتور صلاح فضل . القــاهرة ١٩٧٨ م .

٢٣ــ نقد النقد ــ تزفيتان تودوروف ــ ترجمة سامي ســويدان . بغــداد ١٤٠٦ هــ ــ ١٩٨٦ م .

٢٤ــ النقد والحداثة ــ الدكتور عبد السلام المسدي ــ بيروت ١٩٨٣ م .

نظرة تحليلية وتأريخية للحكم الصالح

إعداد الدكتور مسارع حسن الراوي
عضو المجمع العلمي واستاذ في جامعة بغداد

((السلطة مفسدة والسلطة المطلقة مفسدة إطلاقاً))

نهـرو

مقدمـــة :

ان ظاهرة الصالح كمثيلاتها من الظواهر العامة سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية ليس من اليسير والسهل تحديد مفهومها وتعريف كنهها وماهيتها . وقد أتجه الفكر البشري منذ القدم في تعرف مفهوم هذه الظواهر بتحليل مكوناتها او تحديد سماتها بوضع معايير تحكم وجودها.

أما معنى المصطلح لغوياً فنرى الكثير من القواميس والمعاجم العربية ان الصلاح والصالح والصلاحة اشتقاقات من فعل صلَحَ ، وصلَح ضد فسد وزال عنه الفساد بعد وقوعه . والصالح ضد الفاسد . والصلاح سلوك طريق الهدى واستقامة الحال بما يدعو اليه العقل والشرع .

ولغرض هذه الدراسة في تحليل ظاهرة الحكم الصالح ، تطلب الأمر وضع معايير نستخرج مؤشراتها من مكونات العوامل المهيئة للحكم الصالح التي هي من صنع الانسان وأفكاره ، كما قال تعالى : " وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرى بظُلمٍ وَأَهلُهَا مُصلِحُونَ" (هـود : ١١٧) . " إن الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَىَ يُغيروا مَا بِأنْفُسِهِمْ " (الرعد : ١١) "وَما ظَلَمونَا ولَكِنْ كانُوا أنفُسَهُمْ يَظلِمُونَ" (البقرة : ٥٧)." ظَهَر الفَسَادُ في البَرِ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيدي النَاسِ ليذيقهم بَعضَ الذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " (الروم : ٤١) .

في ضوء هذه المقدمة ستكون بنية الدراسة على النحو الآتي :

اولاً : العوامل المهيئة للحكم الصالح .

١ ـ الانسان والنظرة الى الطبيعة البشرية .

٢ ـ المجتمع وطبيعة النظام الاجتماعي .

٣ ـ السلطة ونظام الحكم .

ثانياً : معايير الحكم الصالح .

١ ـ معايير ديمقراطية الفرد .

٢ ـ معايير ديمقراطية المجتمع .

٣ ـ معايير ديمقراطية السلطة .

اولاً : العوامل المهيئة للحكم الصالح .

الحكم سواء أكان صالحاً ام فاسداً ، هو من صنع الانسان " ليبلوكم ايكم أحسن عملاً " .(٦٧ : ٢) وهناك عوامل كثيرة تحدد الحكم ونوعيته ـ تؤثر فيه وتتأثر به ـ وسنقتصر في دراستنا على عوامل ثلاثة مؤثرة ومهيئة للحكم الصالح ، هي الآتي :

١ ـ الانسان والنظرة الى الطبيعة البشرية.

الانسان كائن متكامل البنية ، متكون من أجزاء ثلاثة تعمل معاً الجسم والعقل والنفس . والجسم في الانسان هو ذلك الكيان المادي المؤلف من أجهزة متعددة تعمل كلاً متكاملاً وعلى نحو شمولي متناسق . وتتألف الأجهزة من الأعضاء والغدد وملايين الخلايا .

والعقل هو أعظم قوة تميز به الانسان من سائر المخلوقات . إنه السر الخفي المتحكم في الجسم صاحب القرارات وسيد المواقف . ومهمة العقل التفكير تلك العملية المعقدة الصعبة التي تحفظ للانسان

توازنه . والتفكير كما يعرفه " ادوارد دي بونو[1] " المفكر الفرنسي في كتابه تعريف التفكير : هو التقصي المدروس للتجربة لتحقيق غرض ما ، انه مهارة التشغيل الذي يستطيع الذكاء ـ القدرة العقلية ـ أن يؤثر في التجربة وحل المشكلات . والتفكير كما يراه " بونو " له جانبان : جانب التفكير المنطقي ـ الرياضي ، وجانب التفكير الوجداني ـ العاطفي .

والتفكير المنطقي ـ الرياضي يتضمن أفاعيل ذهنية متعددة كالاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب والتصور والتخيل والحفظ والذاكرة وغيرها . ولقد استطاع الانسان باستخدامه القدرات العقلية والأفاعيل الذهنية المتمثلة بالتفكير المنطقي ـ الرياضي ان يحل الكثير من مشكلات الحياة ويلبي العديد من حاجات العصر ولا سيمل ما يتصل بالجانب المادي من الحضارة من تقدم علمي وثورة تقنية وثورة معلومات . إلا ان الملاحظ أن هذا النمط من التفكير المنطقي ـ الرياضي لم يجد الحلول الملائمة للمشكلات الاجتماعية والانسانية التي تجابهها البشرية المعذبة كالحروب العالمية والأهلية والاستعمار والتعصب العنصري والديني والطائفي والعشائري ، والتمييز بين الجنسين والفقر والاستغلال والتسلط والظلم وهدر حقوق الانسان وحقوق الطفولة وجنوح الأحداث .

إننا نؤكد الأهمية البالغة لهذا النوع من التفكير المنطقي ـ الرياضي إلا أنه ليس كل التفكير ، مما يدعونا الى الاعتراف بوجود جانب آخر من التفكير هو التفكير الوجداني ـ العاطفي ، الذي يوجه

---

[1] عيسى ، محمد جاسم : عرض لكتاب د . إدوارد دي بونو ، تعلم التفكير ، ترجمة عادل عبد الكريم وآخرين ، مجلة العربي الكويتية عدد ٣٧٩ ، ديسمبر ١٩٩١ ، ص ١٨٨ ـ ١٩٢ .

نتائج التفكير المنطقي ـ الرياضي لخير الانسان والبشرية جمعاء . هذا التفكير الذي يكبح جماح الأحكام الارتجالية والقرارات النفعية الفردية التي يمكن اكتسابها وتنميتها بالتربية والتدريب والمران .

فالانسانية المعذبة والحائرة تفتقر الى الأخذ بالتفكير الإحاطي الشمولي الذي يوظف التفكير المنطقي ونتائجه للمصلحة العامة بتبني الجانب الوجداني من التفكير وتنمية الضمير الحي . بالأخلاق ما بقيت فإن ذهبت الاخلاق وسقطت القيم الاجتماعية وغاب الضمير الحي ذهبت الامم واصاب الانسان التيه والضياع .

أما النفس فهي أكثر مكونات الطبيعة البشرية تعقيداً وصعوبة في الفهم . وقد تعددت المذاهب والمدارس في النظرة الى الجانب النفسي من الطبيعة البشرية . ويمكن تصنيف هذه المذاهب والمدارس الى ثلاث مجموعات وعلى النحو الآتي [٢]:

- النظرة الشريرة الى النفس .
- النظرة الخيرة الى النفس .
- النظرة الحيادية الى النفس .

١) **النظرة الشريرة الى النفس** : يرى الكثير من العلماء والمفكرين عبر مسيرة التاريخ أن الجانب النفسي من الطبيعة البشرية شريرة بفطرتها . ومن أهم هؤلاء المفكرين والعلماء الآتي :

ـ **القديس اوغسطين ٣٥٤ ـ ٤٣٠** . يرى ان خطيئه آدم وراثية وانه ليس من السهل على إنسان ان يتحرر من خطيئة أدم الموروثة . وانه لكي يتحقق للانسان الخلاص فلا بد من عناية الله

---

[٢] مسارع حسن الراوي " مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ " المجمع العلمي ، بغداد ١٩٩٩ (ص ٢١١ ـ ٢٢٠) .

ورعايته ، وإن الشر دخل الأرض بمعصيته فتفرق الناس الى طوائف وشيع .

ـ **نقولا ميكافيلي ١٤٦٩ ـ ١٥٢٧** . يرى أن الطبيعة البشرية في أساسها شريرة وتتسم بالدسيسة والغدر والتغلب والقوة والتشاؤم وان الغاية تبرر الوسيلة .

ـ **فرانسس بيكون ١٥٦١ ـ ١٦٢٦** . يرى ان الانسان إذ ترك على سليقته وفطرته إنقاد لأوهام سَمّاها الأصنام منها الميل الى التعميم والميل الى التفرد والتأثر بالموروث .

ـ **توماس هوبز ١٥٨٨ ـ ١٦٧٩** . يرى أن الانسان بطبيعته ذئب أمام أخيه الانسان وأن الكل في حرب ضد الكل . فالانسان بطبيعته أناني فيه نزوع وميل عدواني من ثم فالطبيعة البشرية في أساسها شريرة .

ـ **وليم ماكدوجل ١٨٧١ ـ ١٩٣٨** . يرى أن الانسان كائن حي كالحيوانات يولد مُزوداً بمجموعة محددة من الغرائز الفطرية والطاقات الوراثية الثابتة التي تحدد طبيعة الانسان وأنماط سلوكه .

إن الآخذ بالنظرة الشريرة الى الجانب النفسي من الطبيعة البشرية لا يؤدي الى الصلاح في الحكم بل الى الفساد والإفساد لفقدان الثقة بين السلطة الحاكمة والمحكومين من المواطنين الذين اصبحوا رعايا . أما أسلوب الحكم فيغلب عليه التسلط والقهر والاستبداد والاستبعاد .

٢) **النظرة الخيرة الى النفس** : يرى بعض المفكرين والفلاسفة أن الجانب النفسي من الطبيعة البشرية خيرة بفطرتها . ومن أبرز هؤلاء الآتي :

ـ **كونفوشيوس ٥٥١ ـ ٤٧٩ ق . م** . يرى ان الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم ، ولكن كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن

الآخر تدريجياً على وفق ما يكتسب من عادات . وقال ان الطبيعة البشرية مستقيمة والانسان خير بطبيعته ، أما الحيوانات الأخرى فهي ذات طبائع شريرة . وكانت عناية كونفوشيوس ودعوته متجهة الى أن يسلك الانسان مسلكاً عادلاً في حياته الاجتماعية وتكوين مجتمع سليم قوامه المحبة والاخاء والعدل والعمل الصالح .

ـ جان جاك روسو ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ . الطبيعة البشرية بالنسبة لروسو خَيِّرة في تكوينها منذ الولادة ، أما الشرور فيأتيها من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها . ويرى روسو أن المجتمعات يجب ربطها بالسلطة الحاكمة بعقد اجتماعي مشروط قابل للفسخ .

ـ كوينتليان ٣٥ ـ ٩٥ ق . م . يرى أن الطبيعة البشرية طيبة خيرة والطبيعة ليست مسؤولة عن فساد الانسان بل المجتمع هو المسؤول .

ان الأخذ بالنظرة الخيرة للجانب النفسي من الطبيعة البشرية يدعو الى خلق جو من الثقة العمياء بين السلطة الحاكمة والناس ممن يؤدي الى احتمال انتشار الفوضى والاضطرابات محل الضبط والانضباط .

٣) **النظرة الحيادية للنفس** : هنالك في تأريخ البشرية العدد الكثير ممن ينتمون الى المدرسة الحيادية في نظرتهم الى وجود نزوع وميل للخير ونزوع وميل للشر في الطبيعة البشرية (السورة : الآية) " وهديناه النجدين " : (٩٠ : ١٠) والتوجه نحو الخير أو الشر يعتمد على البيئة الاجتماعية ونوعية الحكم . ومن اعظم المفكرين الذين يمثلون هذا الاتجاه في النظرة الحيادية للطبيعة البشرية الآتي :

ـ عمانوئيل كانت ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ .صاحب الفلسفة التوليفية يرى أن الانسان يملك ثلاثة ميول أساسية هي : الميل الحيواني والميل الانساني والميل لبناء الشخصية . وان الميل الحيواني والميل الانساني

مبعث الشر في الطبيعة البشرية ، أما الميل لبناء الشخصية والكمال الخلقي فيمثل الخير في الانسان . والانسان لديه استعدادات لأن يكون خيراً أو شريراً . وهذا يتوقف على نوع التربية .

ـ **كارل ماركس ١٨١٨ ـ ١٨٨٣** . يرى أن جوهر وجود الانسان مادة وان الطبيعة البشرية ذات طبيعة مادية لا يمكن أن توصف بانها خيرة ولا شريرة وانما هي طاقة يتحدد وصفها بكونها خيرة أو شريرة بحسب نشاطها وعملها .

ـ **سيجموند فرويد ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩** . افترض وجود ثلاث نفوس هي : الهو **I D** والأنا **EGO** والأنا العليا Super Ego . وسلوك الانسان يتصف بالتعقيد نتيجة الصراعات بين مكونات الشخصية الثلاثة .

ـ **ايرك فروم ١٩٠٠ ـ ١٩٨٠** . يرى ان الانسان يتأثر بالظروف الاجتماعية وان ميول البشر ليست غريزية . والانسان بطبيعته تسيطر على سلوكه نزعتان : نزعة التملك To Have ونزعة الكينونة To Be .

ـ **جون ديوي ١٨٥٩ ـ ١٩٥٢** . يرى ان الطبيعة البشرية كل متكامل لا مجال فيه للانقسام بين أجزائه . وديوي لم يقل بالخير والشر في الطبيعة البشرية وانما قال بالطبيعة المحايدة القادرة على ان تصبح اياً منهما . والطبيعة البشرية ليست مسيرة بل مخيرة وحرة في سلوكها.

ـ **جان بول سارتر ١٩٠٥ ـ ١٩٨٠** . يرى ان الانسان وجد في الحياة بلا هوية . وجهله بهويته يتطلب منه السعي من اجل تحقيق ذاته واثبات هويته . والانسان من وجهة نظر سارتر بطبيعته ليس خيراً وليس شراً وهو لايقول بالوراثة .

- أبرا هام ماسلو ١٩٠٨ - ١٩٧٢ . يرى ان الطبيعة البشرية للانسان ليست خيرة طيبة وتطويرها يكون في المجتمع الجيد . أما الشر فهو ليس جزءاً موروثاً من الطبيعة البشرية إنما البيئة التي يعيش فيها الانسان هي التي تفرض عليه الشرور .

كما يؤكد القرآن الكريم حيادية النفس " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (٩١ : ٩ ، ١٠) ، والنفس البشرية نفسان : ١) النفس الأمارة بالسوء المستجيبة للحاجات الفطرية الحياتية والمجبولة على الهوى واتباع الشهوات والمتمثلة بـ " الأنا " ،٢) النفس اللوامة المتحكمة والموجهة لتصرفات الانسان وانماط سلوكه والمتمثلة بـ " الأنا العليا " الضمير بوعيه وبقضيته . ان الاخذ بالنظرة الحيادية للجانب النفسي من الطبيعة البشرية والاقرار بحياديتها في نزوعها نحو الخير أو الشر نحو الاستبداد او الخنوع يتطلب من السلطة الحاكمة الصالحة من خلال مؤسساتها الرسمية والمدنية الاهتمام ببناء الشخصية المتكاملة للمواطن جسماً وعقلاً ووجداناً القادرة على التحكم بتصريف الأمور وتوجيهها نحو المصلحة العامة والانسانية جمعاء مما يؤدي الى التفكير بالنحن والايثاروالابتعاد عن الأنانية والمصلحة الخاصة . كما يتطلب من السلطة تحميل المواطنين مسؤولية المشاركة في الحكم وأمرهم شورى بينهم ، وشاورهم في الامر .

٢- المجتمع وطبيعة النظام الاجتماعي .

ان تاريخ المجتمعات وقصة الحضارة البشرية هي ملك الأمم وشعوب العالم كل بحسب قدرتهم وظروفهم . وهي سلسلة من العهود والمراحل المختلفة " بدأت بتأريخ الشرق المتمثل بتراث وادي النيل ووادي الرافدين والهند والصين واليابان ، والتاريخ الكلاسيكي المتمثل

بتراث اليونان والرومان والتأريخ الوسيط المتمثل بتراث أوربا الكاثوليكية وسيطرة رجال الدين ورجال الإقطاع والثقافة اليهودية والاسلامية ، والتاريخ الأوربي المتمثل بحركة الاصلاح الديني وعصر النهضة والحركات الاجتماعية واخيراً التاريخ الحديث الذي يبدأ بتولي نابليون الحكم (وظهور الماسونية) حتى عصرنا الحاضر وما صاحبه من الاختراعات العلمية والابداعات في الصناعة[٣] " . لقد ظهر في كل عهد من هذه العهود نظريات اجتماعية وفلسفات تتضمن مبادئ وأسساً لإصلاح المجتمعات قادها عدد من المفكرين الذين خلدهم التاريخ في مجال العلم والأدب والفن والسياسة والاقتصاد والاجتماع والدين والتربية مما كان لهم الأثر الكبير في تقدم الحضارة البشرية وازدهارها في جانبيها المادي ـ العلمي والتكنولوجي ـ والثقافي ونظام القيم والأخلاق .

ان لكل مرحلة من هذه المراحل التأريخية طبيعتها من حيث الأنماط السلوكية والعلاقات الاجتماعية التي يعيش فيها أفراد مجتمعاتها .وتحليل طبيعة مجتمع كل من هذه العهود المتسلسلة والمتداخلة قد لا يكون من صميم البحث ، وعليه سنتجه في دراستنا الى تعرف طبيعة الحياة الاجتماعية البسيطة التي عاش فيها الانسان البدائي بصورة اجمالية عامة حتى وصل الى مرحلة متقدمة معقدة من العلاقات المتشابكة وتكوين نظم اجتماعية ومجتمع مدني ذي مؤسسات طوعية شعبية ـ سياسية ومهنية .

فالانسان القديم كان يعيش عيشة بدائية بسيطة لكنها قاسية تشبه حياة الحيوانات الضارية المتوحشة . وكان جُل نشاطه متجهاً نحو

---

[٣] ول ديورانت " قصة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الأول : دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨ ص ك ظهور الماسونية أضيفت الى الفقرة المقتبسة .

الحصول على القوت لتلبية حاجاته البيولوجية التي كان يجدها في الطبيعة ، وهي ملك شائع للجميع . وقد ظل الانسان البدائي يمارس هذا النشاط الحيواني الغريزي عهوداً طويلة وقد اضطرته الحاجة والضرورة الى التواصل والتعاون التلقائي مع أخيه الانسان لمجابهة متطلبات الحياة وتجنب أهوال الطبيعة وحوادثها الجسام لأن البشر كما يقول ابن خلدون لايمكن ان يثبتوا وجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وتلبية حاجاتهم المتنوعة . لقد اضطرت الظروف البيئية القاسية الانسان الى الالتجاء الى ممارسة مهنة الزراعة التي تعني الاستقرار في مكان معين لحرث الأرض وخزن الزاد واستئناس الحيوانات الأليفة . والزراعة خلقت انماطاً من السلوك والعلاقات الاجتماعية التي تختلف عن حياة العهود الماضية من صيد ورعي . وكان أهم إنتاج حضاري لعهد الزراعة تكوين الآسرة التي كانت بحق نواة المجتمع واساس الحياة الاجتماعية التعاونية " ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٣٠ : ٢١) .

وعلى الرغم من شعور الانسان بأن الآسرة كمؤسسة اجتماعية ، قد لبت الكثير من حاجاته البيولوجية من مأكل ومشرب وسكن وجنس وساهمت بتنشئته الاجتماعية في الانتماء الى جماعة ، أنه بمرور الزمن أدرك أن مجتمع الآسرة غير كاف لتلبية حاجاته الاجتماعية والنفسية ولا سيما الآمن والاطمئنان النفسي وصد هجمات الأعداء من حيوانات وابناء جنسه فلجأ الى تكوين مؤسسات اجتماعية اكثر تقدماً وذلك بتجميع الأسر المتقاربة نسباً ، فكانت العشيرة والقبيلة ومجتمع الريف .

والانسان وهو في طريق التقدم والرقي الحضاري توصل الى إنشاء مجتمع اكثر تقدماً وتعقيداً هو مجتمع المدينة التي سادها نظام

اجتماعي وقيم أخلاقية وعلاقات اجتماعية تختلف عن حياة القرية والبداوة والرعي والصيد . وبمرور الزمن تمكن الانسان بجده وسمو عقله من الوصول الى مجتمع المعرفة . وبتقدم العلم وتطبيقاته العملية ــ التكنولوجيا ــ ازدهرت الصناعة وتطورت أساليب الزراعة والفنون والآداب . وانتشرت المدارس لنقل تراث المجتمع من جيل الى جيل للحفاظ عليه .

إن التقدم العلمي الكبير والثورة التكنولوجية وثورة المعلومات غيرت حياة الانسان وعقدت معالم حياته وأثرت في نظام الملكية ووسائل الانتاج والتوزيع والتنقل والاتصال واحدثت التفاوت الطبقي والتناحر بين أفراد المجتمع الواحد . وكذلك أوجدت التفاوت الكبير بين الشعوب والمجتمعات فعمل ذلك على اخضاع الضعيف العاجز الى مشيئة القوي الماهر ، وكان كلما ظهر اختراع جديد ، أصبح سلاحاً جديداً في أيدي الأقوياء فزاد من سلطانهم على الضعفاء واستغلالهم لهم كما قال المتنبي :

كلما أنبت الزمان قناة   ركّب الناس للقناة سنانا

ثم عمل نظام التوريث على اتساع الهوة بأن اضاف الى الامتياز في الفرص السانحة امتيازاً في الأملاك ، فقسمت المجتمعات التي كانت متجانسة على عدد لا يحصيه النظر من طبقات وأوساط ، وأحسَّ الأغنياء بغناهم والفقراء بفقرهم احساساً يؤدي الى التناحر .

كما أخذت حرب الطبقات تسري خلال عصور التأريخ ، مما تطلب الأمر قيام سلطة حاكمة لتنظيم الأملاك وحمايتها ونشر السلام والاستقرار وشن الحروب[٤] .

---

(٤) ول ديورانت " قصة الحضارة " ، المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٣ ـ السلطة ونظام الحكم .

ان الحديث عن نشوء الحكومة كسلطة نظام حديث طويل يمتد الى أعماق تأريخ البشرية . وتختلف السلطة الحاكمة من عهد الى عهد من حيث الصلاحيات والمسؤوليات والحقوق وعلاقتها بالمحكومين .

وهناك نظريات متعددة عن كيفية نشوء الحكومة وتحديد صلاحياتها بدءاً بالتوجه التلقائي العفوي ومروراً بنظرية العقد الاجتماعي في تحديد العلاقة بين السلطة الحاكمة والمواطنين الذين نزلوا عن بعض حقوقهم للسلطة من اجل الحفاظ على الآمن والاستقرار والسلام في الداخل والدفاع عن الوطن برد الغزو الخارجي . ولعل ما عرضه ديورانت حول نشوء الدولة ما يفي بالغرض ، فيقول " إلا انه مهما تكن بداية الدولة فسرعان ما تصبح دعامة لاغنى عنها للنظام ... فقد نشأت بين الناس علاقات لا تعتمد على القرابة بل تعتمد على ما بين الناس من اتصال ... فالقرية التي حلت محل القبيلة والعشيرة أصبحت صورة التنظيم الاجتماعي المحلي فأقامت لنفسها حكومة بسيطة تكاد تكون ديمقراطية ، حكومة قوامها مناطق صغيرة يجتمع فيها رؤساء الآسر . ان مجرد وجود هذه الجماعات وكثرة عددها وتناقض مصالحها استلزم تدخل قوة خارجة تنظم ما بينها من علاقات ... وتوائم بين مصالح فئات الجماعات المتضاربة التي فيها يتألف المجتمع في صورته المركبة وقد اتجهت الأقلية الحاكمة الى ان تحول سيادتها التي فرضتها بالقوة على شعوبها الى مجموعة من القوانين والأنظمة الجامدة كما لجأت الدولة المستبدة ـ وما اكثرها في تأريخ البشرية منذ بدء الخليقة حتى الوقت الحاضر الى كسب ولاء مواطنيها بإيجاد أدوات عسكرية متمثلة بالجيش وأدوات أمنية ممثلة

بالشرطة وثقافية ـ واعلامية متمثلة بالمؤسسات الدينية والمدارس ومؤسسات الأعلام وأجهزة الثقافة .

ولقد تمكنت السلطات الحاكمة بالسيطرة على شعوبها من الاخذ بأسلوب الميكافيلية في ان الغاية تبرر الوسيلة سواء أكانت شريفة ام غير شريفة .

وكلما تقوت الحكومة ولا سيما في عهد ظهور الحكومات الشوفينية (العنصرية) في أوربا ازداد اضطهاد الشعوب وساد الفساد والإفساد وانتشرت أسباب التخلف ـ الأمراض والفقر والجهل ـ كما كثر الاعتداء على الشعوب الأخرى ولا سيما الضعيفة منها فساد الأستعمار والاستغلال .

لقد عاشت البشرية من جراء ظلم الحكام للشعوب واتباع سياسة التفرد والتسلط والاستبداد في الويلات والنكبات فأصبحت الفجوة واسعة بين السلطة الحاكمة والمواطنين . ويستطرد ديورانت فيؤكد أن الدولة التي تعتمد على القوة وحدها سرعان ما يتقوض بناؤها لأن الناس وان يكونوا بطبعهم اغراراً ، فهم كذلك بطبعهم ذوو عناد[٥] .

لقد ظهر مفكرون وكتاب متقفون ولاسيما في أوربا يرفضون ويحتجون على ظلم السلطات الحاكمة لشعوبها ويطالبون بالحرية رافعين شعار "الحرية أم الموت " . وقد كان لهؤلاء الكتاب الذين حرروا المقالات لتوعية الناس بمشكلاتهم واشعارهم بالظلم الذي لحق بهم الأثر الكبير في قيام الثورات الشعبية من اجل التحرر والعدالة والمساواة . وكان في مقدمة هذه الثورات التي اصبح لها أبعاد عالمية في التأثير من

---

[٥] ديورانت " قصة الحضارة " ، المصدر نفسه ص ٤٦ ـ ٤٧ . جاء الاقتباس بتصرف حيث أضيفت بعض المصطلحات كالدولة المستبدة ، وساد الفساد والافساد ... هذا للعلم .

مسيرة تاريخ البشرية والتقدم الحضاري أ الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية والثورة البلشفية .

فلقد رفعت الثورة الفرنسية شعارات ثلاثة هي : الحرية والاخوة والمساواة . وفي نجاحها تحقق للشعب الفرنسي والشعوب الأوربية الحرية السياسية وحقوق الانسان في التفكير والتعبير . ونقلت السلطة من السلطة من الطبقة الأرستقراطية الى الطبقة البورجوازية . وكذلك كانت الثورة الأمريكية المتأثرة بالثورة الفرنسية التي كان هدفها التحرر من الاستعمار الانجليزي ونيل الاستقلال وترسيخ مبادئ الحرية وتأكيد حقوق الانسان في الرأي والتعبير والانتخابات . وهكذا كانت كل من الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية ثورات سياسية نقلت سلطة الحكم من الطبقة الأرستقراطية الى الطبقة البورجوازية .

أما الثورة البلشفية في روسيا فقد نادت بتحرير الشعوب والتخلص من السلطات الحاكمة الأرستقراطية ونقلها الى الطبقة الكادحة فطالبت بالعدالة الاجتماعية والمساواة في توزيع الانتاج والدخول بين المواطنين بحسب حاجتهم .

وقد حققت الثورة البلشفية لشعوب المعسكر الاشتراكي بقيادة روسيا الجانب الاجتماعي من الديمقراطية المتمثل بالعدالة الاجتماعية مضحية بالجانب السياسي المتمثل بالحرية وتأكيد حقوق الانسان في التفكير والتعبير وابداء الرأي المخالف .

لقد اتبعت السلطة الحاكمة في الاتحاد السوفياتي بقيادة الحزب الشيوعي أساليب القهر والاضطهاد واستخدام لغة الحديد والنار والقتل الجماعي للمعارضة في محاولتها تطبيق المبادئ الماركسية ـ اللينية إلا أنها أخفقت في تحقيق أهدافها لاعتمادها على القوة والبطش عن طريق قوى الجيش والشرطة ورجال الآمن مما أدى الى ازدهار بدعة تقديس

الفرد وفساد والتحجر والجمود في نواحي الحياة كافة . وعليه فأن الدولة كما يقول ديورانت ـــ التي تعتمد على القوة وحدها سرعان ما يتقوض بناؤها ـــ فالناس وان يكونوا بطبعهم اغراراً ، فهم كذلك بطبعهم ذوو عناد[٦] .

وقد لعبت الأديان[٧] ولا سيما السماوية منها دوراً بارزاً ومؤثراً في حركة التأريخ والتقدم الحضاري وبخاصة في الجانب الثقافي والروحي وترسيخ القيم الأخلاقية في المجتمع البشري .

وكانت الديانة البونية احدى الديانات الكبرى . وركيزتها ـــ النرفانا ـــ التي تدعو الى السلام وترك العنف لما له من الأثر الكبير في الحياة السياسية للدول التي آمنت بها . وكذلك الديانة الكونفوشيوسية التي اعتمدت فلسفتها على مبادئ الديمقراطية والقيم الأخلاقية . ومذهب كونفوشيوس يقوم على الحب ـــ حب الناس ـــ وحسن معاملتهم واحترام الأكبر سناً وتقديس الأسرة . كما يؤمن بأن الحكومة أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس . وان الحاكم يجب أن تكون عنده قيم أخلاقية ومثل عليا وان يكون معقول ومعتدلاً وعملياً وليس مستبداً . ودعا الى الأخذ بالقاعدة التي مفادها (أحب لغيرك ما تحب لنفسك) .

أما الديانة اليهودية التي اتى بها موسى عليه السلام فكانت ديانة سماوية توحيدية تدعو الى الاصلاح للراعي والرعية . تعاليم الديانة اليهودية جاءت في كتاب التوراة ، الا ان اليهود حرفوها " يحرفون الكلم عن مواضعه ، فويل لهم مما كتبت أيديهم " ، (٢ : ٧٩) واصبحت

---

[٦] ديورانت ((قصة الحضارة)) ، المصدر نفسه ، دار الجيل بيروت ١٩٨٨ ص ٤٧ .

[٧] مايكل هارت ، " الخالدون مائة " ترجمة أنيس منصور ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ١٩٨٥،الصفحات ٣ ـــ ١٩ ، ٢٣ ـــ ٣٤ ، ٦٧ ـــ ٧٠ .

أسس اليهودية حبا عمليا للمال وجشعا في الكسب والابتزاز والتعصب لملة اليهود والاستيلاء على الأقوام الأخرى .

والمسيحية بوصفها دينا سماويا يعد من أكثر الأديان انتشاراً واكبر الديانات عدداً . والمسيح عليه السلام قد أرسى المبادئ الأخلاقية والروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني وكانت دعوته مبنية على التسامح والمحبة حتى للأعداء . وما يمارسه الغرب المسيحي ولا سيما السلطات الحاكمة من استعمار واعتداء يتناقض مع تعاليم المسيح السمحة . لأنهم يعودون حنينين الى تعاليم المسيح عادوا لحضارتهم حرموا وبدلوا .

أما الاسلام آخر الأديان السماوية فهو دين دنيا وآخرة ، دين عبادات ومعاملات ، دين تكافل اجتماعي وعدل ومساواة ، " لافرق بين عربي واعجمي إلا بالتقوى " ، ودين حرية وحقوق الانسان وكما قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً " ، ودين رحمة ومحبة " وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين " (٢١ : ١٠٧) ، فبما رحمة منك لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفو عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر " (٣٠ : ١٥٩) ، ودين سلم وسلام فتحية المسلم صباح مساء السلام عليكم ، ودين تعاون ووحدة " واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا " (٣ : ١٠٣) .

ويُعزى التوفيق الذي صاحب دعوة الرسول الأعظم في الاستجابة لدعوته الاصلاحية في اخراج العرب من الظلمات الى النور طريقة الدعوة في أيجاد قيادة موحدة تؤمن بنظام الشورى وحكم الجماعة في اتخاذ القرارات المهمة . كما ان الدعوة انطلقت من الواقع المعيش فيه في التبشير فوُحد المعارضة والمستضعفين من القوم في مكة فكونوا

نظاماً انموذجياً ومثالاً في تطبيق المبادئ التي جاء بها الاسلام " ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن (١٦ : ١٢٥) وهكذا نجحت دعوة الاسلام كنظام حياة شمولي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، فبصلاح النظام يصلح الناس أفراداً وجماعات .

ثانياً ـ معايير الحكم الصالح .

قامت الأمم المتحدة بأعداد تقارير عديدة حول التنمية البشرية كمقياس لمدى التقدم والتخلف لاقطار العالم . فلقد جرت أول محاولة غير ناجحة لربط مؤشرات التنمية البشرية بالحريات السياسية وحقوق الانسان عام ١٩٩١ ... ووضع التقرير أول مرة دليل حرية الانسان المستمد من ٤٠ معياراً من معايير حقوق الانسان التي ترتكز على التحرر من الخوف والتحرر من الفاقة والتحرر من التمييز . وتقيس هذه المعايير مدى تمتع الفرد بحياة آمنة ، خالية من الخوف وحياة حرة ـ خالية من القمع والتسلط السياسي ، وحياة كريمة أي خالية من التمييز وعدم المساواة . غير ان أي تقدم لم يحصل . ثم جاء تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ بمحاولة غير ناجحة أخرى لربط التنمية البشرية بالحريات السياسية ... واعتمد التقرير على دليل جديد يركز على خمس حريات أساسية هي : (١) سلامة الفرد الجسدية ، (٢) سيادة القانون ، (٣) حرية التعبير ، (٤) حرية المشاركة السياسية ، (٥) تكافؤ الفرص . عدّ التقرير الآمن القومي في مقدمة المؤشرات الحيوية لقياس الحرية السياسية والمدنية . وجاء تقرير التنمية البشرية عام ٢٠٠٠ ليعيد اكتشاف البعد السياسي في التنمية البشرية ويؤكد مجدداً وجود رؤية مشتركة تجمع بين حقوق الانسان والتنمية البشرية هي تأمين الحرية والرفاهية والكرامة لجميع الناس في كل مكان ، ولم يحصل أي تقدم .

وكان آخر تقارير برنامج الأمم المتحدة عن التنمية الانسانية واثر البعد السياسي في التنمية البشرية عام ٢٠٠٢ .

وقد اعتمد هذا التقرير علة ستة مؤشرات للحكم على التنمية البشرية في أقطار العالم وكانت على النحو الآتي :

ـ العمر المتوقع عند الميلاد .

ـ التحصيل العلمي .

ـ ضمان الحرية الفردية والتجمع .

ـ مدى توصل المرأة للقوة في المجتمع .

ـ الاتصال بشبكات الانترنت .

ـ انبعاث ثاني اوكسيد الكاربون .

كما جاء بالتقرير تأكيد البعد السياسي هذه المؤشرات الستة للحكم على التنمية البشرية(٨) .

في ضوء ما جاء بتقارير الأمم المتحدة الأربعة حول التنمية البشرية ، وفي ضوء العوامل الثلاثة المهيئة للصلاح والمتمثلة بالفرد والمجتمع والسلطة الحاكمة ، يمكن التوصل الى معيار شمولي للحكم على الصلاح ، هو معيار للديمقراطية .

والديمقراطية لغرض هذه الدراسة تعني حكم الشعب بالشعب وللشعب . وأبعادها ثلاثة هي : ديمقراطية الفرد وديمقراطية المجتمع وديمقراطية السلطة الحاكمة .

١ ـ **ديمقراطية الفرد** : وتتمثل في تكوين شخصية الفرد المتكاملة والمتوازنة جسماً وعقلاً ووجداناً ليحقق انسانيته ويعزز ذاته . وينبثق من هذا المعيار مؤشرات كثيرة . من أهمها الآتي :

---

(٨) عبد الخالق عبد الله ، البعد السياسي للتنمية البشرية ، حالة دول مجلس التعاون الخليجي ، المستقبل العربي ، عدد ٢٩٠ في ٤/ ٢٠٠٣ بيروت ص ٩١ ـ ٩٧ .

أ) التوازن في أشباع حاجات الفرد المتنوعة ــ البيولوجية والاجتماعية والنفسية.

ب) التوازن بين التفكير المنطقي ــ الرياضي ، والتفكير الوجداني ــ العاطفي وذلك بالآخذ بالتفكير الاحاطي LateraI.Thinking

ج) تكوين الضمير الواعي ــ اليقظ بسيطــرة النفس اللوامة كمراقــب ومحاسب للنفس الأمارة بالسوء لكبح جماحها في تلبية الرغبات والشهوات الحيوانية .

د) التمتع بحقوق المواطنة الصالحــة التي ترتكز على الحرية المسؤولة في التعبير والتفكير والاختيار وتأدية الواجبات وتحمل المسؤوليات .

٢ ــ ديمقراطية المجتمع : وتكون بتماسكه وتعاون أفراده في التمتــع بالحرية في تكوين مؤسسات المجتمع المدني الطوعية السياسية والثقافية والمهنية . وتنبثق من هذا المعيار مؤشرات كثيرة . من أهمها الآتي :

أ) الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي المعتمد على التعاون والتكافــل والتسامح ورفض الطائفية والعشائرية والعنصرية .

ب) السيادة الوطنية المتمثلة بالاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي ورفض التبعية .

ج) تأكيــد النظام الاجتماعــي الذي قوامه الكفايــة والعدل والمساواة بإصدار القوانين العادلة التي تصون حقوق المواطنين والعمل على تطبيقها .

د)التوفيق بين الأصالة في تعزيز الثقافة القومية والتحديث في استيعاب حضارات الشعوب وتمثيلها .

هــ) حرية تكويــن مؤسسات المجتمــع المدني المتــمثل بالمؤسسات السياسيــة كالأحزاب والمــؤسسات المهنية والــثقافية كالاتحادات والنقابات والجمعيات .

و) الاحتفاظ بكيان الآسرة أساس المجتمع السليم وتكوين علاقة أسرية متزنة بين الوالدين بعضهم ببعض وبين الأبناء .

ز) تأكيد سيادة التفكير العلمي الموضوعي في الحوار والنقاش والنقد الذاتي ولا سيما بين الأحزاب السياسية من صناع القرار .

ح) الاخذ بمبدأ التشاور والشورى بين أبناء المجتمع الواحد في حل مشكلاتهم وقبول رأي الجماعة .

٣ ـ **ديمقراطية السلطة الحاكمة** : وتتمثل بانتخاب حر لحكومة من الشعب وللشعب قادرة على استباب الآمن والاستقرار للمواطنين ، وترسيخ مبادئ حقوق الانسان في العيش المحترم ، وتنبثق من هذا المعيار مؤشرات كثيرة ، ومن أهمها الآتي :

أ ـ الالتزام بالحرية السياسية وحق الشعب في التعبير والتفكير وإبداء الرأي في وسائل الأعلام المختلفة .

ب ـ الالتزام بالحرية الاقتصادية المتمثلة في تطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية (الاشتراكية) والمساواة بين المواطنين برفض الفوارق الطبقية الشاسعة ـ غنى الفواحش وفقر مدقع ـ .

ج) الأيمان بالاختيار الحر لممثلي الشعب في اقامة برلمان نيابي مهمته التشريع ومراقبة الحكومة .

د) فصل السلطات الثلاث ـ التنفيذية والتشريعية والقضائية ـ مع تأكيد استقلال القضاء عن الحكومة .

هـ) الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي من التبعية الأجنبية والتدخل الخارجي .

و) الآخذ بالقيادة الجماعية للسلطة الحاكمة ضد التفرد في الحكم وديكتاتوريته .

ز) وجود ثقة متبادلة بين السلطة الحاكمة والمواطنين بتقديم الخدمات

اللازمة ليشعر أفراد الشعب بأنهم مواطنون لارعايا ولا عبيد .

ح) سيـــادة القانون العادل والدستور الدائـــم لتحديد الحريات والحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الدولية .

ط) تحديد مدة رئاسة الدولة بخمس سنوات أو اربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط .

ي) تعميم التعليم الابتدائي وتطـــبيق الزاميته ومجانيته ومكافحة الأمية وتوسيع التعليم الثانوي والجامعي وتحسين نوعية التعلية لكل المراحل باعتمـــاده علـــى فلسفـــة اجتماعية تنبثـــق مـــن ثقافـــة المجتمـــع وقيمة وطبيعة المتعلمين ومراحل نموهم .

ك) الرعاية الصـــحية المتمثلة بالوقاية من الأمـــراض ونشر الـــتوعية الصحية وتقديم العلاج اللازم للمواطنين .

ل) تطبيق العدالة والمساواة بين المواطنين بإصدار القوانين التي تحفظ المواطن من الاستغلال وسيطرة القوي على الضعيف مادياً .

م) تأكيد حقوق المرأة في التعليم والتوظيف ورعاية الطفولة .

ن) توطين العلم والثورة التكنولوجية واللحاق بثورة المعلومات والعمل على اقامة مجتمع المعرفة .

س) خلق نظام اجتماعي يسيطر فيه الشـــعب على مؤسساته وموارده وكل ما يمس المصلحة العامة .

ع) التوازن بين الجوانب المـــادية للحضارة المتمثل بالانجازات العلمية والثورة التكنولوجية والجوانب غير المادية المتمـــثلة بالنظام القيمي الأخلاقي والإنتاج الثقافي للمجتمع .

ف) أيـــجاد توازن بين الهدف الـــفردي للانسانية والـــهدف الاجتماعي للجماعة في اطار الهدف الانساني ومصلحة البشرية جمعاء .

إن ما عرضناه من معايير بل مؤشرات + معايير للكشف عن أبعاد الحكم الصالح المتمثل بالديمقراطية ـ ديمقراطية الفرد ، وديمقراطية المجتمع ، وديمقراطية الحكومة ـ ما هي الا مقترحات اجتهادية يمكن ان تكون اساساً للتوصل الى معايير ومقاييس عامة تتسم بالموضوعية ـ صدقاً وثباتاً ـ للحكم على الأنظمة السياسية في الأقطار العربية . ويكون ذلك بعرض قائمة المعايير على لجنة من الخبراء أصحاب الاختصاص في السياسية والاقتصاد والاجتماع والثقافة لابداء المطالعة قبولاً أو رفضاً وإبداء ملاحظات تغيير لكل معيار واعادة صياغة المعايير على وفق رأي الخبراء .

أما الخطوة الثانية فهي توزيع قائمة المعايير المنقحة على بعض النخب من المثقفين وأهل الرأي من القيادات السياسية والقيادات المهنية وأساتذة الجامعات وأصحاب الاختصاص في السياسة في الأقطار العربية للحكم على أنظمتهم السياسية ـ دراسة حالة ـ أو حالات باستخدام الوسائل الاحصائية اللازمة .

في الخاتمة نود ان نؤكد ان المعيار الشمولي لصلاح الحكم هو الديمقراطية بمفهومها الواسع التي تعني في جوهرها حكم الشعب بالشعب وللشعب . فبالديمقراطية ـ ايماناً وقولاً وعملاً ـ يترسخ الحكم الصالح وتتجدد الحياة وتزدهر الحضارة البشرية بجانبيها الجانب المادي والجانب الثقافي والروحي . إن التطبيق العملي لمبادئ الديمقراطية السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الفرد المواطن والمجتمع ونظامه والسلطة الحاكمة يعني غياب الفساد وعملية الافساد كما يعني إزالة الفساد من الفرد والمجتمع والحكومة .

كما أود ان أؤكد أن الديمقراطية ليست وصفة طبية تباع وتشترى في الصيدليات أو تفرض بالقوة من خارج الحدود ، أنها نبتة طيبة تنبثق

من طبيعة المجتمع لتلبي حاجات أفراده ، أنها لا تتحقق بالأقوال ورفع الشعارات لاستمالة الجماهير ، بل أنها نضال شعبي ومكابدة جماهيرية ذات ثمن غال وطريقها طويل وعسير فلا يعرف مكنوناتها الا من يعانيها .

لا يعرف العشق الا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها

فالى ترسيخ مبادئ الديمقراطية وحكم الشعب لنفسه في الأقطار العربية ندعو ونطالب بازالة الفساد والإفساد الاداري الفردي والحكومي ، بالجهاد من اجل إقامة الحكم الصالح المبني على مبادئ الديمقراطية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسيلة شريفة لتحقيق أهداف إنسانية ومطالب اجتماعية شريفة . " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " .

المراجـــع

١ ــ خالد ، محمد خالد : الديمقراطية أبداً ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٨ .

٢ ــ خالد ، محمـــد خالد : مواطـــنون لا رعايا ، دار النيل للطباعة ، القاهرة ، بلا تاريخ .

٣ ــ دي بونو ، ادوارد : تعـــلم التفكير ، ترجـــمة عادل عبد الكريم ، مجلة العربي الكويتية ، الكويت ١٩٩١ .

٤ ــ ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، نشأة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الأول ، دار الجيل ، تونس ١٩٨٨.

٥ ــ الراوي ، مسارع حسن : مكـــونات الطبيعة البشرية ، منشورات المجمع العلمي ١٩٩٨ .

٦ ــ سعد الدين ، عدنان : مع الأستاذ رجـــاء جارودي ،شركة السرمد للطباعة المحدودة بغداد ٢٠٠٠ .

٧ ــ السمحراني ، أسعد : الاستبداد والاســـتعمار وطرق معالجتها عند الكواكبي والابراهيمي ، دار النقاش ، بيروت ١٩٨٧ .

٨ ــ سيلامي ، نوربير . ترجمة د . رالـــف رزق الله : أعـــلام علم النفس ، المؤسسة العامة للدراسات والنـــشر والتوزيع ، بـــيروت ١٩٩١.

٩ ــ عبد الدايم ، عبد الله : تأريخ التربية ، مطبعة جامعة دمشق١٩٦٠.

١٠ــ فوكوياما ،فرانسس . ترجمة عزة حسين كبة : التصدع العظيم ، بيت الحكمة ٢٠٠٤ .

١١ــ كرم ، يوسف : تأريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، دار القلم ، بيروت بلا تاريخ .

١٢ـ الكواكبي ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٨ .

١٣ـ ميكافيلي ، نـيقولا : الأمير . ترجـمة فاروق سعد ، منشورات الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٨ .

١٤ـ مجموعة علماء الاجتماع : اللامساواة العالمية ، ترجمة فالح عبد القادر حلمي مراجعة وتقديم مظــهر صالح ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠٠٤.

١٥ـ مجلة المستقبل العربي : الأعداد ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .

١٦ـ الوردي ، علي : خوارق اللاشعور وأسرار الشخصية الناجحة ، الجزء الأول ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥١ .

١٧ـ الوردي ، علي : وعاظ السلاطين ، مطـبعة الرابطة ، بغــداد ١٩٥٤ .

١٨ـ هارت ، مايكل . ترجمة أنيس منصور : الخالدون مائة ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ١٩٨٥ .

دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي قبل الإسلام

الأحوال الاقتصادية في دولة الغساسنة

الدكتور جواد مطر الموسوي
قسم التاريخ ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

الملخص

الغساسنة قبائل عربية نزحوا من اليمن في القرن الخامس الميلادي واستقروا في بلاد الشام ، وكانوا في حركة دائمية ما بين وادي (حوران) ومنعطف نهر الفرات ، واستقر بعضهم على نهر (بردى) واتخذوا من منطقة (الجابية) مركزاً لإماراتهم .
ويتناول هذا البحث النواحي الاقتصادية للغساسنة من صيد وزراعة وصناعة وتجارة وعلاقاتهم الاقتصادية مع المدن والدول المجاورة ، والغرض من هذا البحث تسليط الأضواء على الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية لمنطقة الشرق .
وقد توصل الباحث الى مجموعة من النتائج منها :
ان الغساسنة غلبت عليهم البداوة ، فكانوا ينتقلون وراء الماء والكلأ ويمارسون الصيد وتوضح ذلك من زخرفة لرسوم على القصر الأبيض واستقر بعضهم واخذ يمارس الزراعة لاسيما ان ملوكهم اخذوا يهتمون بإنشاء وإصلاح القنوات والمنشآت المائية ، فزرعوا القمح والشعير ، وأنبتوا الأشجار ومنها الكروم ، غرض صناعة الخمور والنبيذ كما

قاموا بصناعة العطور والمنسوجات والصناعات الغذائيـــة وصياغـة الذهب .

كما كان الغساسنة تأثير واضح في التجارة والطرق التجارية المارة في بلاد الشام ، فكانت تمر عن طريقهم سلع الصين والهند وإفريقية واليمن وكانت لهم محطات ومراكز تجارية وأسواق متفرقة واهم هذه الأسـواق سوق (دومة الجندل) وموارد مائية مثل ضريبـــة (الـرأس) التـي تفرض على القبائل التابعة لهم ، وضريبة (العشــر) علـى القوافـل التجارية .

الغساسنة قبائل من الازد اليمنية ، هاجرت الى بلاد الشام علـــى اثـر انكسار سد مأرب، وتدهور نظم الري والزراعـة فـي جنـوب شـبه الجزيرة العربية، فنزلت في ارض (البلقاء)[١] حول نبع يدعى (غسان) فعرفوا بالغساسنة[٢]، ويسمون بـ (آل جفنة) نسبة الى أول ملوكـــهم جفنة بن عمرو[٣]، ويعرفون ايضاً بـ (آل ثعلبة) نسبة الـى جدهـم ثعلبة بن مازن[٤]، كان غرضهم من الهجرة هو البحث عن الأراضـي الأكثر خصوبة وتكفي لسد حاجاتهم المتزايدة .

---

[١] اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب ، تـاريخ اليعقوبـي، دار صـادر ، بـيروت (١٤٠٢هـ) جـ١، ص٢٠٤ .

[٢] الاصفهاني ، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (لا . ت) ص ٨٩ .

[٣] الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان، دار صادر ، بـيروت ، بـيروت (١٩٧٩م) جـ ٤ ، ص ٢٠٣ .

[٤] المسعودي ، ابو الحسن علي ، التنبيه والاشـراف ، مكتبـة خيـاط، بـيروت (١٩٥٦م) ص ١٨٦.

نزل الغساسنة في بادية الشام بجوار الضجاعمة[٥]، وهم بنو ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وكانوا المسيطرين على الشام، ويجبون من نزل بساحتهم للروم البيزنطيين، ففرضوا ضريبة (جزية) الرأس عليهم فرضيت غسان، وبعد مدة رفضوا الدفع ، فاندلعت الحرب بينهما، وانتهت بغلبة الغساسنة في موضع يقال له (المحفف) وانفرادهم بالسيطرة على بلاد الشام ، ثم إقرار الروم البيزنطيين بهم، خشية ان يميلوا مع الفرس الساسانيين ضدهم[٦]، ثم انه أمراً واقعاً[٧].

ويعتقد ان دولة الغساسنة نشأت في أواخر القرن الخامس الميلادي[٨]، وعلى الرغم من ان الغساسنة كانوا في حالة حركة دائمة ومستمرة، يتنقلون من حوران حتى منعطف نهر الفرات[٩]، لكن ديارهم الأساسية تمتد ما بين الجولان ونهر اليرموك[١٠]، وكانوا يقيمون بالقرب من

---

(٥) اليعقوبي ، تاريخ العقوبي ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٦) ابن حبيب ، ابو جعفر محمد ، المحبر ، تحقيق : ابلزه ليختن شتيتر ، حيدر آباد ــ الدكن (١٩٤٢م) ص ٣٧١ .

(٧) الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جامعة الموصل (١٩٩٤م) ص ٢٥٦ .

(٨) نولدكة ، ثيودور ، أمراء غسان، ترجمة : بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٣٣م) ص ٨ ــ ٩ .

(٩) بلا شير ، ريجس ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة ، إبراهيم كيلاني ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق (١٦٥٦م) جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

(١٠) المسعودي ، ابو الحسن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (١٩٥٨م) جـ ١ ، ص ١٠٩ .

دمشق في موضع على نهر بردى ، يعرف بـ (جلق) وقد اشار له الشاعر حسان بن ثابت في قوله :

انظر خليلي ببطن جلق هل

تونس دون البلقاء من أحد[١١]

وكانت الجولان قاعدة لملك الغساسنة ومعسكرا لهم ، واتخذ مدينة (الجابية) مركزا لإماراتهم ، وكان موقعها بالقرب من (مرج الصفر) في شمال حوران[١٢]، وليس هناك ما يشير الى ان الغساسنة قد تملكوا دمشق او بصرى او تدمر التي حصنها الإمبراطور البيزنطي جستنيان[١٣] (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) لكن ليس بالمستبعد انهم دفعوا ضريبة الرأس للغساسنة .

وبما ان الغساسنة قبائل متحركة ، فان غالبية سكانها تعيش حياة الترحل والنقل ورعي الماشية[١٤]، فهم تغلب عليهم البداوة ، والبداوة مرتبطة بوفرة المياه ووجود المراعي وعلاقة ذلك بفصول السنة المختلفة، ففي الربيع تغطي النباتات السهول والصحاري الرملية ذات الحصى ، وتتوافر في وقت قصير جدا ولا تحتاج الماشية فيه الى الماء كثيرا ، كما ان البدوي يعيش على البان قطعانهم، وفي الصيف يعود البدو من

---

(١١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، القاهرة (١٣٢١هـ) ص ٣٣ ، ٧٩ .

(١٢) نولدكه ، امراء غسان ، ص ٥١ .

(١٣) العلي ، صالح احمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت (٢٠٠٠م) ص ١٠٨ .

(١٤) بيغوليفسكيا ، نينا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، الكويت (١٩٨٥م) ص ٢٩١ .

المراعي الربيعية الى مناطق الآبار والعيون، وفي الخريف والشتاء يلجأ الى الواحات إذا لم يسقط الغيث[١٥]، ومن مناطق رعيهم (ديرة التلول) الواقعة شرقي دمشق، التي تغطيها الأعشاب والأزهار في مواسم الأمطار ، وحرة وادي رجيل ، التي تتغطى في مواسم الأمطار بأعشاب نادرة تقبل الأغنام على رعيها إقبالاً كبيراً[١٦].

وهذا التنقل حبب لهم الصيد وبالذات البري ، ويتوضح ذلك من القصر الأبيض[١٧] الذي ينسب للغساسنة وفيه نقوش جميلة تجسد الكثير من الحيوانات منها الطيور والفهود والخيول والأسود والبقر وحتى الأسماك[١٨]، وهذا يعني انهم ايضاً اهتموا بالصيد النهري .

بعد ذلك اخذ بعض الغساسنة يميل الى الاستقرار ، لاسيما احتكاكهم بالمدن المتحضرة في بلاد الشام، كما اخذوا يشتغلون بالزراعة، لاسيما ان العوامل المساعدة متوافرة في المنطقة التي سيطروا عليها ، ومنها المياه التي تنحدر من ثلاثة مجاري أساسية من السفح الشرقي لجبل حوران لتنتهي الى حرة وادي رجيل ، لكن هذه المياه تجف في فصل الصيف ، وفي منطقة الرحبة التي تمتاز بأنها سهل منخفض يبلغ طوله

---

(١٥) كاسكل ، ف ، الدور السياسي للبدو في التاريخ العربي ، ترجمة : الدكتور منذر البكر ، مجلة ــ الخليج العربي) المجلد العشرون ، ع١ ، البصرة (١٩٨٨ م) ص ٧٨ .

(١٦) ديسو ، رينيه ، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة : عبد الحميد الدواخي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (لا . ت) ص ٢٦ ــ ٢٧ ..

(١٧) مربع الشكل ، به أبراج ذات زوايا ، وجداره مكون من واجهتين مرصوصتين قد ملئ ما بينهما بالأحجار والبلاط (ديسو ؛ العرب في سوريا ، ص ٢٩) .

(١٨) جرجي زيدان ، لعرب قبل الإسلام ، دار الهلال (لا . ت) ص ٢٢٠ .

عشرين كيلومتر تقريباً وعرضه بين خمسة او ستة كيلومترات ، يكـون في فصل الشتاء بحيرة كثيرة المستنقعات[١٩]، والمياه المتدفقة من أعالي جبال حوران غمرت الكثير من القرى والضياع ، عدد الشاعر حسـان بن ثابت من بينها ثلاثين قرية [٢٠].

ومن خلال الاطلاع على أعمال وإصلاحات ملـوك الغساسـنة عنـد المؤرخ (حمزة الاصفهاني)[٢١] يتوضح انهم قاموا ببناء عـدد مـن القناطر والمنشآت المائية فقام (جبلة بن الحارث) ببنـاء القنـاطر[٢٢]، وقـام (النعمـان بـن الحـارث) بـإصلاح صـهاريج الرصافـة (سرجيوسـبوليس Segiopolis)[٢٣] التـي خربـها ملـوك لخـم (المناذرة)[٢٤]، ويؤيد ذلك (نولدكه) على الرغم من انه يشكك في رواية (حمزة الأصفهاني) فهو لا يستبعد قيام الغساسنة بكل هـذه المنشـآت، ويشير الى قيام (جبلة بن الحارث) ببناء القناطر ويرجح ايضاً قيـام (الحارث بن جبلة) بهذا العمل وليس (جبلة بن الحارث) وذلك بعـد حصـار الملك الساساني كسـرى انوشيـروان (٥٣١ ــ ٥٧٩) لهـا

---

(١٩) ديسو ، العرب في سوريا ، ص ٢٧.

(٢٠) الشبيه ، عبد الله حسن ، محاضرات في تاريخ العرب القديم ، جامعة صنعـاء (١٩٩١م) ص ٢٧٦) .

(٢١) سني ملوك الأرض ، ص ٨٩ ــ ٩٦ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٢٣) نولدكه ، أمراء غسان ، ص ٥٦ / والرصافة ، مدينة مقدسة عند البعاقبـة ، إذ فيها مرقد القديس (سرجيوس) .

(٢٤) الأصفهاني ، سني ملوك الأرض ، ص ٩٤ .

سنة ٥٤٢ م وتخريبها[٢٥].

ويضيف (نولدكة)[٢٦] ان لفظ (بناء) كثيراً ما تستعمل هنا للدلالة على تجديد عمارة قديمة الى إنشاء بناء للمرة الأولى ، وكل هذه الأعمال تصب في السيطرة على المياه وخزنها ، لغرض استخدامها عند الحاجة وليس هذا فقط بل شقوا الترع[٢٧] لإيصال المياه الى الأرض التي يريدون زراعتها .

كذلك توجد أراضي خصبة في كثير من المناطق التي سيطر عليها الغساسنة ، منها الصخور البركانية بجبل حوران ، وقد تفتت الى درجة أنها أصبحت ارض زراعية حمراء غنية تمتد على طول السفح الغربي للجبل ، كما تمتد في وادي النقرة وفي منطقة الرحبة أراض خصبة ، تصبح في وقت الربيع حقلاً زراعياً بديعاً ، وفي الوقت الحاضر تزرع القمح والشعير وليس في بلاد الشام افضل من هذه البقعة في زراعة القمح ، وكذلك وادي النقرة الذي يزرع فيها قمح حوران الشهير بصلابته وجودة نوعه[٢٨]، فضلاً عن زراعة القمح والشعير فانهم اهتموا بإنبات الأشجار ومنها الكروم ، وهذا واضح من رسوم شجرة الكروم ، على جدران قصر المشتي الغساني الذي يرجع بنيانه الى القرن السادس الميلادي ، والرسم يمثل مراحل تطور هذه الشجرة

---

(٢٥) أمراء غسان ، ص ٥٦ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٥٥ ــ ٥٦ .

(٢٧) العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والإسلام ، مكتبة النهضة ، بيروت و بغداد (١٩٧١م) ص ٨٨.

(٢٨) ديسو ، العرب في سوريا ، ص ٢٦ ــ ٢٨ .

ووصول ثمارها الى مرحلة النضج[٢٩]، وربما يرجع هذا الاهتمام الى استخدام ثمارها كمادة أولية لصناعة الخمور .

وفي رواية يذكرها (ابو الفرج الأصفهاني)[٣٠] ان جبلة بن الايهم كان يفترش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وهذا يدل على ان زراعتهم لم تقتصر على المواد الغذائية بل شمل النباتات الصناعية التي يمكن الاستفادة منها لصناعة الاطياب والعطور .

وليس لدينا معلومات كافية عن الصناعة عندهم ، سوى ما استنتجناه سابقاً من صناعة الخمور والعطور ، وربما بعض من صناعة المنسوجات والصناعة الغذائية والصياغة ، فقد كان جبلة بن الايهم الغساني يضع العنبر والمسك في صحاف الذهب والفضة[٣١].

أما عن تجارة الغساسنة ، فيبدو عن طريقها امتد تأثيرهم الى داخل شبه الجزيرة العربية ، من خلال التحالفات السياسية (مع القبائل العربية) والحملات العسكرية[٣٢] فقد اخذ هاشم بن عبد مناف حبلاً (معاهدة ، عقد) من غساسنة بلاد الشام[٣٣] لتسهيل التبادل التجاري بينهما ، كما عقد الايلاف مع القبائل التي على الطريق التجاري مع بلاد الشام لتأمين

---

[٢٩] المصدر نفسه ، ص ٥١ .

[٣٠] الأغاني ، دار صادر ، بيروت (١٩٦٥م) مجلد ١٦ ، القسم الأول ، ص ٢٦ .

[٣١] المصدر نفسه .

[٣٢] كاسكل ، الدور السياسي للبدو ، ص ٧٧ .

[٣٣] الطبري / محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ، محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٦٨م) ج٢ ، ص ٢٥٢ .

الطريق[٣٤] وبذلك اخذ أهل مكة ينقلون الى بلاد الشام الحرير الصيني وخشب الصندل والتوابل والأحجار الكريمة وهي من سلع الهند واما السلع الأفريقية فكان أبرزها العطور والذهب والعاج والرقيق ولم تقتصر تجارة مكة مع بلاد الشام في عهد الغساسنة على التعامل بالسلع القادمة من خارج شبه الجزيرة العربية، بل انها اشتملت على السلع والبضائع المنتجة محلياً ومنها : الجلود المذهبة (الادم) التي كانت تصنع في (اليمن والطائف) والزبيب من (الطائف) والمعادن من (الحجاز) والعقيق واللبان والمر واللادن من (اليمن) اما السلع التي تعود بها القوافل المكية من بلاد الغساسنة (الشام) القمح من حوران والبلقاء ، فضلاً عن الخمر والجواري والأسلحة والمنسوجات[٣٥].

وكانت في بلاد الشام عدد من الأسواق أو المراكز التبادلية تستقطب تجارة مكة ومصر والحيرة وفارس ، فضلاً عن دومة الجندل[٣٦] التي هي (سوق القبائل الكبير) .

ورؤساؤه مرة من قبل سكون ملكهم اكيدر ومرة قنافة الكلبية إذ غلبت غسان، وكانت غلبتهم ان الملكين (السكوني والغساني) كانا يتحاجيان فايما ملك غلب صاحبه بإخراج ما يلقى عليه ، تركه والسوق فصنع فيها ما يشاء ، ولم يبع بها أحد شيئاً الا بأذنه حتى يبيع الملك كل ما أراد بيعه ، مع ما يصل اليه من عشورها ، ويقع سوق (دومة الجندل)

---

(٣٤) القالي ، ابو علي إسماعيل ، كتاب الامالي ، بيروت (لا . ت) . مجلد ٢ ، ص ١٩٩ .

(٣٥) إبراهيم بيضون ، الايلاف القريشي ، مجلة (تاريخ العرب والعالم) ع٢ ، الكويت ١٩٨٢م) ص ٣٣ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

فيما ين بلاد الشام والحجاز ، وقيامها في أول يوم من شهر ربيع الأول الى النصف منه ، ثم ترقُ فما تزال قائمة الى راس الشهر ، ثم يفترقون عنها الى مثلها من قابل[٣٧]، وكانت مبايعة العرب في هذا السوق هو إلقاء الحجارة ، وذلك انه ربما اجتمع على السلعة النفر ، يساومون بها صاحبها ، فايهم رضى ، ألقى حجره ، فربما اتفق في السلعة الرهط ، فلا يجدون بداً من ان يشتركوا وهم كارهون ، وربما اتفقوا فالقوا الحجارة جميعاً إذا كانوا عدداً على امر بينهم فوكسوا صاحب السلعة إذ طابقوا عليه .. ثم يرتحلون من سوق (دومة الجندل) الى سوق (المشقر) بهجر[٣٨] ، والدليل على أهمية هذا السوق عند الغساسنة ، ان جبلة بن الايهم قاتل خالد بن الوليد عند دومة الجندل[٣٩]، لانه يدر لهم أموال طائلة تزيد من مواردهم المالية ، التي منها ضرائب الرأس التي كانت تفرض على القبائل العربية التي تحت سيطرتها، لهذا فان من أسباب الاحتكاك بين الغساسنة والمناذرة ، هو السيطرة على منطقة ستراتا (Strata) وهي البادية الواقعة على جانبي الطريق من دمشق الى ما بعد تدمر حتى الرصافة (سرجيوس بوليس) فقد ادعى كل منهما ان قبائل العرب الضاربة في هذه الأرض تخضع لسلطانه ، وان ضريبة الرأس (الجزية) لا بد ان تدفع له[٤٠]، ومن مواردهم المالية العشر على القوافل التجارية التي تمر بأراضيهم فكان (زنباع بن

---

[٣٧] ابن حبيب ، المحبر ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

[٣٨] المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ .

[٣٩] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٣ ص ٣٧٨ .

[٤٠] نولدكه ، أمراء غسان ، ص ١٨ .

روخ) يعشر هذه القوافل لصالح الحارث بن شمر الغساني[٤١] اما العملة التي يتداولها الغساسنة فهي الدينار الذهبي البيزنطي ، لانهم لم يكن لهم عملة خاصة بهم ، كذلك لا بد انهم تعاملوا بالدرهم الفضي الساساني ، وكانت لهم مقدرة في بيان قيمة العملة المتداولة على أساس الوزن والنقاء ، بصفتهم وسطاء تجاريين مهمين آنذاك بين مصر وشبه الجزيرة العربية والعراق وفارس والروم ، وبعد زوال دولة الغساسنة ، أخذت القبائل البدوية المتنقلة تتطاحن وتتنازع فيما بينها ، كما اخذ بعضهم يهاجم السكان المتحضرين فينهبون مواشيهم ويدمرون مزارعهم[٤٢].

ونستنتج من ذلك ان الغساسنة الذين استقروا في بلاد الشام بعد هجرتهم من اليمن في أواخر القرن الخامس الميلادي كانوا في حالة حركة دائمية ، ما ين حوران حتى منعطف نهر الفرات ، وكان بعضهم على نهر بردى ، واتخذت (الجابية) مركزاً لإماراتهم .

لذلك غلبت عليهم البداوة فكانوا يتنقلون وراء الماء والكلا ويمارسون الصيد ويتوضح لك من زخرفة الرسوم على القصر الأبيض ، كما اخذ بعضهم يستقر ويمارس مهنة زراعة الأرض لاسيما ان ملوكهم اخذوا يهتمون بإنشاء وإصلاح الترع والمنشآت المائية والقناطر فزرعوا القمح والشعير ، وأنبتوا الأشجار ومنها الكروم ، لغرض صناعة الخمور ، وقاموا بصناعة العطور والمنسوجات والصناعات الغذائية والصياغة .

---

[٤١] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مكتبة النهضة ، بيروت وبغداد (١٩٧١م) جـ٢ ، ص ٣٧١ ، ٤٧٩ .

[٤٢] العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص ١٠٥ .

لكن الغساسنة كان لهم تأثير واضح في التجارة لسيطرتهم على الطـرق التجارية المارة في بلاد الشام ، فكانت تمر عن طريقهم سـلع الصيـن والهند وأفريقيا واليمن ، وكانت لهم محطات ومراكز تجارية واسـواق متفرقة ولكن أهم هذه الأسواق هو سوق دومة الجندل في حالة غلبتـهم على (اكيدر السكوني) ، وكذلك من مواردهم المالية ضريبة الـرأس التي يفرضونها على القبائل المنطوية تحت سلطتهم ، فضلاً عن ضريبة العشر على القوافل التجارية .

منهجيات كتابة تاريخ العلوم عند العرب المسلمين
البيروني إنموذجاً

أ. د. عبد الله حسن الموسوي
كلية التربية / ابن رشد
جامعة بغداد

الملخص :

ان سبرغور منهج البيروني التاريخي يقودنا الى تمحيص ما جاء بكتابة تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة بين لنا قواعد منهج البحث العلمي القائم على التجربة والبرهان والحس على الرغم من ان ملاحظات منهج البحث التاريخي جاءت متناثرة بين طيات صفحات كتبه ، سواء ما كتب في مقدمتي " تحقيق ما للهند " و " الآثار الباقية عن القرون الخالية " .

تمهيد :

ولد ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي في خوارزم سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م وعاش في حياة مضطربة في ظل القلاقل السياسية التي كانت تعيش فيها تلك البلاد ، ولذلك تأرجحت حياته بين الاستقرار والتشرد والغربة سنين طويلة ، ثم الأسر والنجاة من القتل بأعجوبة حتى توفي في غَزَنَه (في أفغانستان الحالية) سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م أو بعدها .

وفي أثناء هذه الحياة المضطربة قدم الأستاذ (كما كان يدعى) أعمالاً علمية مجيدة تفوق التصور في عمقها وغزارتها مما حمل " جورج سارتون " أكبر مؤرخي تاريخ العلم في العصر الحاضر أن يطلق على القرن الحادي عشر الميلادي عصر البيروني ودفع

المستشرق " ماير هوف " بعد بحث عميق أن يقرر ان البيروني عـــالم لا مثيل له في العصور الوسطى جميعها سواء في عمق التفكير أو متانة منهجه في البحث .

وقد ترك البيروني من تآليفه ١٨٣ كتاباً ورسالة لم يصل الينـــا منها سوى ٢٧ كتاباً ، طبع منها ١١ كتاباً ، وقد لا يكون مســـتغرباً أن يكتب البيروني هذا العدد من المؤلفات إذا علمنا أنه " كان مكبـــاً علـــى تحصيل العلوم منصباً الى تأليف الكتب لا يكاد يفارق يده القلم وعينـــه النظر وقلبه الفكر "[١] ويؤكد ياقوت أنه رأى فهرست كتب البيروني فـــي وقف جامع مرو في نحو ستين ورقة بخط مجتمع[٢] كما يؤكد البيـــهقي أن كتب البيروني زادت على حمل بعير .[٣]

ولعل مما يناسب الحديث عن مقام البيروني العلمي وشغفة بالعلم أن نروي ما ذكره الفقيه علي بن حسن الولوالجي الـــذي كـــان شـــاهداً للحظات الأخيرة من حياة البيروني ، قال : " دخلت على ابي الريحـــان وهو يجود بنفسهِ قد حشر نفسهُ ، وضاق به صدره فقال لي فـــي تلـــك الحال : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة " أي حساب مـــيراث الجدات من الأم " فقلت له اشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لي : يـــا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة الا يكون خيراً من أن أُخليها وأنـــا جاهل بها ؟ فأعدت ذلك عليه وعلمني ما وعد وخرجت من عنده وأنـــا

---

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم الأدبـــاء ، دار المأمـــون ، ١٩٣٦، ج٧ ، ص١٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١٧ ، ص١٨٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ، تاريخ حكماء الإسـلام ، دمشـق ، مطبعـة الترقي ، ١٩٤٦ ، ص٧٣ .

في الطريق فسمعت الصراخ "(٤) . وهكذا كانت نهاية حياة الشيخ الأستاذ أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني رحمه الله أحد عظماء التاريخ الإنساني الخالدين ومن أجل من أنجبتهم أمتنا خلال حضارتها المجيدة الذي وقف حياته لهدف سام من أنبل قيم الإنسانية هو العلم " وحياة البيروني بعد ان توصف بالهدوء والاستقرار ولا نملك إزاء هذا إلا الإنحناء في إكبار واحترام أمام النتائج العلمية الباهرة التي توصل اليها والتراث العلمي الحافل الذي أنتجه في ظروف الزمان الذي عاش فيه "(٥) .

لقد قدم البيروني الى الهند في القرن الخامس الهجري وكتب عنها كتابة " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " وهو الكتاب الذي سنتناول من خلاله منهج البيروني في كتابة تاريخ العلوم ، والبيروني وإن لم يتح له ما أتيح لسابقيه من الكتاب الصينيين واليونانيين من تجوال واسع في الهند إلا أنه تفوق عليهم بكثير من الجوانب كما يعبر عن ذلك أحد اعظم علماء السنسكريتية في عصرنا " بوهلر " إذ يقول : إن الكتابات اليونانية وما نقله السياح الصينيون أمام كتاب البيروني تشبه تماماً لُعب الأطفال ومسودات عامة الناس والخرافيين منهم والذين وقعوا في عالم مليء بالعجائب فأصيبوا بالحيرة والعجب مما شاهدوه ولم يستطيعوا أن يدركوا من الحقائق إلا الشيء اليسير ، أن كتاب البيروني أوسع من كتب سابقيه كما إن مصادره أفضل من

---

(٤) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج١٧ ، ص١٨٢ .

(٥) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص٢٤٥ .

مصادر سابقيه [٦]. ووصفه المستشرق روزن بأنه أثر فريد في بابه ولا مثيل له في الأدب العلمي القديم أو الوسيط سواء في الغرب أو الشرق[٧] .

صعوبات البحث عن علوم الهند :

لقد عانى البيروني كثيراً في جمع المادة العلمية لكتابة لأسباب كثيرة وقد شخص هذه الأسباب التي تحول دون الحصول على المصادر الهندية ومن ثم عدم معرفته علوم الهند في الباب الأول من " تحقيق ما للهند " وهي :

١ـ ان لغتهم في ذاتها طويلة عريضة تشابه العربية إذ يتسمى الشيء الواحد منها بعدة أسماء ولا تكاد ألسنتنا ولهواتنا تنقاد لإخراجها ولا آذاننا تسمع بتمييزها فيتعذر إثبات شيء من لغتهم بخطنا فهذا من الأسباب التي تعسر بها الوقوف على ما عندهم[٨] .

٢ ـ ان كتب الهنود وعلومهم منظومة بأنواع الوزن قد قصدوا بذلك حفظها على حالها وظهور الفساد عند زيادتها ونقصانها ومعلوم أن الأوزان تحوج إلى تكلف بالنظم وزيادة بالعبارات والتغيير في الأسماء وهذا من الأسباب التي تعسر لها الوقوف على ما عندهم[٩] فالبحوث العلمية والطبية والقانونية والفنية أغلبها مكتوب بالوزن أو بالقافية أو بكليهما حتى قواعد النحو ومعاني القاموس قد صيغت في

---

(6) E. Sachau, Al-Biruni's India, London, 1887. P.VI.

[٧] كرانشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

[٨] محمد بن احمد البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة ، حيدر اباد الدكن ـ الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨، ص ١٣ .

[٩] المصدر نفسه ، ص ١٤ .

قالب الشعر وحتى الحكايات الخرافية والتاريخ تراها في الهند قد اتخذت قالباً شعرياً منغماً [١٠] .

٣ ــ ثم يبين البيروني أن من أسباب ذلك أن الهنود يباينون المسلمين بالديانة مباينة كلية فلا نقر بشيء مما عندهم ولا يقرون بشيء مما عندنا ، ومع أن الهنود قليلو التنازع في أمر المذاهب بينهم سوى الجدال والكلام من دون الاضرار بالنفس أو البدن وليسوا مع غيرهم بهذه الوتيرة وإنما يسمونه " مليج " أي القذر ولا يستجيزون مخالطته في زواج أو مجالسه أو مؤاكله ولا يقبلون من ليس منهم حتى إذا رغب فيهم ورام التحول الى دينهم[١١] إذ وفقاً للكتب الهندوسية المقدسة لا يقبل أشخاص جدد من غير معتنقي دينهم فيه كما هي الحال في اليهودية والمجوسية[١٢] .

٤ ــ ومن اسباب القطيعة أنهم يباينوننا في الرسوم والعادات حتى كادوا يخوفون أولادهم بنا وبزينا وهيأتنا وينسبوننا إلى الشيطنة[١٣] .

٥ ــ ومنها أن بعضهم ينقم من المسلمين ان أحد ملوكهم هلك على يد عدو له قصد من بلاد المسلمين وخلف جنيناً أصبح ملكاً بعده وحين شب سأل أمه عن حال أبيه فقصت عليه القصة وامتعض لها فبرز الى أرض العدو وأبلغ في الاثخان والنكاية بهم وألزم البقايا زينا تذليلاً لهم وتنكيلاً، ثم يقول البيروني مداعباً فشكرت فعله لما

---

(١٠) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود ، بيروت دار الفكر ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، جـ ٣ ، ص ٣٢.

(١١) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٥ .

(12) W. Crook (Hindusim) Encyclopeadia Of Religion And Ethics V. VI. P.699.

(١٣) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٥ .

سمعته إذ لم يسمعنا التهند والانتقال الى رسومهم.[١٤]

٦ ــ ومما زاد في النفار والمباينة ان الفرقة المعروفة بالشمنية على شدة البغضاء منهم للبراهمة هم أقرب الى الهند من غيرهم[١٥] ومعلوم إن الشمنية هي البوذية التي كانت ديانة ثائرة على البرهمية أسسها بوذا في القرن السادس قبل الميلاد[١٦] وقد أسماها المؤرخون العرب بالسمنية وهو تعريب للكلمة السنسكريتية " شمن "[١٧] وقد كانت خراسان وفارس والعراق والموصل الى حدود الشام على دينهم الى ان نجم زردشت[١٨] من أذربيجان ودعا ببلخ الى المجوسية[١٩] وراجت دعوته عند ملوك الفرس فنشروها في بلاد المشرق والمغرب قهراً وصلحاً ونصبوا بيوت النيران من الصين الى الروم ثم استصفى الملوك فارس والعراق فإنجلت الشمنية[٢٠].

٧ ــ ولما جاء الإسلام وذهبت دولة الفرس ، زاد الهنود غزو أرضهم

---

(١٤) المصدر نفسه ، ص١٥ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص١٥ .

(١٦) عبد السلام الرامبوري ، (فلسفة الهند القديمة) مجلة ثقافة الهند ، مجلد ٤ ، العدد ٢ ، ١٩٥٣ ، ص٨٧ .

(١٧) أبو الكلام آزاد (أبو الريحان البيروني وجغرافية العالم) مجلة ثقافة الهند ، ع١ ، مج٣ ، الهند يونيو ١٩٥٠ ، ص٣٩ .

(١٨) زردشت : أو زرادشت الذي يزعم المجوس أنه نبيهم وأنه أثبت للعالم أصلين قديمين مدبرين أحدهما النور والآخر الظلمة . الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ٢ ، ص٦٠ .

(١٩) المجوسية : دين عبادة النار والقول أن للعالم أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة .

ــ الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ٢ ، ص٦٠ .

(٢٠) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص ١٥ ــ ١٦ .

استيحاشاً لما دخل محمد بن القاسم الثقفي أرض السند وأوغل في بلاد الهند ووطىء أرضها الى حدود كشمير راجعاً يعارك مرة ويصالح أخرى[21] . وقد كان فتح الهند سنة ٩٤هـ[22] وقد غوس ذلك في قلوبهم الأحقاد وإن لم يتجاوز احد من المسلمين حدود نهر السند حتى أيام الترك حين تملكوا بغزنة في أيام السامانية ونابت الدولة ناصر الدولة سبكتكين فآثر الغزو وتلقب به[23] وتوغل في بلاد الهند حتى افتتح بلاداً لم يدخلها احد من بلاد الإسلام وانتصر على ملك الهند وأسره وافتدى الأخير نفسه على أن يؤدي ألف ألف درهم وخمسين فيلاً[24] ثم قام أبنه يمين الدولة محمد بالغزو في بلاد الهند نيفاً وثلاثين سنة وفعل الأعاجيب في بلادهم فبقيت بقاياهم المتشردة على غاية التنافر والتباعد عن المسلمين بل كان ذلك سبب انمحاق علومهم عن الحدود المفتتحة وانجلائها الى حيث لا تصل إليها اليد مع استحكام القطيعة فيها مع جميع الأجانب بموجب السياسة والديانة[25] .

٨ ـ وفضلاً عن الأسباب الموضوعية السابقة يسوق البيروني أسباباً أخرى ذاتية تتعلق بالشخصية الهندية وصفاتها النفسية فمن المعروف أن الهند بلد يكاد يكون مغلقاً جغرافياً إذ يحيطه البحر من

---

(٢١) المصدر نفسه ، ص١٦ .

(٢٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، جـ٦ ، ص٤٨٣ .

(٢٣) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٦ .

(٢٤) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٧٧م ، ج٤ ، ص٧٧٣ .

(٢٥) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٦

الشرق والغرب والجنوب أما من الشمال فتعزله سلاسل جبال الهملايا الهائلة وهذا الانغلاق والانقطاع عن العالم الخارجي سيؤدي بالتأكيد إلى خلق شخصية متقوقعة على ذاتها وعلى هذا الأساس يقول البيروني عنهم : وبعد ذلك أسباب ذكرها كالطعن فيهم وذلك أنهم يعتقدون في الأرض أنها أرضهم وفي الناس انهم جنسهم وفي الملوك أنهم رؤساؤهم وفي الدين انه نحلتهم وفي العلم أنه ما معهم فيترفعون ويعجبون بأنفسهم فيجهلون وفي طباعهم الضن بما يعرفونه والإفراط في الصيانة له من غير أهله منهم فكيف عن غيرهم ، على أنهم لا يظنون أن في الأرض غير بلدانهم ، وفي الناس غير سكانها وأن للخلق غيرهم علماً ، حتى إنهم إن حدثوا بعلم أو عالم بخراسان وفارس واستجهلوا المخبر ولم يصدقوه للآفة المذكورة ولو أنهم سافروا وخالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم .[٢٦]

ثم يشخص البيروني ظاهرة أكدها الباحثون من بعده وهي ظاهرة إستيلاء الاساطير والخرافات على التراث الهندي بحيث رجح أحد الباحثين المحدثين أن تكون الهند مصدراً لمعظم الحكايات الخرافية في العالم التي عبرت حدود الهند الى الأقطار كافة[٢٧] فيقول البيروني عن ذلك : فلا تكاد تجد لهم كلاماً إلا في غاية الاضطراب وسوء النظام ومشوباً في آخره خرافات العوام من تكثير العدد وتمديد المدد لأجله يستولي التقليد عليهم وبسببه أقول إني لا أشبه ما في كتبهم إلا بصدف مخلوط بخزف أو بدر ممزوج ببعر[٢٨] وتمتد هذه الظاهرة الى الدين اذ

---

[٢٦] المصدر نفسه ، ص١٧ .

[٢٧] ديورانت ، المرجع السابق ، ص٣٢٠ .

[٢٨] البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٩ .

تزودنا الهندوسية بأمثلة من الشرك (تعدد الآلهة) تتصــــف بالبدائيــة وسوء التنظيم بشكل لا مثيل له بين أديان العالم[٢٩] .

صفات الباحث عند البيروني :

من خلال استقرار كتابات البيروني في شتى حقــول المعرفــة نستطيع أن نرسم صورة للباحث الذي يعتمد على أسس سليمة في البحث تؤدي به الى منهج بحث علمي رصين ومن المبالغة القول إننا سـنعطي شخصية الباحث حقها في هذه السطور وإنما سنكتفي برســم الخطــوط العريضة لها .

١ ــ النزاهة :

يرى البيروني أن الباحث ينبغي أن يمارس عمله العلمي " مــع الحرص على الحق والثبوت على الأمانـــة والصـــدق "[٣٠] فـــالوصول للحقيقة هو الهدف الذي ينتهي إليه العمل العلمي ويجب إزاحة العراقيـل التي تحول دونه إذ " يجب تنزيه النفس عن العوارض المردئـــة لأكــثر الخلق والأسباب المعمية صاحبها عن الحق وهـــي كالعــادة المألوفــة والتعصب والتضافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلــك "[٣١] فالنزاهة تعني السعي للحقيقة التي هي غاية الباحث وهدفه مــهما كــان مصدرها : " فإني لا آبى قبول الحق من أي معدن وجدته "[٣٢] .

---

(29) W. Crook (Hindusim) Op. Cit., V.4.P.712.

(٣٠) محمد بن أحمد البيروني ، القانون المسعودي ، حيدر آباد الدكن ــ الهند مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٣هـــ / ١٩٥٤م ، جـــ١ ، ٣٦٤ .

(٣١) محمد بن أحمد البيروني ، الآثار الباقية من القرون الخالية ، تحقيــق سـخاد ، ليبزج ، ١٩٢٣ ، ص٥ .

(٣٢) محمد بن أحمد البيروني ، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المســاكن ، تحقيق بولجانوف ، القاهرة : لجنة التــأليف والترجمــة والنشــر ، ١٩٥٥ ، ص١٠٤ .

٢ ــ الحيــاد :

وهذا معنى من معاني الموضوعية يجب أن يتصف به العــالم بمعنى ان يعطي كل رأي من الآراء المعارضة حقه الكامل في التعبـير عن نفسه ويزن كل الحجج التي تقال بميزان يخلو من الغرض أو التحيز فالموضوعات التي يعالجها والأفكار التي تقدم إليه تقف كلها أمامه علـى قدم المساواة من دون أية محاولة سابقة من جانبه لتفضيل إحداها علـى الأخرى[٣٣] وبذلك يقول البيروني : " ففعلته غير باهت[٣٤] على الخصم ولا متحرج عن حكاية كلامه وإن باين الحق واستفظع سماعه عند أهلـه فهو إعتقاده وهو أبصر به ... وإنما هو كتاب حكاية فأورد كلام الـهند على وجهه وأضيف إليه ماللبونانيين من مثله "[٣٥] .

٣ ــ نبذ التعصب :

والتعصب هو اتجاه انفعالي متصلب يؤدي الى أحكـام سـابقة ومعتقدات مخطئة تتصل بأشخاص بعينهم أو موضوعات معينة[٣٦] ولقـد عانى البيروني التعصب وعالجه كثيراً في كتبه وشخص ما كان يـؤدي إليه من أحكام مخطئة عند بعض الباحثين الذين " كانوا يحيـدون عـن الطريق ويعبرون عن نفوس تتضح فيها آفة التعصب ووصمة الاضرار

---

[٣٣] بركات محمد مراد ، البيروني فيلسوفاً ، ط١ ، القاهرة : منشـورات الصـدر لخدمات الطباعة ، ١٩٨٨م ص٩٦ ــ ٩٧ .

[٣٤] باهت : من البهتان أي الإفـتراء ــ ابـن منظـور ، لسـان العـرب ، ج١ ، ص٢٧٣ .

[٣٥] البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٥ .

[٣٦] معتز سيد عبد الله ، الاتجاهات التعصبية ، الكويت ، مطابع الرسالة ، ١٩٨٨ ، ص٥٠ .

والتغلب "[٣٧] والتعصب حالة تؤدي بالإنسان الى الانغلاق الفكري والتحجر ورفض الحقائق إذ أنها " تعمي الأعين البواصر وتصم الآذان السوامع وتدعو إلى إرتكاب ما لا تسامح بإعتقاده العقول "[٣٨] ويؤدي هذا الى عدم جدوى الاقناع بكل الحقائق والحجج لأن " الكلام مع المصر عمداً والمتمطي جهلاً غير مجد على القاصد والمقصود "[٣٩] .

٤ ـ الروح النقدية :

يتطلب النقد من الباحث النظر للأمور كما هي وأن يزنها بميزان العدالة بمعنى أن يتقدم للنقد باحثاً عن البراهين والحقائق المجردة وموقف كهذا يتطلب من الباحث أن يتجرد من ذاتيته وأهوائه وان يقدم شهادة أمينة صادقة ولا ريب في ان النقد يستلزم موقفاً أخلاقياً ومبدئياً ويتطلب الوقوف بشجاعة أمام رغبات النفس ومواجهة رغبات الآخرين ومن هنا يعد البيروني النقد من أشق المهام التي تواجه الباحث .

وقد قام البيروني بنقد العالم الفلكي الهندي برهمكوبت الذي يؤيد الأخبار الدينية والخرافات عن الرأس الذي يعض الشمس والقمر فيكسفهما بزعمه ويرفض النظريات العلمية في سبب الكسوفين التي تعلل هاتين الظاهرتين بأنه سقوط ظل الأرض على القمر وتوسط القمر بين الأرض والشمس . ويقول البيروني أن " برهمكوبت " قد أوقع نفسه بالتناقض لأنه أجرى حسابات على مقدار قطر القمر ليكسف الشمس ومقدار ظل الأرض ليكسف به القمر فهو في هذا الموضع ممن قال الله

---

(٣٧) محمد بن أحمد البيروني ، تمهيد المستقر لمعنى الممر ، ط١ ، حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٦٧ـ١٩٤٨ ، ص٢٣ .

(٣٨) البيروني ، الآثار الباقية ، ص٦٦ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص٦٨ .

تعالى فيهم " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً "[٤٠] ثم يلاحظ البيروني الظروف التي تحيط بالرجل فيقول : " وما أظن برهمكوبت قاده الى ما قال إلا شعبه من بليه سقراطيه[٤١]مني بها على وفور علمه وذكاء قريحته "[٤٢].

ويبدي البيروني إجلاله واحترامه للعلماء في أثناء نقده لأخطائهم فحين ينقد الجاحظ الذي ظن أن نهر مهران في السند هو من روافد نهر النيل يقول : " وتوجد التماسيح في أنهار الهند كما هي في النيل حتى ظن الجاحظ بسلامة قلبه وبعده عن مجال الأنهار وصور البحار إن نهر مهران شعبه من النيل "[٤٣] وتبدو في هذا النقد روح التسامح قياساً الى المسعودي الذي انتقد الجاحظ للملاحظة نفسها : " وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ إن نهر مهران الذي هو نهر السند من النيل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل .. لأن الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ولا يعرف المسالك والأمصار وإنما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين "[٤٤] .

٥ ـ الصبر وتحمل المشاق في سبيل العلم :

غالباً ما تحف بالبحث العلمي الصعاب مما يستلزم من الباحث

---

[٤٠] سورة النمل : آية ١٤ .

[٤١] ويقصد البيروني بالبلية السقراطية هنا هو الحكم بالموت على الفيلسوف اليوناني سقراط لما خالف قومه في عبادة الأوثان وتأليه الكواكب وأطبق قضاة أهل أثينية الأحد عشر على قتله دون الثاني عشر حتى قضى نحبه غير راجح عن الحق ـ البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٨ـ١٩ .

[٤٢] البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٤٣٥ـ٤٣٧ .

[٤٣] المصدر نفسه ، ص١٦٣ .

[٤٤] أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ، القاهرة ، المطبعة البهيه ١٣٤٦هـ ، ج١ ، ص٥٩ .

الصبر أمام طرائقه الشائكة فيكب على طلب العلم طامحاً نحو الأفضل مبتعداً عن دواعي الأعجاب بالنفس التي تؤدي الى الغرور ولهذا يقول البيروني : " يجب أن يتيقظ الراصد ويديم فلي أعماله واتهام نفسه ويقلل العجب بها ويزيد في الاجتهاد ولا يسأم "[45] وخلال طريق البحث الذي تكتنفه الصعاب يجب أن لا يتوقع الباحث الثناء والتقدير من الناس دائماً بل قد يحدث العكس فعليه أن يتسلح بالعزيمة والصبر كي لا تثبط همته كما يقول البيروني : " فمن تحقق الحال لم يلمني على ما أزال أكدح فيه وأتحمله من اعباء الاجتهاد في النقل من لغة الهند للأنداد والأضداد ومن كان على خلافه نسبني الى الجهالة ومتعابي الى الشقاوة "[46] وعلى عادته يتضرع البيروني الى المولى عز وجل طالباً التوفيق في سبل العلم التي لم تحل كل المشاق والأهوال التي تعرض لها من دون مواصلته السعي فيها : " وبالله عز وجل أستعين على تسهيل كل عسير بمنه "[47] .

٦ ـ العلوم المساعدة :

مما يساعد أي باحث في توسيع آفاقه هو أن يتسم بالثقافة الواسعة والمعرفة بنواحي الحياة الأخرى فضلاً عن تخصصه ناهيك بالباحث في العلوم التي تصبح المعرفة العلمية الشاملة من أدوات البحث المهمة لديه وفي هذا يقول البيروني : " وإذا حقق الإنسان ودقق استجاز

---

[45] البيروني ، تحديد نهايات الأماكن ، ص١٩ .

[46] محمد بن أحمد البيروني ، باتانجل في تخليص النفس من رباط البدن ، كتاب ترجمة البيروني عن السنسكرينية ، ونشرت بعض محتوياته في كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين جمع وتعليق صلاح الدين المنجد ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥ ، ص٦٦ .

[47] القانون المسعودي ، ج٢ ، ص٥٠٧ .

أن يقول إن كل معني بفن من فنون العلوم فأنه يجب أن يكون فيلسوفاً قد طالع أصول جميع العلوم وأن لم يواتيه عمره على مطالعة فروعها "[٤٨]

ويمكن أن يضاف الى صفات الباحث عند البيروني حب العلم ورفض الخرافة ، وتعلم اللغات لدراسة الموضوع بمفاهيمه الأصلية وكذلك اتصافه بكل الصفات الخلقية والمبدئية التي لا يستغني عنها الباحث .

اختيار موضوع البحث :

إن اختيار البيروني لموضوع كتابه هذا جاء نتيجة مناقشة علمية جرت بين البيروني وأحد العلماء الأجلاء المسمى أبا سهل عبد المنعم بن علي بن نوح التفليسي[٤٩] ويحيط البيروني هذا الرجل بضروب الإجلال والتوقير ففي كل مرة يذكر فيها أسمه يسبقه بكلمة الأستاذ ثم يلحقه بعبارة أيده الله . ويذكر أن الأستاذ أبا سهل قد ذكر له امتعاضه من احد المؤلفين لتشويهه عقائد المعتزلة وتزوير آرائهم ليطعن بهم أمام العوام وإن البيروني الذي كان يبدو من خلال المناقشة أوسع اطلاعا من زميله قد أخبره أن هذه الطريقة قل من يخلو منها ممن يقصد الحكاية عن الخصوم والمخالفين ، ثم أن هذا الطعن والتحامل يكثر في المذاهب التي يجمعها دين واحد ويقل بين الأديان التي لا تشترك في أصل ولا فرع والموجود من كتب المقالات والآراء والديانات كلها على هذا النهج [٥٠] . ثم كان من أمثلة هذا النقاش أديان الهند ومذاهبهم فأشار البيروني إلى " ان أكثر ما بحث في الكتب عنها فهو منحول وبعضها

---

[٤٨] المصدر نفسه ، ص٢٩٢ .

[٤٩] أبا سهل عبد المنعم بن علي بن نوح التفليسي : لم أجد له ترجمة .

[٥٠] البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٣ــ٤ .

عن بعض منقول ملقوط مخلوط غير مهذب على رأيهم ولا مشذب "[٥١] .

ويبدو إن الموضوع استمر بين الرجلين مدة ما إذ يقول البيروني : ولما أعاد الأستاذ أيده الله مطالعة الكتب ووجد الأمر فيها على الصورة المتقدمة حرص على تحرير ما عرفته من جهتهم ليكون بصيرة لمن أراد مناقضتهم وذخيرة لمن رام مخالطتهم وسأل ذلك ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرج عن حكاية كلامه وإن باين الحق[٥٢] فالحاجة الى الموضوعية التي كانت محور المناقشة بين الرجلين هي الأم التي تمخضت عن ولادة " تحقيق ما للهند من مقولة " الذي اشتمل على جل نواحي الحضارة الهندية من الدين الى الاجتماع الى الفلسفة ثم النواحي العلمية كالفلك والجغرافية والتنجيم والرياضيات والقياسات والكيمياء ، وقد حقق البيروني كل موضوع فيه بروح النقد المنصف التي نالت إعجاب الباحثين إذ كان محبا للحقيقة أكثرمن أي شيء آخر ، وكان خصما لدودا للكذب ورائدا للأخلاص والنزاهة[٥٣]

جمع الأصول :

مر بنا في محادثة البيروني لزميله أبي سهل التفليسي عن ذكر مذاهب الهند وأديانها إنه قد صرح بأن كل ما كتبه أصحاب المقالات عنهم غير صحيح ثم أن هؤلاء قد نقل بعضهم عن بعض فتراكم الخطأ فلا عجب أن يلجأ البيروني إلى المصادر الأصلية لينأى بنفسه عن هذه المزالق ولم تكن الطريق ميسرة أمامه لتحصيل هذه المصادر في ظل الإنغلاق الذي يعيش فيه الهنود وعدم رغبتهم في المخالطة والكشف عما

---

(٥١) المصدر نفسه ، ص٤ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص٥ .

(53) SACHAU,Op. Cit., P.VI-VII.

عندهم من علوم وفي ظل هذه الظروف الشاقة بذل البيروني جهودا مضنية لتجميع مصادر كتابه فقال : " ولقد أعيتني المداخل فيه مع حرصي الذي تفردت فيه في أيامي وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظان واستحضار من يهتدي لها من المكامن ومن لغيري مثل ذلك "[٥٤] فنلاحظ أن البيروني قد واجه مصاعب جمة لتجميع الأصول في ظل ظروف غير ملائمة ولم يبخل بما أمكنه من قدرات ومال وأثبت تفرده في هذا المضمار من خلال حرصه على استحصال هذه المصادر التي كان قد حددها وعرف أماكن وجودها وأرسل من يتوسم فيه القدرة على احضارها .

ولم يكن البيروني على عظيم منزلته و رسوخه في العلم ليستنكف من أن يرجع الى عهد التلمذة عندما يواجهه ما لايعرف وهي صفة يختص بها العلماء الحقيقيون الذين يعدون انفسهم ما عاشوا تلاميذ في مدرسة العلم ولهذا يقول : " اني كنت اقف من منجميهم مقام التلميذ من الاستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عما هم فيه من مواضعاتهم ".[٥٥]

وبعد كل هذا هل نعد البيروني في كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة " باحثا إعتياديا يتلمس طريقه الى معالم البحث الذي يريد ان يلج فيه ليعطي صورة واضحة بقدر الامكان لموضوع غريب عنه وعن قرائه الذين قد يتقلبون القليل الذي يقدم لهم عن الهند الغربية ؟ .

نستطيع ان نجيب عن هذا التساؤل بثقة بان البيروني قد اقتحم ميدان بحثه بصفة الاستاذ المتمكن الذي يكاد يعرف كل شيء عن

---

[٥٤] المصدر نفسه ، ص١٨ .

[٥٥] المصدر نفسه ، ص١٧ .

مصادر بحثه وانه تعامل معه ليبحث عن الأدق والاعمق فيه وليعالج عويصات مسائله ولم يتعامل بروح الباحث العادي وهذا سر تفوق البيروني وكتابه " الذي لا يزال محتفظا بحيويته وجدته الى ايامنا هذه ... اما ما يحفل به من مادة علمية فهو شيء يقف نسيج وحده ولا يوجد له أي مثيل "[٥٦] فالبيروني كان على اطلاع واسع وعميق بحيث يستطيع ان ينتقد الكتب التي الفت عن الهند ويميز الغث من السمين كما مر بنا خلال مناقشته مع ابي سهل التفليسي فضلا عن قوله في مقدمة تحقيق ماللهند انه قد ترجم الى العربية من السنسكريتية كتابين احدهما في المبادىء وصفه الموجودات واسمه " سانك " والاخر في تخليص النفس من رباط البدن واسمه " باتنجل "[٥٧] وفيهما اكثر الامور التي عليها مدار اعتقادهم ويرجو ان ينوب " تحقيق ما للهند " عنهما [٥٨] ولهذا كله كانت مصادر البيروني عن الهند المصادر الأصيلة التي يتجه اليها الباحثون في عصرنا هذا سواء في النواحي الدينية والادبية او العلمية في الفلك والتنجيم والرياضيات والقياسات والكيمياء .

ولهذا ايضا اتجه البيروني الى تعلم اللغة السنسكريتية والترجمة منها واليها فقرأ وترجم كتبا في الفلسفة والفلك والتنجيم[٥٩] وفي زماننا هذا اذا اراد الانسان ان يتعلم السنسكريتية ومعارف الهند مع كل ما

---

(٥٦) كرانشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

(٥٧) كتاب باتنجل هو كتاب المدرسة اليوجيه الحديثة ومؤسسها باتانجالي ومدرسته تؤمن باله واحد ازلي من منزه والاخلاق عندها تنسك وعبادة يصل فيها الانسان الى الغيبوبة وقهر الزمان والمكان ـ عبد الحليم محمود ، الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف ، القاهرة ، مطبعة احمد علي مخيمر ، لا.ت ، ص٥ .

(٥٨) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٦ .

(59) SACHAU, Op. Cit., P. yIV.

يتيحه الادب والعلم الحديثان ، فانه سيستمر سنتين طوالا قبل ان يتمكن من التراث الهندي بهذه السعة وبهذا الضبط الذي تميز به البيروني[٦٠] .

وابو الريحان الذي أتقن السنسكريتية وعدة لغات اخرى مثل العربية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرية لاريب انه قد تبوأ مكانةً علمية فريدة بين العلماء المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم اذ مهما تكن منزلتهم العلمية رفيعة فان مصادرهم العلمية كانت رهينة للمترجمين لانهم لايجدون سبيلا الى البحث والتنقيب المباشر .[٦١]

نقد الاصول :

يتميز البيروني بدقته ونظرته الفاحصة للنصوص وحضور الحس النقدي عنده في مواجهة أي خلل يلاحظه في النص وبين صفحات تحقيق ما للهند نجد البيروني كثير التذمر مما يشوب كتب الهنود من سمات المبالغة والتناقص والتقليد " فلا تكاد تجد لهم خاص كلام الا في غاية الاضطراب وسوء النظام ومشوباً في اخره خرافات العوام من تكثير العدد وتمديد المدد ومن موضوعات النحلة التي يستفظع اهلها فيها المخالفة ولاجله يستولى التقليد عليهم ".[٦٢]

كل هذا الخلل في النصوص العلمية فضلا عما امتاز به البيروني من روح الشك المنهجي جعلته يتفحص مصادره ويتحقق من صحتها مرة بعد اخرى بحيث يشعر القارئ بان الكلمة " تحقيق " التي صدر بها كتابه لم توضع جزافا فهو يقول : " ولما سمعت فيها اسماء امم واشجار وجبال اتهمتهم وخاصة اذ كانت مقدمة حاجتهم تمويها

---

(60) Ibid, P. XXII.

(٦١) ابو الكلام ازاد ، البيروني وجغرافية العالم) مجلة ثقافة الهند ، مجلد ٢ ، العدد ٣ ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص٣١ .

(٦٢) البيروني ، تحقيق ما للهند ص١٩ .

وتزويرا كاللحية المخضوبة الشاهدة على صاحبها بالكذب واحتطت في مسائلة واحد واحد وتكرير السؤال وتغير الترتيب فما اختلفوا فيه والله اعلم " .[٦٣]

ولم يكن البيروني يكتفي بنقد النصوص وانما امتد نقده للمؤلفين لضعف مصادرهم وينماز البيروني بقدرته على النظر للامور بنزاهة ورؤية القضية من وجوهها المختلفة والحكم على كل وجه على حدة فحين يتحدث عن تحيز مؤلفي الكتب وتشويههم راي مخالفيهم يستثني منهم ابا العباس الايرانشهري[٦٤] : " فما وجدت من أصحاب كتب المقالات احدا قصد الحكاية المجردة من غير ميل ولامداهنة سوى ابي العباس الايرانشهري الذي انفرد بمخترع يدعو له .[٦٥]

على ان هذا الثناء على تفرد الايرانشهري بين المؤلفين في موضوعيته ونزاهته في نقل الاراء وبدون تحيز سينقلب الى ذم له لضعف مصادره اذ يقول البيروني عنه انه حين بلغ عقائد الهند والشمنية طاش[٦٦] سهمه عن الهدف ونقل من كتاب " زرقان " والباقي كانه مسموع من عوام هاتين الطائفتين[٦٧] وفي صفحات اخرى يعتذر البيروني للقارئ من انه لم يجد مصدرا عن الشمنية ولهذا سينقل عن

---

(٦٣) المصدر نفسه ، ص٤٥٢ .

(٦٤) ابو العباس الايرانشهري : لم اجد له ترجمة .

(٦٥) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٤ـ٥ .

(٦٦) طاش سهمه : جواز السهم الهدف ـ ابو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيزور ابادي ، القاموس المحيط ، ط٢ ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٧هـ / ١٩٥٩م ، ج٣ ، ص١١٨ .

(٦٧) تحقيق ما للهند ، ص٥ .

الايرانشهري وان كان يظن ان حكايته غير وثيقة[٦٨] . وفي نقد البيروني لـ " براهمر " و " برهمكويت " من علماء الفلك الهنود نلاحظ الاسلوب نفسه .[٦٩]

ولا ينسى البيروني ان ينبه القاريء على نوعية مصادره بكل امانة ، كي لايقع في الالتباس فهناك بون شاسع بين افكار العوام وخرافاتهم واتجاههم نحو المحسوسات وبين افكار العلماء المحققين فيقول : واذ نحن في حكاية ما للهند عليه فانا نحكي خرافاتهم في هذا الباب بعد ان نخبر ان ذلك لعوامهم فاما من أم نهج الخلاص او طالع طرق الجدل والكلام ورام التحقيق فانه يتنزه عن عبادة احد مما دون الله فضلا عن صورته المعمولة .[٧٠]

ثم يحذر البيروني من نوع اخر من المصادر المزيفة التي يدس فيها المغرضون سمومهم واحقادهم على الإسلام وبصورة خفية لا يكشف عنها الا العلماء الغيورون فنراه وفي اكثر من موضع من الكتاب يحذر من عبد الله بن المقفع واساليبه الخبيثة لبث المطاعن والاراجيف في المصادر فيقول : " وبودي ان كنت اتمكن من ترجمة كتاب " بنج تنتر " وهو المعروف عندنا بكتاب " كليلة ودمنة " فانه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على السنة قوم لا يؤمن من تغييرهم اياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب " برزويه " فيه قاصدا تشكيك ضعاف العقائد في الدين وكسرهم للدعوة الى مذهب المانويه واذا كان متهما فيما زاد لم يخل مثله فيما نقل[٧١] ثم يصف البيروني في

---

[٦٨] المصدر نفسه ، ص٢٠٦ و ٢٨٦ .

[٦٩] المصدر نفسه ، ص٤٣٥ ــ ٤٣٧ .

[٧٠] المصدر نفسه ، ص٨٥ .

[٧١] المصدر نفسه ، ص١٢٣ .

مكان اخر مكائد عبد الله بن المقفع وزمرته من المانويه بانها طامة على الاسلام اضيفت الى المكائد اليهودية .(٧٢)

وعبد الله بن المقفع او " روزبه " كان اكبر ضاغن على الاسلام ، قدم اول ما قدم للقضاء على نظام الاسلام الاجتماعي كتاب " مزدك " ثم كتب باب برزويه ليثبت تناقض الاديان ـ وبخاصة الاسلام ـ وعدم يقينها وما يظهر فيها من التناقض ، ان خلفاء روزبه كثيرون في عصرنا وقد تعددت اشكالهم وتنوعت صورهم ولكنهم جميعاً نسخ مشوهة لابن المقفع الكريه .(٧٣)

الكتاب والعرض :

قسم البيروني كتابه على ثمانين باباً توزع عليها عدد كبير من المواضيع كفلسفة الهند الدينية والعقائد والشرائع وعبادة الاصنام والكتب الدينية والجوانب الاجتماعية كالمراة والزوج ونظام الطبقات ومعلومات عن جغرافية الهند وجوانب من علوم الفلك والتنجيم والرياضيات والقياسات والكيمياء والسحر فضلا عن الخط واللغة وعروض الشعر كما يتخلل الكتاب إشارات الى أحداث وشخصيات تاريخية اسلامية وهندية وعمليات رياضية وكم كبير من الخرافات الاساطير وقد يجد المرء اكثر من موضوع في باب واحد .

ويمكننا القول ان البيروني قد وضع خطة واضحة المعالم لمنهجه في كتابة تحقيق ماللهند ففي المقدمة والباب الاول بعد أن يشير الى اهمية البحث العلمي ويشخص الافات التي تصيبه وتشوه الحقائق العلمية ينثني ليشير الى اسباب صعوبة البحث عن احوال الهند وما دعاه

---

(٧٢) المصدر نفسه ، ٢٢ .

(٧٣) علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الاسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٧ ، ص١٢ـ١٣ .

الى ان يكتب " تحقيق ما للهند " ثم يبين منهجه في الكتابة في مقدمة الكتاب في نقاط سنتعرض اليها تباعاً ناهيك بنقاط اخرى نلتقطها من بين اثناء الكتاب .

فبعد ان طلب منه ابو سهل التفليسي ان يحرر هذا الكتاب يقول البيروني انه قد استجاب لطلبه : " ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرج عن حكاية كلامه وان باين الحق واستفظع كلامه عند اهله فهو اعتقاده وهو أبصر به[٧٤] ، فقد تعهد البيروني بايراد الحقيقة كما هي وان كانت تباين عقيدته الاسلامية وقد نقل نصوصاً من كتبهم العلمية كان يؤمن بانها خرافات بل انه نقل عنهم اموراً قد لاتتقبل ذكرها النفس وذلك لكي تتضح الصورة بكل ابعادها ولان الاعراض عن بعض الجوانب من دون بعض يشكل خللاً بل تشويهاً للدارسة .

كما انه يبين بوضوح الغرض والغاية التي يتوجه اليها البحث في الكتاب فهو كتاب دراسة موضوعية يعتمد على المنهج الوصفي غالباً مع بعض المقارنات ولا يدخل تحت قائمة كتب الجدل الديني بابراز حجة وابطال اخرى " وليس الكتاب كتاب حجاج حتى استعمل فيه بايراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق وانما هو كتاب حكاية "[٧٥] ، ويقول سخاو : بالرغم من كون البيروني مسلماً انه يتعاطف مع اولئك الهنود الوثنيين ويوافق على بعض نظرياتهم ويستطيع القارئ ان يقلب الكثير من الصفحات من دون ان يشعر بأن المؤلف مسلم .[٧٦]

---

[٧٤] تحقيق ما للهند ، ص٥ .

[٧٥] المصدر نفسه ، ص٥ .

(76) SACHAU, Op. Cit., P.VI.

ويعد البيروني رائداً من رواد علم مقارنه الاديان اما مصنفه هذا فيعد الاول من نوعه سواء في موضوعه او منهجه او اسلوب تناوله وعند مقارنته بين الديانات الهندية واليونانية واليهودية والنصرانية والمجوسية والمانوية وبعض الصوفية المسلمين فقد آثر المنهج الوصفي على المنهج النقدي فنجده يقارن ويوازن ويربط اعتقادات الهنود بما سواها في عدد من الامثلة الرائعة لمقارنة الديانات العالمية بعضها ببعض .[٧٧]

ومثال ذلك مقارنته علوم الهنود ومعتقداتهم بما يماثل موضوعها عند اليونانيين فيقول عن منهجه في المقارنة " فأورد كلام الهند على وجهه واضيف اليه مااليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم فإن فلاسفتهم وان تحروا التحقيق فانهم لم يخرجوا فيما اتصل بعوامهم عن رموز نحلتهم وموضعات ناموسهم "[٧٨] والذي يبدو ان هذه المقارنة لم تأت عبثاً فقد أثر اليونانيون وتأثروا بالهنود إبان حكمهم لأجزاء من الهند بعد غزو الاسكندر المقدوني للهند سنة ٣٢٧ق.م. في كثير من النواحي الدينية والفلسفية والعلمية ولاسيما ما يتعلق بعلم الفلك ولذلك تصادفنا هذا المؤلف الفلسفي والعلمي معاً أسماء كثير من علماء اليونان والهند وفلاسفتهم معاً قل ان يرد ذكرهم عند الباحثين الاسلاميين الاخرين واغلبهم من السابقين لسقراط امثال هوميروس (٨٤٠ق.م) وسولون (٥٥٨ق.م) وفيثاغورس (٤٩٧ق.م) وهيراقليطس (٤٧٥ ق.م) وانباذوقليس (٤٣٣ ق.م) فضلاً عن الفلاسفة المعروفين كأفلاطون وارسطو وجالينوس اما الفلاسفة والعلماء الهنود فيحتفظ لنا

---

[٧٧] مراد المرجع السابق ، ص٣٧ .

[٧٨] البيروني ، تحقيق ماللهند ، ص٥ .

كتاب البيروني بعشرات من اسمائهم ندر ان نجد مصادر تاريخية غير البيروني تذكرهم مثل بياس " وكور " و " كبل ".(٧٩)

ويشير البيروني الى مشكلة منهجية تواجه الباحث في علوم الهند هي اختلاط هذه العلوم بالخرافات والاساطير والمبالغات وتسرب المفاهيم الدينية في كل الاداب والعلوم بلا استثناء مما يشكل عبئاً كبيراً يثقل كاهل الباحث وهو امر سنلاحظ تذمر البيروني منه في اكثر مباحث الكتاب في حين يمتدح اليونانيين الذين نقحوا علومهم فيقول : ولكن اليونانيين فازوا بالفلاسفة الذين كانوا في ناحيتهم حتى نقحوا لهم الاصول الخاصة دون العامة لان قصارى الخواص اتباع البحث والنظر وقصارى العوام التهور واللجاج ولم يكن للهند امثالهم ممن يهذب العلوم فلا يكاد تجد لهم خاص كلام الا في غاية الاضطراب وسوء النظام ومنشوباً في اخره خرافات العلوم من تكثير العدد وتمديد المدد ومن الموضوعات الدينية التي يستفظع فيها المخالفة ولاجله يستولي التقليد عليهم ولا اشبه ما في كتبهم من الحساب ونوع التعليم الا بصدف مخلوط بخزف .(٨٠)

واللافت للنظر ان البيروني على تبرمه بهذه الفوضى الفكرية عندهم الا انه يحرر هذه النصوص بصبر ودأب عجيبين وان كان يبدي عدم اقتناعه بهذا الكلام الذي : " تحيله العقول وتمجه الاذان "(٨١) . بل انه شخص سبب هذه المبالغات فيه : " وانما اتخيل من ذلك ان قائله

---

(٧٩) مراد المرجع السابق ، ص٤٢ .

(٨٠) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٩ .

(٨١) المصدر نفسه ، ص٢٧٤ .

بعيداً جداً من العلوم ومتصدراً في جملة النوكى[82] وانه اضاف السنين الى من ذكرهم على وجه التعظيم فكان يجب ان يكثر العدد ليكون ابلغ في التفخيم .[83]

ثم ينبه القارئ على ان الغاية من عرض افكار الهنود واليونانيين هو المقارنة لاتفاقهم في بعض المجالات وليس لاثبات صحة امر ما بايراد مثيله فيقول : واقول ان اليونانيين ايام جاهليتهم قبل ظهور النصرانية كانوا على مثل ما عليه الهنود من العقيدة وتماثل الخواص والعوام عند كل من الامتين مع مثيله ولهذا استشهد من كلام بعضهم على بعض بسبب الاتفاق وتقارب الامرين لا للتصحيح فان ما عدا الحق زائغ والكفر ملة واحدة من اجل الانحراف عنه .[84]

ثم ينثني البيروني ليقارن بين علم الفلك عند العرب وعلم الفلك عند الهنود ويقول : " وليس بيننا وبينهم في ترتيب الكواكب وان الشمس واسطتها وزحل والقمر طرفاها والثوابت اعلاها خلاف "[85] ونستطيع ان نتصور هيئة الفلك بصورة اوضح من قوله " إن الافلاك ثمانية أُكر ملتفه بعضها ببعض التفاف طبقات البصل فصغراها الاقرب الى الوسط يسبح القمر فيها وينفرد في الصعود في غلظها والهبوط فيها ولكل كرة مقدار من الغلظ في السمك يسجل به لكوكبها بعدان ابعد واقرب والكرة الثانية التي فوقها لعطارد والثالثة للزهرة والرابعة للشمس والخامسة للمريخ والسادسة للمشتري والسابعة لزحل فهذه أُكر الكواكب السبعة

---

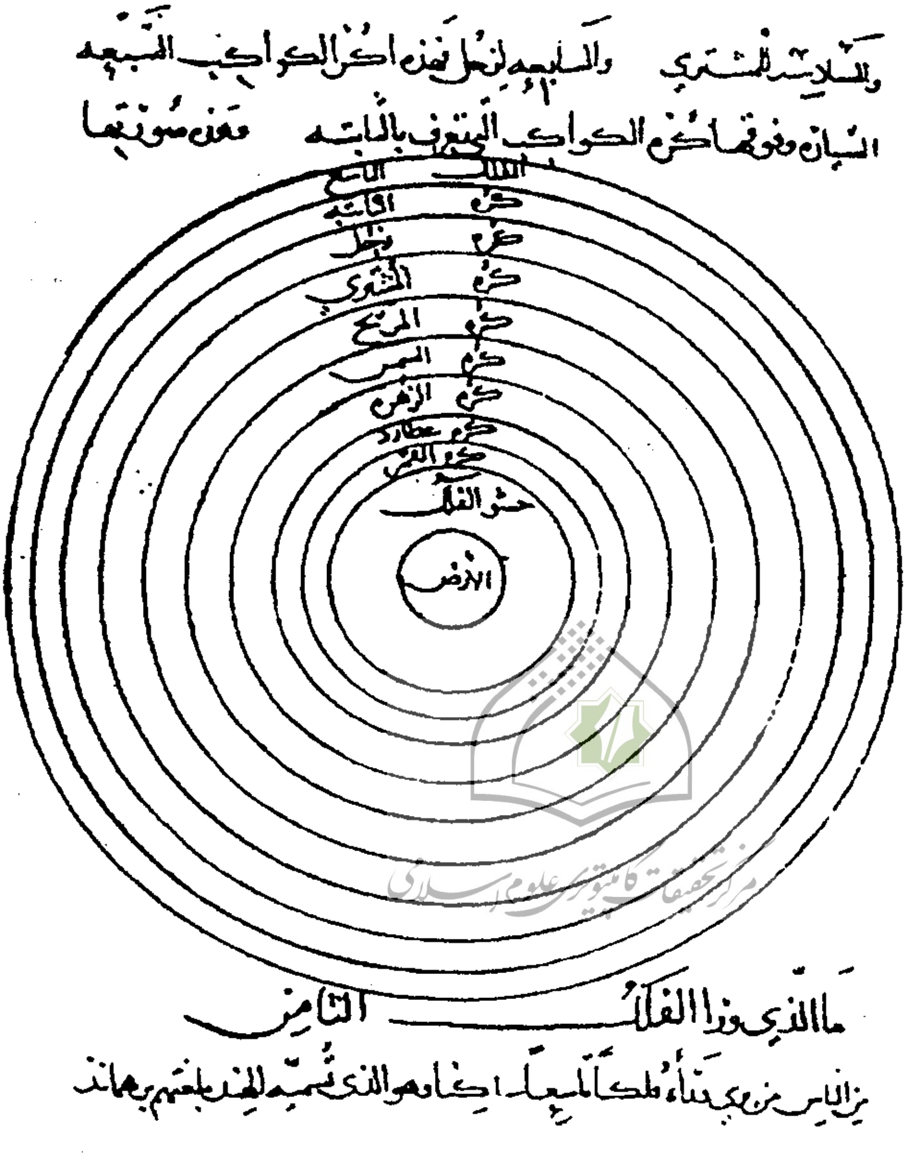
[82] النوكى : جمع أنوك وهو الاحمق ــ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور ، لسان العرب ، بيروت دار صادر ، لات ، ج٣ ، ص٧٤٦ .

[83] البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٢٩٧ .

[84] البيروني ، تحقيق ما للهند ص١٨ .

[85] المصدر نفسه ص٣٩٧ .

السيارة وفوقها كرة الكواكب التي تعرف بالثابتة "[٨٦] وبعد الأفلاك السبعة التي تحتوي الكواكب المتحركة السبعة والفلك الثامن الذي يحتوي الكواكب الثابتة المبثوثة في كل السماء ثابتة الأبعاد بعضها عن بعض



ترتيب الأفلاك بالنسبة إلى الأرض

(عن كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم للبيروني)

---

(٨٦) محمد بن احمد البيروني ، التفهيم لاوائل صناعة التنجيم لندن ، ١٩٣٤ ص٤٣ــ٤٤ .

يفترض الهنود وجود فلك تاسع هو فلك برهماند وهو كره محيطه بالفلك الثامن وهما متماسان وينتقد البيروني هذا الاعتقاد بانا قد نعتقد بوجود فلك ثامن فاما فوق فليس شيء يضطر الى ايجاب فلك تاسع[٨٧] ناهيك بان الهنود اسموا هذا الفلك بيضة براهم ولان المحرك الاول يجب ان لا يكون جسماً لان ذلك يقرب بالبراهين فتسميته بالفلك خطأ .[٨٨]

ويستمر البيروني بالمقارنة بين علم الفلك عند العرب وعند الهنود فيقول ان مأخذ منازل القمر عند الهنود كمأخذ البروج في انقسام منطقة البروج بها سبعة وعشرون قسماً متساوية كانقسامها في البروج باثني عشر قسماً متساوية وتكون حصة كل منزل من الدرجات ثلاث عشرة وثلثاً ومأخذ هذا العدد هو ان القمر يقطع المنطقة كلها في سبعة وعشرين يوماً وثلث يوم يستحق الالغاء كما ان مأخذ العدد الذي عند العرب من أول الرؤية الغربية الى اخر الرؤية الشرقية .[٨٩]

وهناك فرق اخر بين العرب والهنود في الغاية من علم الفلك يذكره البيروني وهو ان اكثر مقاصد الهنود في المعارف الفلكية هو لاجل استعمالها في التنجيم وقراءة الطالع واما العرب فان مقصودهم فيها هو معرفة احوال السنة وفصولها وما يحدث فيها من التغايير[٩٠] كما ان الهنود ليسوا بأصحاب قدمَ راسخة في هذا العلم فهو يقول : ان الهنود في امر الكواكب الثابتة قليلو المحصول ولم اظفر منهم بمن يعرف كواكب المنازل عياناً ويشير لها بناناً .[٩١]

---

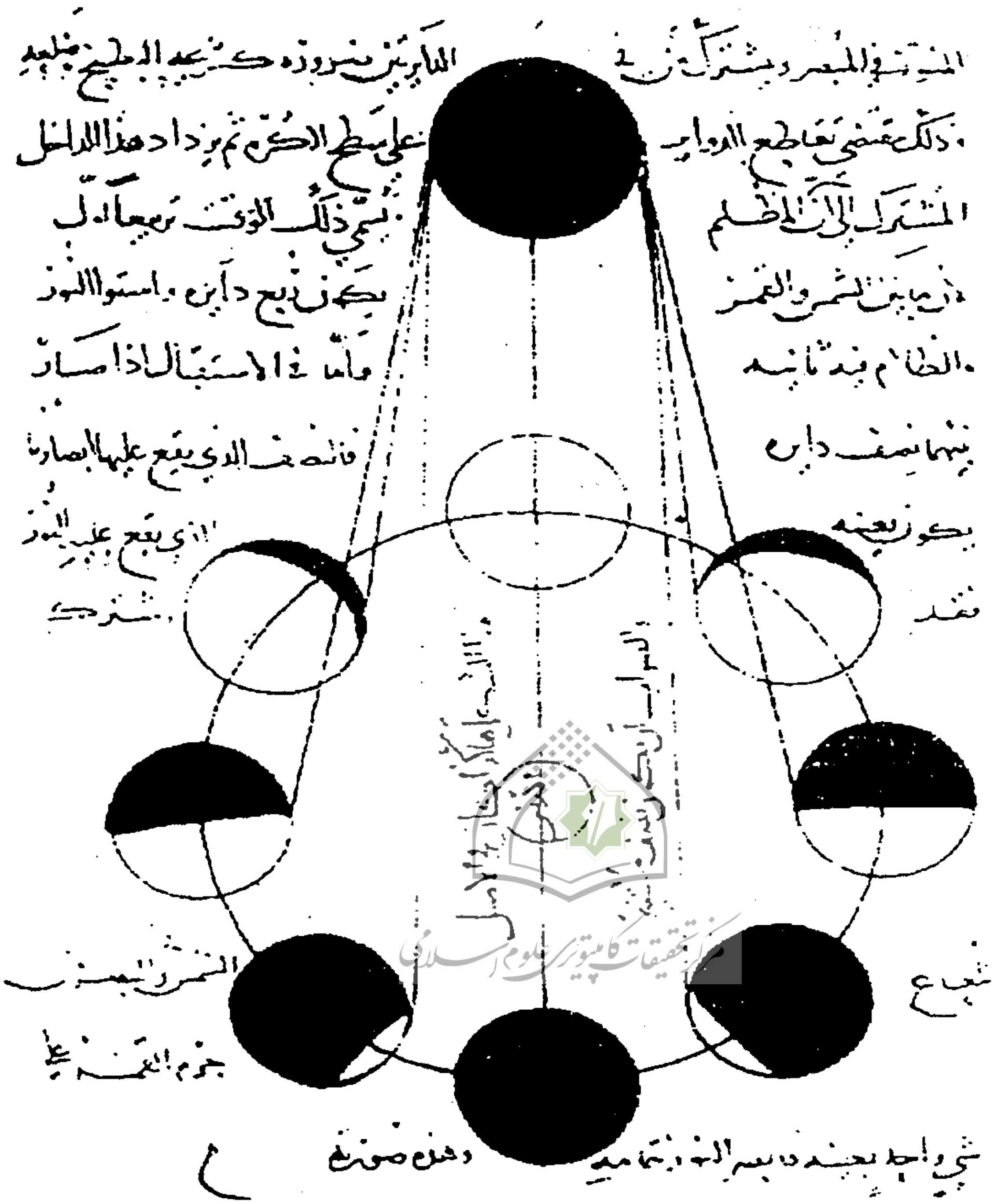
[٨٧] البيروني ، تحقيق ما للهند ص١٨٣ .

[٨٨] البيروني ، التفهيم لاوائل صناعة التنجيم ، ص٤٤ـ٤٥ .

[٨٩] البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٤١١ ـ ٤١٢ .

[٩٠] البيروني ، القانون السعودي ج٣ ، ص١١٤ .

[٩١] البيروني ، تحقيق ما للهند ص٤١٣ .



التغيرات التي تظهر على وجه القمر بتغير منازله

(عن كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم للبيروني)

على ان البيروني لا يكتفي بملاحظة تدني مستوى الهنود في علم الفلـك وما يكتنفه من خرافات فيشير الى ان السبب في ذلك هو التأثير السلبي

للدين الهندوسي علم الفلك واختلاط الامرين على خلاف الحال في الاسلام اذ ان القرآن لم ينطق في شؤون الفلك وفي كل شيء ضروري بما يحوج الى تعسف في التأويل حتى يصرف قوله الى المعلوم بالضرورة وانما هو في الاشياء الضرورية معها حذو القذه بالقذه[٩٢] وباحكام من غير تشابه[٩٣] اما في الهند فان كتبهم الدينية تنطق كلها في هيئة العالم بما ينافي الحق الواضح عند منجميهم الا ان البراهمه مضطرون الى اقامة الشعائر الدينية وحمل عامة الناس عليها الى الحسابات الفلكية والتحذيرات الاحكامية فيظهرون الميل للمنجمين والقول بفضلهم والقطع عليهم بانهم من اصحاب الجنة لا يدخل جهنم منهم احد ومنجموهم يكافئوهم بالتصديق والمطابقة على ما هم عليه وان خالف اكثره الحق ويقومون لهم بما يحتاجونه ولهذا امتزج الرأيان مع الايام فاضطرب الكلام الحاصل عند المنجمين وخاصة عند من يقلد ويأخذ الاصول بالاخبار ولا يذهب فيها مذهب التحقيق وهو اكثرهم .[٩٤]

هناك سمة واضحة في منهجية البيروني العلمية لا تخطئها عين القارئ المتتبع لمؤلفاته كلها هي شدة حذره من قبول الاخبار عن الظواهر الطبيعية وحرصه على مشاهدتها لان : " القلب لايطمئن اليها دون مشاهدتها "[٩٥] وهذا الحذر عند البيروني متأت من استقراء المعلومات التي اطلع عليها : " وقد نظرت في كتب الاوائل وكلامهم

---

(٩٢) القذه بالقذه : القذه ريش السهم ، والقذه بالقذه يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان ـ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٣٩ .

(٩٣) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٢١٩ .

(٩٤) المصدر نفسه ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٩٥) البيروني ، لاثار الباقية ، ص٢١٧ .

على الاشياء الغائبة على الحس فوجدتهم فيها يعتمدون الدلائل الضعيفة ولا يقصدون البراهين القائمة مقام العيان "[٩٦]

ويمكن ملاحظة اتجاه البيروني للمشاهدة في تحقيق ما للهند فهو يقول " على اني شاهدتهم في سنة قلع سومنات "[٩٧]

اما السماع كمصدر حسي فلا يبدو ان البيروني قد اولاه اهمية كبيرة كالمشاهدة اذ يقول : " وانا ساورد ما سمعته بعينه الى ان يسفر الامر فيه عن قانون "[٩٨]. وفي مكان اخر يشير الى ذلك والى السبب في موقفه هذا : " ليس الخبر كالعيان لان العيان هو ادراك عين الناظر عين المنظور اليه في زمان وجوده ومكان حصوله ولو لا لواحق آفات بالخير لكانت فضيلته تبين على العيان والنظر لقصورهما على الوجود الذي لا يتعدى انات الزمان وتناول الخبر اياها وما قبلها من ماضي الازمنة "[٩٩]

وعقلية البيروني العلمية المنظمة اتجهت به الى التجربة لتكون السبيل الامثل لاستكناه الحقائق العلمية والجواب الفيصل عند اختلاف العلماء فحين يناقش البيروني عالم الفلك الهندي" براهمر " ويبين خطأه في موعدي المنقلبين الصيفي والشتوي : " فالصيفي من المنقلبين في اول السرطان والشتوي اول الجدي ، فان تشكك في ذلك احد وزعم انه كما ذكر الاوائل دون ما ذكرناه فليصحر الى مكان مستوٍ حين يتفرس اقتراب المنقلب الصيفي وليدر فيه دائرة وينصب على مركزها شخصاً

---

(٩٦) البيروني ، باتانجل ، ص١٤٣ .

(٩٧) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٣٤٧ ، وسومنات هو صنم للهنود قلعة السلطان محمود الغزنوي .

(٩٨) المصدر نفسه ص٣٤٧ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ص١ .

يقوم عموداً على الافق ويعلم على رأس ظله حتى محيط الدائرة في احد جانبي المشرق والمغرب ويعود اليه كالغد حول مثل ذلك الوقت الأمسي ويرصد مثل ما رصد اولاً فان وجد رأس الظل زائلاً عن العلامة الاولى نحو الجنوب فليعلم ان الشمس قد تحركت نحو الشمال ولم ينقلب بعد وان وجده زائلاً نحو الشمال علم ان الشمس قد تحركت نحو الجنوب وانقلبت واذا رصد ذلك دائماً ووقف على يوم الانقلاب تحقق ما ذكرناه "(١٠٠) ولم يكن البيروني ليدع الفرصة تفلت من يده اذا كان ثمة مجال لاجراء التجربة ومن ذلك التجربة التي انجزها في قلعة نندنه بالبنجاب اذ قام هناك بقياس محيط الكرة الارضية من الجبل المشرف على البيداء(١٠١) ولعله قام بهذا العمل في اثناء حبسه في تلك القلعة .(١٠٢)

والذكاء الوقاد الذي تمتع به البيروني لابد ان يقوده الى ملاحظة الظواهر الطبيعية ثم استخلاص الحقائق العلمية من خلالها ، فمن المعلوم ان السهول الوسطى وهضبة الدكن في الهند التي تمتد تحت اقدام سلاسل جبال الهملايا لتشكل قوساً عظيماً من سواحل البحر العربي الى خليج البنغال وتعد من سهول العالم المهمة وقد تكونت بفعل الطمى الذي جلبته الانهار كما يقول الجيولوجيون المحدثون وان عظم سمك الرواسب قد شجعهم على الاعتقاد بان هذه السهول كانت عبارة عن ألسِنة وخلجان بحرية في الماضي .(١٠٣)

---

(١٠٠) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص٤١٧ــ٤١٨ .

(١٠١) البيروني ، تحديد نهايات الاماكن ،ى ص٢٢٢ .

(١٠٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص١٥٨ .

(١٠٣) محمد يوسف السلطان الجغرافية الاقليمية للقارات ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٦ ، ص١٣٩ .

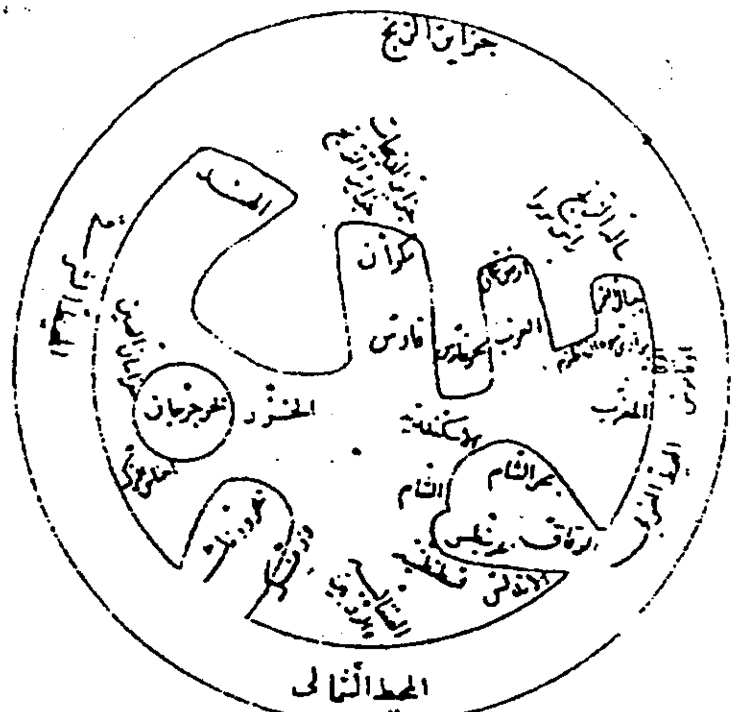
اما البيروني فيقول : " وارض الهند من تلك البراري يحيط بها من جنوبيّها بحرهم المذكور (المحيط الهندي) ومن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ واليها مصاب مياهها بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها وفي احجارها المدملكة (الملساء المستديرة) الموجود عظيمة بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الانهار واصغر عند التباعد وفتور الجري ورمالاً عند الركود والاقتراب من البحر لم تكد تصور ارضهم الا بحراً في القديم قد انكبس بحمولات السيول(١٠٤) . والمرء اذ يقارن بين هذا النص القديم في التكوين الجيولوجي لسهول الهند الذي توصل اليه البيروني بدقة ملاحظته وثاقب بصيرته وتطابقه مع ما توصل اليه الجيولوجيون في عصرنا بعد دراسة الطبقات الارضية وقياس سمكها باستعمال الاجهزة الحديثة لا يسعه الا ان يقف اجلالاً لهذه العقلية الفذه .

ودقة الملاحظة هذه ساقت البيروني في اثناء دراسته لجغرافية الهند التي لا تزال تحتفظ بجدتها وبقيمتها العلمية الى ان يدخل الهند في خريطة العالم كشبه جزيرة تمتد في المحيط الهندي وكان اول من فعل ذلك بعد ان اجرى قياسات في بعض اجزائها(١٠٥) وكما يظهر من خريطة العالم فيما يأتي التي رسمها البيروني .

---

(١٠٤) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص١٥٧ .

(١٠٥) فؤاد سزكيز ، ساهمة البيروني في رسم خريطة العالم ، المانيا ، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٢٧ .



خارطة العالم كما رسمها البيروني

(عن كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم للبيروني)

وفي مجال التفكير العقلي المجرد ينتهي البيروني الى الحقائق من خلال مقدمات منطقية واضحة فتخرج حججه قوية رصينة لا التواء فيها ولا تصنع وها هو ذا يثبت أن السحر ليس علماً فيقول : " السحر هو اظهار شيء للاحساس على خلاف حقيقته بوجه من وجوه التمويه فان نظر اليه من هذا الوجه وجد في الناس شائعاً وان اعتقد فيه اعتقاد العوام انه ايجاد الممتنعات فقد خرج امره عن التحقيق فاذا امتنع الشيء لم يوجد ايضاً فالكذب ظاهر في حده فالسحر اذا غير داخل في العلم البته " .(١٠٦)

وقد تواجه العالم بعض التساؤلات وليس هناك من معطيات قريبة او بعيدة تلقي بصيصاً من نور حول هذه التساؤلات وفي هذه الحالة يلجأ ابو الريحان الى الحدس والفراسة وقياس الغائب على الشاهد

---

(١٠٦) البيروني ، تحقيق ما للهند ص١٤٨ـ١٤٩ .

فبعد ان يقرر اننا نعيش على اليابسة في احد الربعين الشماليين من الكرة الارضية يتوقع وجود ارض في الجانب المقاطر لنا أي الجهة الاخرى من الكرة الارضية أي ما يسمى اليوم بالقارتين الامريكيتين فيقول " واما نحن فوجودنا الاستقرائي يقتضي اليبس في احد ربعيها الشماليين ونتفرس لاجله في الربع المقاطر له مثل ذلك " .(١٠٧)

ومما يعرضه البيروني من سمات الميثولوجيا الهندية اقترانها بالرياضيات واستخدام ارقام هائلة لحساب اعمار الالهة وايامهم وشهورهم وسنينهم والكتاب مشحون بمجموعات كبيرة من الارقام اوردها البيروني ناقلاً كما هي غاضاً النظر عن عدم استساغته لها مما يدل على الجلد والمواظبة عند هذا الباحث العظيم : " وعمر " ردر " بعد احد عشر صفراً ٥٣٧٤٧٧١٢ وعمر " ايشر " بعد ستة عشر صفراً ٥٥٧٢٥٦٢٧٨٠١٦ وعمر سداشو بعد اثنين وعشرين صفراً ١٧٣٣٢٨٩٩٢٧١٤ وعمر شكت بعد ثمانية وعشرين صفراً ١٠٧٨٢٤٤٩٩٧٨٥٨٥٢٣٧٨١١٢ وذلك اذا ركب منه اليوم بحسب هذا الموضوع كان بعد واحد وثلاثين صفراً ٣٧٢٦٤١٤٧١٢٦٥٨٩٤٥٨١٨٧٥٥٠٧٢ ومراتب هذا العدد ستة وخمسون ولو زاول هؤلاء الوصاف حسابها لما افرطوا في الاكثار والله حسبهم " .(١٠٨)

وامتاز العلم الهندي بظاهرة اخرى هي كثرة الاسماء والمصطلحات بصورة تفوق الحصر وقد اسهب البيروني في ذكر الاسماء المختلفة مبدياً امتعاضه من كثرة المبالغات " كل ما كان عديم النظام او مناقضاً لسابق الكلام نفر عنه الطبع ومله السمع وهؤلاء قوم

(١٠٧) المصدر نفسه ص٢٢٤ .

(١٠٨) المصدر نفسه ص٣٠٦ .

يذكرون اسماء كثيرة تتجه بزعمهم على الواحد الاول او علـــى واحـد دونه مشار اليه فاذا جاؤوا الى مثل هذا الباب اعـــادوا تلـك الاســماء لكثيرين وقدروا لها الاعمار وطولوا الاعداد فهذا غرضهم والميدان خال والعدد غير واقف الا بالفعل والايقاف ثم يتفقون فيها على شيء واحـــد لنتصرف معهم كيف تصرفوا[١٠٩] والرجل وان الــزم نفســه بالمنـــهج الوصفي في عرض مادة البحث لايدع شيئاً منها يتسرب في كتابه ثـــم يلفت من نقده الحازم فيقول : " وانا في اكثر ماسأ ورده مــن جهتـــهم حاك غير منتقد الا عن ضرورة ظاهرة [١١٠] وسنرى ان هذه الضرورة الظاهرة موجودة دائماً ومادة الكتاب مهما تراوحت بين السهولة والتعقيد او بين الخرافة والعلم فان القارئ يشــعر بــالوجود الدائــم لشــخصية البيروني ويحس بانفاسه بين السطور فينتقد معلومات الهنود الفلكية فــي مسألة مركز العالم ويصفها " بان العبارة عنها ركيكة وخاصة فانه مــن رسائل الفحول التي لا يقوم بها الا كبار الرجال[١١١] بل انه يشــتد فــي نقده ويستعمل عبارات لاذعة عندما ينقل تفسيراتها الخرافية للظواهـــر الفلكية فيقول : " وظواهر هذه الاقاويل تشبه كلام المجانين " .[١١٢]

اما ذكره للاسماء والمصطلحات العلمية الهندية للقارىء العربـي فقد اوضح منهجه في ذكرها في اثناء الكتاب فيقول انـــه " ذاكــر مــن الاسماء والمواضعات في لغتهم ما لابد من ذكره مرة واحـــدة يوجبـــها التعريف ثم ان كان مشتقاً يمكن تحويله الى العربية الى معناه لم امـــل عنه الى غيره الا ان يكون بالهندية اخف في الإستعمال فنستعمله بعـــد

---

[١٠٩] المصدر نفسه ص٣٠٤ .

[١١٠] المصدر نفسه ص١٩ .

[١١١] المصدر نفسه ، ص٢٢٦ــ٢٢٧ .

[١١٢] المصدر نفسه ، ص٤٤١ .

غاية التوثقة منه في الكتبة او كان مقتضباً شديد الاشتهار فبعد الاشارة الى معناه وان كان له عندنا اسم مشهور فقد سهل الامر فيه ولكنه ربما يجيء في بعض الابواب ذكر مجهول وتغييرات في الذي يتلوه "[113]

ولعل ابرز ما يميز الكتابة والعرض في هذا الكتاب هو سمتا الموسوعية وتحكيم العقل فاسم الكتاب " تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل او مرذولة " او بتعبيرنا المعاصر : الفكر الهندي بايجابياته وسلبياته التي يحددها التفكير العقلي المجرد دونما النظر الى مؤثرات اخرى ، ومن ثم ادخل البيروني تحت هذا العنوان الكثير من اشتات المعلومات في الدين والفلسفة والاجتماع والفلك والتنجيم والقياسات والاساطير والنحو والعروض والخط ... الخ . وعلى حد قوله في اخر الكتاب : " اشرنا فيما تقدم الى نبذ من كل شيء ... فانا متى قصدنا من ذلك الكفاية طال الامر مع قصدنا الجمل دون الفروع "[114] وكل تلك المعارف سطرها البيروني بتمكن وعمق واحاطة فلا يلحظ المرء حشواً او ادخال ما لا مسوغ في تضاعيف الكتاب على طوله وتنوع معارفه .

وهنا مسألة يجب ان نلاحظها في اسلوب البيروني وفي مادته العلمية العميقة والصعبة التي رصّن بها كتاباته فقد كان من منهجه أن يكتب للمتخصصين لا لعموم المثقفين وكان من نتيجة اتجاهه هذا ان اصبحت كتبه صعبة المأخذ لايتيسر فهمها لكل أحد وليس السبب في هذه الصعوبة هو انه يكتب غالباً في المجالات العلمية كالرياضيات والمساحة والفلك والتنجيم كما قد يظن ، فالمرء يستطيع مثلاً ان يستوعب بيسر ما يقوله ابو معشر الفلكي عن التنجيم في كتابه " المدخل الكبير الى علم النجوم " أو مايكتبه المسعودي عن الفلك في " مروج الذهب " في حين

---

(113) المصدر نفسه ، ص19 .

(114) المصدر نفسه ، ص515 .

لن يفوز بطائل عندما يقرأ عن هذين الموضوعين في " القانون المسعودي " للبيروني ما لم يكن ضليعا في هذين العلمين ويمكن ان نخرج بالنتيجة نفسها اذا قارنا بين البيروني وغيره في مجالات اخر . وهو ما نلاحظه ايضا في " تحقيق ما للهند " وعن منهجه هذا يقول : " اني اخلي تصانيفي عن المثالات ليجتهد الناظر فيما اودعته فيها متى كان له دربة واجتهاد وهو محب للعلم ومن كان من الناس علي غير هذه الصفة فلست ابالي به فهم ام لم يفهم فعندي سواء " .(١١٥)

وفي دراسته لمجتمع اجنبي ركز البيروني في جوانب الاختلاف وما يستغرب من عوائدهم وعلومهم فيقول : " ونحن لانورد من اعمالهم الا ما نستغربه او نعلم انه لم يطن في مسامع اصحابنا " (١١٦) ثم يبدي الملاحظة نفسها فيما يتعلق بجداولهم الفلكية ولو ذهبنا نورد ما في زواجهم لخرجنا عما نحن فيه وانما نورد منها ما يتصل بما نحن فيه ما يستغرب او لايكون موجودا عند اصحابنا وفي ديارنا " .(١١٧)

وكعادة البيروني في كتبه كلها يظهر التزامه بموضوع البحث ولا يجعل نفسه نهبا للاستطراد والانسياق وراء طرافة المادة فبعد ان يتحدث عن بيضة براهم التي انقسمت وتكون منها السماء والارض يعقب البيروني : " ولو لا ان كتابنا مقصور على مقالات فرقة واحده لاوردنا من مقالات الفرق الذين كانوا ببابل وحولها في القديم ما يشبه حديث هذه البيضة ويزيد سخافة عليه "(١١٨) وعندما يذكر قيام الهنود بعمل قرابين ورسوم تقام عند طلوع بعض الكواكب يقول انه يذكر هذه

---

(١١٥) البيروني ، الاثار الباقية ، مقدمة سخاو ، ص٧١ .

(١١٦) تحقيق ما للهند ، ص٤٩٧ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ص٤١١ .

(١١٨) المصدر نفسه ، ص١٨١ .

الخرافات عنهم لا اقتناعا بها لاهميتها وانما " لنفي بالشريطه في استيفاء الحكايات على وجهها " .(١١٩)

اما طريقة العرض فتكاد تكون واحدة في اكثر ابواب الكتاب اذ يبدأ المؤلف بمقدمة تحليلية للموضوع المراد بحثه غالبا ما تطغى عليها مسحة ادبية جميلة ثم يعرض مقتطفات من المصادر الهندية عن الموضوع ويبين اختلافاتهم فيه ثم يورد ما يماثله عند اليونانيين واليهود والنصارى والمجوس والمانوية وغيرهم وينهي الباب بخاتمة تتضمن خلاصة الموضوع .

والكتاب زاخر بالجداول التي نظم بها البيروني سيل المعلومات في موسوعته هذه ، واستعماله للجداول بهذه الصورة هو نتيجة طبيعية لعقليته الرياضية المنظمة وقد بلغ عدد هذه الجداول ٩٢ جدولا اشتملت على معلومات عن المذنبات والبروج والبحار والانهار والهة الهنود والروحانيين والجهات وغير ذلك ، وقد وضع هذه الجداول تسهيلا للقارىء على الاستيعاب والفهم وعلى حد قوله " وضعناها في جدول للتخفيف "(١٢٠). ما وضع بضعة مخططات توضيحية اخرى .

اما اسلوب التعبير اللغوي عند البيروني فهو اسلوب مركز تتضح به دقة الاسلوب العلمي ووضوحه ، بأفكاره الرصينة وجمله القصيرة البعيدة عن التكلف والاستطراد واستعمال المحسنات البديعية ، ولو قارنا اسلوب البيروني باسلوب ابن خلدون المولع بالسجع لاتضح ان اسلوب البيروني اقرب الى الاساليب الحديثة في الكتابة ويقول سخاو : ان البيروني قاد اللغة الى مجرى جديد وسار بها الى تطور غريب ولكن هذا التطور لم يحدث والموجات التي أحدثها البيروني كانت كرمي

---

(١١٩) المصدر نفسه ، ص٣٢١ .

(١٢٠) المصدر نفسه ، ص٢١٢ .

حجر وحيد في محيط الأدب العربي لم تلتقط من الأجيال اللاحقة ، لقد تقدم البيروني بأسلوبه كثيرا على معاصريه لكنهم لم يحاولوا أن يلحقوا آثره .[١٢١]

موارد البيروني في تحقيق ما للهند :

يمكن ان نحدد موارد البيروني في " تحقيق ما للهند " بالمصادر العلمية الهندية الاصيلة المكتوبة بالسنسكريتيه او المترجمه عنها سواء ما ترجمه هو نفسه او ما قام به مترجمون عرب او فرس ، كما انه استقى من مصادر عربية وسريانية ويونانية وفارسية وعبرانية لانه كان يفقه هذه اللغات جميعا ، كما يبدو من خلال كتابه انه كان على صلة وثيقة بالمجتمع الهندي وعلمائه الذين اجرى معهم بعض المناقشات .

وعلى الرغم من الحشد الضخم من المادة العلمية التي جمعها البيروني في ابواب كتابه الموسوعي هذا والكتب التي استعملها وذكر اسماءها واسماء مؤلفيها احيانا فانه يقول بتواضع لانجده الا عند العلماء العظام : " ولهم فنون من العلم اخر كثيرة وكتب لاتكاد تحصى ولكني لم احط بها علماً " .[١٢٢]

(121) SACHAU. Op. Cit, PXXXVI.

[١٢٢] تحقيق ما للهند ، ص١٢٣ .

موارد البيروني في كتاب "تحقيق ماللهند"

ت	اسم الكتاب	ت	اسم الكتاب	ت	اسم الكتاب
	كتب علم الفلك	٢٤	كرن برتلك عمله بهاترجس	٤٧	سنكهت عمله كرك (٤)
١	اند سدهاند	٢٥	كرن جورامن		**كتب الفأل والاسفار**
٢	براهم سدهاند	٢٦	كند كاتك	٤٨	بباهبتل
٣	بسشت سدهاند	٢٧	كوربيا	٤٩	بروش جورامن عمله اوبل
٤	بلس سدهاند عمله بولس	٢٨	لو كانند عمله لوكانند	٥٠	بردمن
٥	بنج سدهاند عمله براهمر	٢٩	لون ست عمله اند	٥١	برتوتك
٦	بيتامه عمله براهم	٣٠	مانس الصغير	٥٢	بريسفر
٧	تنتر عمله بلبهدر	٣١	مانس الكبير (٢)	٥٣	بنج تنتر (كليله ودمنه)
٨	تنتر عمله بلبهدر		**كتب التنجيم**	٥٤	بيردامن
٩	جبن سدهاند	٣٢	جاتك عمله براشر	٥٥	تكني زاتر
١٠	رساين عمله بلبهدر	٣٣	جاتك الصغير عمله براهمر	٥٦	جرك
١١	رومك سدهاند عمله اشريخين	٣٤	جاتك الكبير عمله براهم	٥٧	جورا من عمله البد
١٢	زيج دد ساكر	٣٥	جاتك عمله جيبشرم	٥٨	دباكر
١٣	سدهاند	٣٦	جاتك عمله ست	٥٩	ديوكيرت
١٤	سورج سدهاند	٣٧	جاتك عمله مو	٦٠	زوك زاتر
١٥	كرن عمله كرن (١)	٣٨	جاتك عمله منت	٦١	سارسفت
	كتب الازياج	٣٩	جبن	٦٢	سروذو عمله مهاديو
١٦	ارجا شتقست	٤٠	جت بنجاشك	٦٣	شروذو عمله بملبد
١٧	اوتر كند كاتك		سارو ال عمله كلان برم(٣)	٦٤	سدوذو عمله بنكال
١٨	بهتل عمله بهتل	٤١	**كتب المواليد**	٦٥	سنكهل (٥)
١٩	دشكيتك عمله ارجبهد	٤٢	سنكهت عمله براشر		**كتب علم اللغة**
٢٠	راهنداكن عمله اوبل	٤٣	سنكهت عمله براهم	٦٦	ايندر عمله ايندر
٢١	زيج مكرن تلك	٤٤	سنكهت عمله بليهدر	٦٧	بانرت عمله شاكت
٢٢	زيج كرن سار	٤٥	سنكهت عمله دبيانت	٦٨	جاندر عمله جندر
٢٣	كرن بات	٤٦	سنكهت عمله ماندب	٦٩	دور كويرت

ت	اسم الكتاب	ت	اسم الكتاب	ت	اسم الكتاب
٧٠	شاكت عمله شاكت	٩٤	اسكند بران	١٢١	مج بران
٧١	شتدبوبرت	٩٥	بامن بران	١٢٢	نارذ
٧٢	شكهت برت	٩٦	باج بران	١٢٣	نارسنك بران
٧٣	اوكربوت (٦)	٩٧	ببش بران	١٢٤	نند بران (٩)
	كتب علم العروض	٩٨	براه بران		
٧٤	اوليائد	٩٩	براهم بزن		
٧٥	بنكل	١٠٠	براهم بران		
٧٦	كيست	١٠١	برهماند		
٧٧	مركلانج (٧)	١٠٢	برهماند بران		
	كتب في الزهد والاخلاص	١٠٣	برهم بيبرت		
٧٨	اكست من عمله سهيل	١٠٤	بشن بران		
٧٩	بانتجل	١٠٥	بشن شب		
٨٠	برهسبت	١٠٦	بهبش		
٨١	بشن دهيرم	١٠٧	بهكبت		
٨٢	بهارت	١٠٨	بيذ		**الهوامش**
٨٣	بهاركو	١٠٩	تاركش بران		(١) ص١١٨-١٢٠
٨٤	جانج بلل	١١٠	جزر بيذ		(٢) ص١٢٠-١٢١
٨٥	دبيل	١١١	ركبيذ		(٣) ص١٢١-١٢٢
٨٦	سانك عمله كيل	١١٢	سام بيذ		(٤) ص١٢٢
٨٧	شكر	١١٣	سانب بران		(٥) ١٢١-١٢٣
٨٨	كور عمله كور	١١٤	سمرت		(٦) ص١٠٤-١٠٦
٨٩	من	١١٥	سوم بران		(٧) ص١٠٦
٩٠	نيمانس عمله جبمن	١١٦	كرد		(٨) ص١٠٢
٩١	نابيهاش (٨)	١١٧	كورم بران		(٩) ص٩٦-١٠١
	كتب الدين	١١٨	كور الزاهد		
٩٢	ادبران	١١٩	ماكنديو اكن		
٩٣	ادت بران	١٢٠	ماركنديو بران		

٢- مواردُ البيروني غير الهندية (العربية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية) في " تحقيق ماللهند "

١- القرآن الكريم	٢٥-فاذن لسقراط
٢- اخلاق النفس لجالينوس .	٢٦-قاطاجانس لجالينوس
٣- الانجيل	٢٧-كتاب ايوب الصديق
٤-تركيب الافلاك ليعقوب بن طارق	٢٨-كتاب الرهان لجالينوس
٥-التقويم الكشميري	٢٩-كتاب بليناس
٦-التوراة	٣٠-كتاب الدين
٧-جاوغرافيا لبطليموس	٣١-كتاب زرقان لماني
٨-الحث على تعلم الصناعات لبطليموس	٣٢-كتاب طب الفيلة
٩-خيال الكسوفين للبيروني	٣٣-كتاب المسالك للجيهاني
١٠-رسالة ارسطوطاليس الى الاسكندر	٣٤-كتاب المنشورات لبطليموس
١١-زبور داود عليه السلام	٣٥-كتاب المواليد الكبير
١٢-زيج ابي معشر البلخي	٣٦-كتاب النواميس الكبير لافلاطون
١٣-زيج الاركند	٣٧-كشف المحجوب لابي يعقوب السجزي
١٤-زيج اسلامي (زيج الهرقن)	٣٨-كليلة ودمنة لعبد الله ابن المقفع
١٥-زيج الخوازمي	٣٩-كندكاتك العربي
١٦-زيج الفزاري	٤٠-كنز الاحياء لماني
١٧-زيج يعقوب بن طارق	٤١- المجسطي لبطليموس
١٨-سفر الاسرار لماني	٤٢- مفتاح علم الهيئة للبيروني
١٩-سفر الملوك	٤٣- الميامر لجالينوس/ [123]
٢٠-السماع الطبيعي لارسطوطاليس	
٢١-السندهند (سدهاند)	
٢٢-طيماؤس لافطون	
٢٣-الظاهرات لاراطس	
٢٤-غرة الزيجات	

[123] ص١٠ـ١٢ .

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر :

ـ القرآن الكريم

● البيروني ، محمد بن احمد (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) :

ـ الاثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق سخاو ، ليبزج ، لامط ١٩٢٣ ، اوفسيت مطبعة المثنى ، بغداد .

ـ باتانجل في تخليص النفس من رباط البدن ، كتاب ترجمة البيروني عن السنسكريتية ونشرت بعض محتوياته في كتاب المنتقى من كتابات المستشرقين ، جمع وتعليق صلاح الدين المنجد ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥ .

ـ تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن ، تحقيق بولجانوف ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥ .

ـ تحقيق ما للهند مقوله مقبوله في العقل او مرذوله ، حيدر اباد الدكن ـ الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

ـ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم ، لندن ، ١٩٣٤ (مخطوطة مصورة) .

ـ تمهيد المستقر لمعنى الممر ، ط١ ، حيدر اباد الدكن ـ الهند : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

ـ فهرسة كتب محمد بن زكريا الرازي ، نشر ضمن كتاب صوت ابي الريحان تأليف غُلام على كريمي ، اصفهان : منشورات جامعة اصفهان ١٩٧٣ .

ـ القانون المسعودي ، حيدر اباد الدكن ـ الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

• البيهقي ، ابو الفضل محمد بن حسين (٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) :

ـ تاريخ البيهقي ترجمة الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٦ .

• البيهقي ، ابو الحسن علي بن زيد (ولد سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٥م):

ـ تاريخ حكماء الاسلام ، عني بنشره وتحقيقه كرد علي ، دمشق مطبعة الترقي ، ١٩٤٦م .

• ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :

ـ تاريخ ابن خلدون ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٧ .

• ابن زكريا ابو الحسن احمد بن فارس (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) :

ـ معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، لات .

• الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ / ١١١٣م) :

ـ الملل والنحل ، ط١ ، صححه وعلق عليه احمد فهمي محمد ، القاهرة ، مكتبة الحسين التجارية ١٣٦٨هـ / ١٩٦٧م .

• الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ / ٩٢٢م) :

ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

• ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الانصاري (٧١١هـ / ١٣١١م) :

ـ لسان العرب ، البيروت : دار صادر ، لات .

- ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :
- معجم الادباء ، دار المأمون ، ١٩٣٦ .

٢ ـ **المراجع :**

- ديورانت ، ول :
- قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، بيروت : دار الفكر (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
- سزكين ، فؤاد :
- مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم ، المانيا : معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- السلطان ، يوسف محمد واخرون :
- الجغرافية الاقليمية للقارات ، الموصل : مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٦ .
- عبد الله ، معتز سيد :
- الاتجاهات التعصبية ، الكويت : مطابع الرسالة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتش :
- تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ .
- محمود ، عبد الحليم ويوسف ، عثمان عبد المنعم :
- الفلسفة الهندية مع مقارنه بفلسفة اليونان والتصوف ، القاهرة : مطبعة احمد علي مخيمر ، لات .

● مراد ، بركات محمد :

ـ البيروني فيلسوفا ، ط١ ، مصر : منشورات الصدر لخدمات الطباعة ، ١٩٨٨م .

● النشار ، علي سامي :

ـ مناهج البحث عند مفكري الاسلام ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨م .

* Crooke, w :
- " Hiduism " Encyclopedia of Religion an Ethisc, ed James Hastings, New Youk, Charles Sons, 1959.

* Sachau, E :
- AL- Birunis India, London, 1887.

٣ ـ الدوريات :

● ازاد ، ابو الكلام :

ـ (ابو الريحان البيروني وجغرافية العالم) مجلة ثقافية الهند العدد الثالث ، المجلد الثاني ديسمبر سنة ١٩٥١م .

ـ (ابو الريحان البيروني وجغرافية العالم) مجلة ثقافية الهند ، العدد الاول ، المجلد الثالث ، يونيو ١٩٥٢م .

● الرامبوري ، عبد السلام :

ـ (فلسفة الهند القديمة) مجلة ثقافية الهند ، مجلد ٤ ، العدد الثاني ، ١٩٥٣ .

Higher Education in a Changing World

Prof. Dr. Dakhel H. Jerew
President of the Academy of Sciences

Abstract

The World has witnessed major changes since events of September 11, 2001. The U.S government and its allies have waged wars on many fronts. One aspect of these wars as far as higher education is concerned is the restriction of admission of foreign students to American and European Universities in certain scientific and technological fields and the restraints placed on the openness of research and the publication of research. This paper is concerned with the study of modern Arab University role under such complex circumstances so as to meet the needs of the Arab society for science and technology.

New Techniques for the Observation of Atoms, Molecules their Aggregates and Movements

Prof. Dr. Jalal M. Saleh
Fellow of the Science Academy,
Baghdad – Iraq

Abstract

Two important techniques have been utilized in the last few decades for the observation of atoms, molecules and their aggregates on fluorescent screen, hence their movements and reactions on the screen can easily be followed by the naked eye. These techniques are the field-electron emission (FEE) and field – ion emission (FIE) techniques. The FEE technique consists essentially of a metal cathode, in the form of a sharp tip, mounted in a flask whose interior surface has been rendered conducting and also bears a fluorescent screen.

An electrical filed is applied between the metal tip and the flask wall was which acts as an anode. If the filed is high enough, then electrons leave the surface of the emitting metal tip perpendicularly, strike the fluorescent screen and produce a visible image. The metal tip is so small that it invariably consists of a single crystal with the result that its surface is made up of variously indexed crystallographic planes in a well–defined way. The magnification of the image depends on the tip radius, the distance between the tip and the screen and a geometric factor. The limit of the resolution of the image pattern by this technique is about $20A^0$. The image patterns of the atomic or

molecular aggregates that are chemisorbed on certain crystallographic planes of the metal tip may thus be observed and photographed on the screen.

In FIE technique the metal tip is made to be the anode and the fluorescent screen becomes the cathode. The apparatus is filled with goseous helium at a pressure of 0.1 Pa. On application of on external electric filed (ca $5\times 10^{8}V\ cm^{-1}$) the helium atoms are ionized at the surface of the tip and then accelerated towards the screen to produce an image comprising a set of bright spots with a magnification of 10^{6} to 10^{7}. The resolution in this technique is $3A^{\circ}$ compared with $20A^{\circ}$ in the FEE technique. Thus, atoms and molecules could be observed and identified and their movements and reactions on the screen may be easily be followed.

The Problems of Written Assessment in Secondary Schools in Baghdad

Dr. Najah H. kuba
Institute of fine Arts

Abstract

The incorrect assessment of the secondary school students has a negative effect of the later stages of their studies. This is because any failure to discover this incorrect assessment at early stages will lead to a harmful damage in the activities of the educational function related with the student.

The teacher has a fundamental role in the correctness and accuracy of the marking of the student's work. This fact depends on the approach the teacher uses to prepare his lecture and the depth of his understanding his field of specialization.

One of the leading negative aspects in teaching and written assessment is the lack of following the student work and correcting it accurately by the teacher. And from this point of view it is essential to identify the problems of correcting written assessment. From the teacher's point of view: the importance of this research paper comes from the following points:

1. The importance of language which is the mean of communication between sender and receiver.
2. The importance of expression studies in the life of people who will work in jobs like lawyer, teacher, lecturer, etc.
3- The importance of secondary school as a step in the life of boys and girls to prepare them to University studies.

Research on the Increase Use of Sobawaih's Book

Prof. Dr. Rasheed AL – Abadi
Islamic University

Abstract

This research deals with the reason of the increased use of Sobawaih's book in the research of Reseaoning - or Justifying to what people use in their language as excuses and figurative expressions. Al–Khalil Bin Ahmed Al–Farahidy: (175 H.) and Sobawaih had taken great care, to explain those reasons, The paper explains the view of the author on this subject.

The Leader: Hashim Bin Owqbaa bin Abee Wagass

Prof. Dr. Hamddan Abdul Majeed Al –Kubaissi
College of Arts / University of Baghdad

Abstract

The land of Iraq has witnessed many military battles through which many showed a high level of bravery and championship. The leader Hashim Bin Owqbaa bin Abee Waqaas Al-Zuhri was one of those champions through his enormous victories.

He was able to get rid of the enemy and liberate Iraq from the aggressor. The leader Hashim Bin Owqbaa was one of those Mujaheddin who had a great fore-sight and a high command of leadership. All these personal characteristics helped him a great deal to achieve his victories and defeat his enemies in all his battles.

Al – Khalil Bin Ahmed Al-Farahidy
(100 – 175 A.C)

Dr. Abdullah Al-Jaboori
Al-Mustansiriah University

Abstract

Al–Khalil was the master (Imam) of the Arabic language scholars, a sublime symbol of Intellegence and knowledge adoration.

One of his brilliant and immortal efforts was embodied in his lexicon "Al–EIN " which was the first linguistics lexicon in the Arabic language. In this work he encompassed linguistics with lexical alphabet : Al-EIN" lexicon became the main guide to the lexicographers, and an important reference to linguists. They have benefited from this book for more than 1300 years, and will stay as a fresh spring of knowledge to scholars in fields of linguistics and lexicography.

One of those who took from this spring of knowledge was " Ibn Durusyawaih, Abdulla bin Ja'afar" (died in 343 H.). He had a special interest in "Al-EIN" and he took many materials from this work when he wrote his book " Tass - heed Al–Fasseh" . The book was based on an effort to correct the printed copy of " Al-EIN " and for this purpose, I took extracts from "Al-EIN" found in " Tass – heed Al–Fasseh" in a step which will serve the Arabic language and the linguistics heritage.

Ibrahim Al – Samarai
Between two themes "The Historical and the Comparative"

Dr. Na'ama R. Al – Azzawy
University of Baghdad

Abstract

Ibrahim Al–Samarai who was born in Al–Ummara city in 1923 and died in Amman in 2001 was a big Iraqi linguistic, he was very famous in the Arab homeland and left many books and many researches.

Al–Samarai can be considered as the first Arab linguistic who applied in his studies and books the two themes mainly the historical and the comparative. He also recorded results that can be considered new in the Modern linguistic research.

The reason of Al–Samarai love for these two themes, and made efforts for applying them in his studies and books, is he studied in Sorbon, France and saw what the general western and French linguistics in particular from studies and researches held on historical or comparative themes. So he wanted to get use from his study in the Arabic language from these two themes, and expose many linguistic phenomenon, which ancient Arab linguistics were almost not able to explain, or they explained it on basis of guess and estimation. So they were far a way from being correct and what increase the knowledge of Ibrahim Al–Samarai in the two themes the historical and the comparative is , he studied Semitic languages , like Hebrew , Sirloins and Akadian , and knowledge of these languages or some of it important

for anyone studying the Arabic language as historical or comparative study .

This research review examples of Al–Samarai application of the two mentioned themes on the Arabic language, these examples and others show how did Al–Samarai enriched the modern linguistic research, also can be considered as an addition to the linguistically Arabian ancient thinking, and correcting for some of what the Arab linguistics fail to see in illusions , or explain .

Economic Conditions in the State of the Ghassasinids

Dr. Jawad M. Al – Musswiy
College of Arts – University of Baghdad

Abstract

Ghassasins are Arab tribes who Migrated from Yemen in the fifth century A.D. They settled in Sham (Large Syria). They were in a continuous movement within the area between the valley of Huran and the Euphrates. Some settled at the side of River Barada and took Al – Jabiyah center for their emirate.

This paper tackles the economic conditions of the Ghassasins as far as hunting, agriculture, industry and trade are concerned as well as their economic relations with the neighboring countries and cities. Here the purpose is to shed light on economy and economic relations in the eastern region.

The Ghassasins were mostly Beduins who always traveled in search for water and food. They practiced hunting which is shown in the drawings decorating the walls of the ["White Palace"- al – Qasr al Abyadh"]. Some practiced agriculture especially when we know that their kings built canals and water facilities, and therefore, they grew wheat and barley, and they planted trees, especially grapes for the purpose of producing wines, also, they made perfumes, fabric-textiles and food – products and practiced goldsmith.

Above all, the Ghassasinis had their remarkable impact upon trade and routes going through sham, where the products from chine, India, Africa and

Yemen used to pass through their land. Further, Ghassasinis had their stations, trade centers and different markets the most important of whom was Dawmat – iljandal.

Beside these, they had money resources, such as the tax of Al-Rass which was to be imposed upon the tribes that belonged to them, and also the tax of Al–Ashr upon the trade caravans.

Techniques of Writing History of Science of The Arabs "Al- Bayroni Model"

Dr. Abdullah Al- Mousawi
University of Baghdad

Abstract

Taking gauge of the historians method of Al-Bayroni leads us to clarify what has been written in his book " Tahkik ma lilhind min maqulatin maqboula fi al akil ao marthoula " tries to explain the basis of the scientific research techniques which are based on experiment, proofment and makes sense. In spite of the fact that the notes of historical research techniques has become scattered among his books either what has been written in the introduction of his books or in his comments.